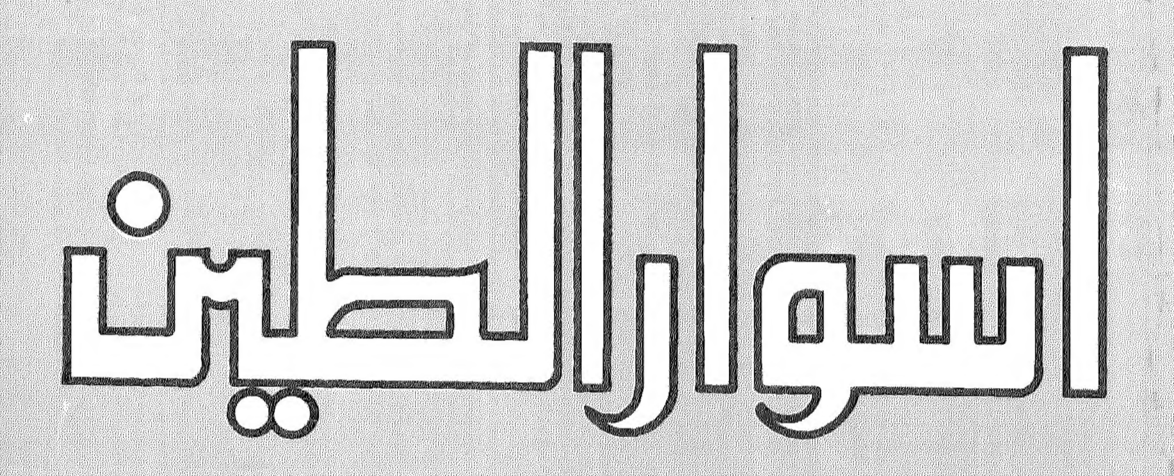
حسن العلوي



في عقدة الكويت وأيديولوجيا الضم



دار الكنوز الادبية



أسوار الطين

في

عقدة الكويت وأيديولوجيا الضم

- أسوار الطين
- حسن العلوي
- الطبعة الأولى ١٩٩٥

- دار الكنوز الادبية

ص.ب: ٧٢٣٦ - ١١ بيروت / لبنان

حسن العلوي

أسوار الطين

في

عقدة الكويت وأيديولوجيا الضم

■ دار الكنوز الادبيـة


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الكتاب

في عددها السنوي نهاية عام ١٩٩٠ تساءلت التايم الامريكية: ما هي الكويت وهل تستحق أن نموت من أجلها؟.

قد لا نستطيع التجاوب مع خطاب التايم الطافح بالتسامي والتعاظم والذي يميل الى جعل الحياة والحرية والاستقلال امتيازاً لشعوب كبيرة ولشعوب صغيرة غير شرقية.

وكعراقي هل يمكنني أن استعير خطاب التايم ولكن بأقل من ذلك التعاظم فأتساءل... هل يسعدني أن تكون الكويت عراقية؟ وأن تُكَسَّر من أجلها أطراف العراق، وتهدر ثرواته، ويقتل من أبنائه عدد يقترب من تعداد السكان البالغين في الكويت؟ وأن ينشغل المثقف والسياسي والشاعر والعامل والطالب والجندي وأمهات المفقودين والقتلى بأزمتها؟ ويخوضون صراعاً في فكر الوصل والفصل، لا يقل عن صراع الضم ومعارك الفصم!.

ان الكتابة في شأن خليجي تنتمي الى أصناف الكتابة الخطرة. وقد خضت هذه التجربة وكنت أعتقد أن القليل من الثقة بالنفس والأقل من الجرأة يكفيان لتجاوز الحافات الخطرة في الكتابة الخليجية. لكني كنت على خطأ كبير فالأمر يتعلق بالدرجة الأولى ليس فقط بذاتيات الكاتب وما سيتخذه من حيطة وحيدة وحذر بل بما يتصل بجانبين آخرين:

القراء الذين يتحصنون برؤية الخطورة في الكتابة الخليجية.. والخليجيون الذين

يكرسون هذه النظرة الى كتابات وكتاب أظهروا قدراً من التعاطف أو شيئاً من الاعجاب بمقطع تاريخي أو بمشهد من مشاهد الحياة الجديدة، فدفعوا ثمن الاعجاب سخطاً من القراء.

ولعلي لمست بمعايشة يومية للوسط الثقافي في دول الخليج الاساسية واتصالي بأصحاب القرار ومؤسسات التأثير في الرأي العام ان الإهتمام قد ينصرف الى فريق من الكتاب انتصروا لرؤية الجانب العراقي في أزمة الكويت وسطروا املاءاته فأخذت مؤسسات اعلامية في الخليج بالبحث عنهم لتطويعهم أو لتطبيعهم مع مسوقات الرؤية الخليجية للأزمة.

ويعزى هذا الموقف الى تقاليد العمل الدبلوماسي والاعلامي في دول الخليج وطبيعة علاقاتها مع مؤسسات النشر ومراكز التأثير في الرأي العام. فقد يكون من الصعب على الإعلام الخليجي التعامل خارج ذلك الوسط المألوف وسيكون من العسير عليها تصور علاقة يحمل طرفها الآخر ألقاباً وأوصافاً طالما أفزعتها مثل الحركة الوطنية، والجبهة الوطنية، أو حزب ثوري أو جماعة معارضة.

ولعلي لم أستجب لفكرة عرضها مثقف كويتي يعيش في لندن بعد يوم من الاجتياح العراقي لترتيب لقاء مع السفير الكويتي هناك مقدراً الصعوبات التي ستواجه الدبلوماسية الخليجية في التعامل مع طرف غير متلقي ولا ينتمي الى طائفة الخدمة وقد رجوت الوسيط أن ينتظر ريثما يتم استيعاب فكرة تعاون الدبلوماسية الخليجية مع زوار من نمط آخر[١].

---

(١) السفير هو غازي الريس الذي كشفت الأزمة أنه خلاف ما ذهبنا إليه فقد تصرف بحسّ طبقي ووعي وطني قريباً لما يحسه الكثير من رجال المعارضة العراقية، ولهذا فقد شقّ خبر نقله على عارفيه أمثالنا.

من جانب آخر فقد كان متوقعاً في ظروف مماثلة كما حدث للكويتين بعد الاجتياح، أن تهتز قواعد العمل الدبلوماسي، كما كان متوقعاً لها أن تعود إلى وضعها الطبيعي وبزمن قياسي. لاسيما وأن الخارجية الكويتية تستند منذ تأسيسها على اصول العمل العربي المشترك.

وعلى الصعيد نفسه لم تستسغ تقاليد الحركة الوطنية ذات القواعد العريقة الصارمة في العراق هي الأخرى رؤية جناح أو شخصية وطنية في مشهد اعلامي خليجي، فانقسم الوطنيون العراقيون الى فريقين: متفهم لضرورة الدعم الاقليمي الخليجي للقضية العراقية بعيداً عن الحساسيات التقليدية. ومعارض يرى أن القرابة التي تجمع دول الخليج مع سلطة بغداد هي ألصق من أواصر طارئة يُراد اقامتها بين هذه الدول والحركة الوطنية العراقية. وباستمرار التناقض بين الفريقين مع استمرار نمو العلاقة مع دول الخليج أوشكت كتابات الفريق الثاني بطروحاتها أن تكون اقرب الى طروحات السلطة رغم أن اربع سنوات من التجربة خلقت انطباعاً لدى الوطنيين العراقيين أن بعض دول الخليج مرتاحة من بقاء الوضع العراقي راهناً.

ان أكثر من عشرة مؤلفات في أزمة الكويت أخذت كلمة الاسرار مكانها فوق أو تحت عنوان الكتاب. واذ لا ننفي وجود سر للاجتياح فلم نوفق في العثور على ما نعتبره سراً نهائياً للاجتياح في كتب الاسرار.

ان هذا الكتاب سيلتقي مع مشروع الضم العراقي في جذوره الأولى فكرة معمرة في السياسة العراقية. ويدرس العلاقة بين ضم الكويت واحتكار السلطة في العراق وتجاهل الوضع الديموغرافي والأثني والديني والمذهبي للمكونات الاجتماعية للشعب العراقي.

وحول الاجتياح الأخير سيتوقف الكتاب عند المشروع البريطاني للانسحاب من شرق القناة والدور الاستشاري للسياسي البريطاني جورج براون واضع مشروع الانسحاب وصلة هذا المشروع بالانقلاب العراقي الذي حدث بعد ستة أشهر من اعلان بريطانيا الانسحاب من الخليج.

ويربط بين الحرب العراقية ـ الإيرانية كقاعدة اساسية وبين الاجتياح على قاعدة تفريغ القوة التي يطرحها الكتاب سبباً رئيسياً من الاسباب غير المباشرة للأزمة.

ان الكتاب ينظر الى الحرب العراقية ـ الإيرانية مقدمة/فقدت التحكم بالزمن من ثمانية أيام الى ثمانية أعوام/ باعتبارها عقداً من عقود التخادم السياسي الذي كان صدام حسين يحلم بتكراره فلم يوفق.

ويكشف الكتاب مجموعة المبادئ المستخدمة في اختبارات الضم والتي نجح

الرئيس العراقي في جر المنظومة الخليجية اليها في تجربة الحرب العراقية . الإيرانية قبل تدويرها واستخدامها في مبررات الاجتياح مثل.. كسر الاتجاه.. هوية الخصم.. الغاء التوقيع.. اشعال الحرائق النفطية. وهي مبادئ أغرت دول الخليج بالإضافة الى مشروع الصراع العربي الفارسي بالاعتقاد أن احضانها ستتسع للرجل القادم اليها مع مليون عسكري ومليون حزبي لمقارعة الطاووس الفارسي على الساحل الآخر وربما وجدت المنظومة الخليجية الى جانب الكثير من الأقاليم العربية في احياء الصراع العربي الفارسي ذرى مشهد تتمتع به بمعاقبة الخصم.

والكتاب يحاول أن يكتب سطراً أهملته كتابات عربية وأجنبية يتصل بالتجربة السياسية لكاتب هذه السطور وعلاقته بالمكان الذي خرجت منه فكرة الضم ومحاولة معالجتها في المنطقة الموبوءة وليس خارجها.

ان أزمة الكويت جعلت هذا الاسم خلال يوم واحد تلي يوم الاجتياح مفردة سياسية وشعبية وعنواناً من عناوين الإثارة الاعلامية وكأن دخول القوات العراقية في الثاني من آب ١٩٩٠ قد ادخل الكويت الى كل بيت من بيوت الأرض وانقسم الناس بين آسف وشامت ومعارض لعملية الاجتياح في اللسان ومؤيد في الوجدان أو معارض في الوجدان ومؤيد في اللسان.

ولهذا فقد توقفت عن مواصلة كتاباتي بعد الاجتياح مباشرة مفضلاً مراقبة التطورات الدرامية التي كنا نتوقعها ونبشر بوقوعها.

وكانت فترة الشهرين اللذين أمضيتهما في قبرص فترة صمت اعقبت عشر سنوات من الكتابة الصاخبة تاركاً الفرصة لمعارضين جدد طفحوا على شاشات التلفزيون وسطوح الصحف بعد عشر سنوات من الصمت أو عشر سنوات من التعاون الإيجابي مع السلطة. كان بعضهم متسربلاً بالخوف وكان البعض الآخر قد انقطعت به سُبل التعايش مع بغداد بعد اعلان الحصار الاقتصادي عليها.

ولعلي تعمدت تأخير اصدار الكتاب الذي كان المفروض أن يكون أول اصدار لي بعد الاجتياح حتى ينتهي آخر عرض من عروض الأزمة التي شوهدت داخل مالا يقل عن مئة وخمسين كتاباً.

حسن العلوي
بيروت . أيار . ١٩٩٥

هرولة نحو حالة الاستقطاب

جذور الضم



جاذبية الاستقطاب العراقي

شارف العراق على الخامسة والسبعين من عمره، لكن صادراته السلوكية والسياسية ظلّت في معظمها تنتمي الى مسالك الفتى المفتون.

وانعكاساً لهذا المسلك ما انفك الواقع العربي يستقبل قضية عراقية جديدة، ولما يتسنَّ بعد للقضية السابقة أن توارى الثرى. حتى أوشك العراق أن يتحول الى مشكلة يومية للعرب، لكنه في الجانب الأول هو قطر الاستقطاب العربي الأوفر حظاً والأكثر نذراً حتى ليبدو للمستقطبين العرب هالة القمر في الليالي المعتمة.

فهل استعمل العرب المستقطبون معايير خاطئة في قياس حماستهم العراقية؟ لا سيما وأن الواقع المحلي للعراقيين لا يشير الى تلك الصورة المبهجة المرسومة عن العراق في الذهن العربي؟

أم لأن للسلطة العراقية سياستين:

داخلية خاصة بالعراقيين مثيرة للإشمئزاز.

وخارجية مع العرب مثيرة للحماس.

فاذا أُعلن قدرٌ عن هذا الخلاف بين العراقيين وسلطتهم انحاز القلب العربي للسلطة خاشعاً وتقمص دورها متطوعاً لله أم بثمن لغير الله، فبدا الحرص العربي شديداً على قطر الاستقطاب القومي من قوى تحيق به، وليس على مواطنين تحيق بهم عادية السلطة ومشكلات الحرية والديمقراطية!!

وبقدر ما تتسع دائرة النفرة الشعبية الداخلية من سياسة السلطة خلال ثلاثة أرباع القرن، الا في فترات تكاد لا تشكل حيزاً زمنياً، تتسع دائرة الاستقطاب العربي للسلطة.

ان سمعة السلطة العراقية في الوسط العربي حسنة في الغالب باستثناء

ولاية نوري السعيد الذي كان سلوكه القمعي واعتماده على العامل الخارجي ونفرته من الحلول الديمقراطية قد دمرّ جسوره العربية لاسيما في مرحلة المواجهة مع الإعلام الناصري. وباستثناء فترة عبدالكريم قاسم التي لم تفهم عربياً بشكلها الصحيح وقد تعرضت هي الأخرى لفوهات الاعلام العربي، فان المحيط العربي يستخدم التفسير القومي الموروث في تحليل المشكلات العراقية مبرراً معاناة السلطة العراقية من مشكلات الجوار الجغرافي متمثلاً في ايران بشكل خاص والتعدد المذهبي والأثني في المجتمع العراقي حتى استحال نضال الشعب العراقي مؤخراً الى مصطلح المعارضة الشيعية والكردية، فيما هي حركة شعب ضد الاستبداد والطغيان مما أوقع الحركة الوطنية العراقية في مأزق العزلة عن نظيراتها العربيات فيما هي- وعلى مدى سبعين عاماً- شريك فعال لنصرة أية حركة وطنية عربية تخوض مشكلات مماثلة، فقد خاضت الحركة الوطنية العراقية مع نظيرتها المصرية في نضالها لإلغاء معاهدة ١٩٣٦ مع بريطانيا واجلاء القوات البريطانية عنها، لكن الحركة الوطنية المصرية لم تبذل وعلى أي مستوى اهتماماً موازياً لنصرة الحركة الوطنية العراقية في نضالها المماثل. وعلى صعيد فلسطيني سقط اعضاء عراقيون شهداء في أكثر من عملية فلسطينية، بينما لم تكتف المنظمات الفلسطينية الصديقة بالتفرج على سقوط عراقيين على يد السلطة وانما انحازت بيمينها ويسارها الى سلطة بغداد.

وساندت الحركة الوطنية العراقية مطاليب الكويتيين قبل الاجتياح العراقي للكويت أو بعده فيما لم يظهر من أقطاب الحركة الوطنية الكويتية الا على مساحة ضيقة مواقع تعاطف مع مطاليب الحركة الوطنية العراقية، وربما يفسر ذلك بالتأثيرات القديمة للاستقطاب القديم.

فهل يستند هذا الاستقطاب على أسس ميدانية ملموسة أم هو مجرد هرولة نحو نقطة الضجيج؟

اعتقد أن جملة عوامل وشروط واجراءات ساعدت على ظهور هذا الاستقطاب ونموّه.

فقد امتزجت في الذهن العربي الانجازات القيمية للمحطة السومرية والمحطة البابلية بالإنجاز القيمي للمحطة العباسية وانغرست صورة التشريع البشري الأول بشعر الشعراء الذين غاصوا في النفس البشرية وخرجوا بأبنية شعرية لم تزل شاهقة.

ونجح خبراء الدولة العراقية في الأيام الأولى من تأسيسها في صياغة نظام فكري وسياسي لمركز استقطاب شاهق.

وشجع على تسويق صورة جميلة للعراق مسلسل من الثورات الوطنية بدءاً من حركة الجهاد ضد الاحتلال البريطاني والثورة الوطنية الشاملة ضد القوات البريطانية عام ١٩٢٠ وجاذبية الشعار الذي رفعه الثوار العراقيون باقامة حكومة عربية دستورية يحكمها ملك عربي، متجاوزين في تشوفهم القومي حدوداً توقفت عندها شعوب عربية في أقطار أخرى. وقد زاد في اشعاع تلك الصورة أن يكون قائد العراق الجديد هو النجل الأكثر شعبية من أنجال الشريف حسين بن علي زعيم الثورة العربية، الأمير فيصل بن الحسين الذي كان قد خرج من تجربته الشامية للتوّ بعد مواجهة عسكرية ضد الفرنسيين في معركة ميسلون الشهيرة.

وهكذا دخل الأمير فيصل الى بغداد ومعه تراث قومي وتجربة درامية وكادر عربي من بلاد الشام ممن ساهم الى جانب والده في الثورة العربية.

ولأن بلاد الشام مركز التسويق الأول للاحكام القومية فقد التقت المسوقات الجميلة عن الأمير العربي القادم الى العراق مع التراكمات الجميلة لمحطات الحضارة السومرية والبابلية والعربية.

وفي صياغة النظام السياسي للدولة الجديدة لم يلتفت خبراء بناء النظام لديموغرافيا العراق، ولم يُبذل جهد في استقراء أوضاعه الاجتماعية والاثنية والدينية، ولا في تحليل طبيعة الوسط العراقي ومشكلاته التاريخية، ولم يؤخذ عدم التجانس الاجتماعي في الوسط العراقي بعين الاعتبار، مكتفين بمراعاة الوضع الخاص للملك الجديد وحاشيته العربية وانسجامها مع المصالح البريطانية، مستغلين، الى أدنى شروط القبول، شعار الثوار العراقيين بحكومة عربية.

لكنهم لم يبنوا نظامهم الجديد من فراغ. فالعراق جزء من الأمة العربية وامتداد لها وان ما يصلح لغيره من البلدان العربية يصلح له، ولأنه أول شطيرة عربية تقام عليها حكومة خاصة بعد انحلال الدولة العثمانية، فلا أقل من أن تكون صورة

الحكم الجديد نموذجاً مصغراً لمجتمع الأمة العربية، فاعلنوا عن قومية السلطة غير مبالين بسكان عراقيين غير عرب كالأكراد والتركمان.

ولأن العرب في الوطن العربي، غالبيتهم العظمى ينتمون الى المذهب السني، فقد اقاموا الدولة الجديدة على هذا المذهب، غير آبهين بالأغلبية العربية التي تأخذ بالمذهب الجعفري في العراق.

العراق البسماركي والضم

يتفق القادة العسكريون والسياسيون ورجال الإدارة الحكومية في مراتب الدولة العليا على مربع النهج المعروف لدى الاستاذ ساطع الحصري. فولاؤهم السياسي لبريطانيا نقي بلا شائبة، واعجابهم يتسامى مثل اعجابه بالايديولوجية الألمانية، ورغبتهم لا تقل انحداراً عن رغبته في استمرار مواصلة العمل الاداري والتعامل مع الناس في الداخل على النسق التركي الموروث، والتأكيد على ضرورة ايقاد المصابيح القومية في خطاب الدولة وعلى حدودها.

وفي داخل هذا المربع يتعايش المتحمسون امثال سامي شوكت وشقيقه ناجي شوكت وياسين الهاشمي ورشيد عالي الكيلاني مع قادة معتدلين امثال نوري السعيد وجميل المدفعي وعلي جودت الأيوبي وفاضل الجمالي، فعاش هذا المربع أجمل أيامه في الفترة التي سبقت الحرب العالمية الثانية وتصرف فريق من هؤلاء الساسة بعيداً عن مرجعهم في الإدارة البريطانية في بغداد، وسمحوا لرجالهم بالالتقاء مع الدبلوماسية الألمانية والحديث معها بما هو خاص.

ان المدير العام للمعارف الدكتور سامي شوكت الوثيق الصلة بنوري السعيد يروي للسفير الألماني الهر غروبا أن نوري السعيد أمره لدى تعيينه مديراً للمعارف العراقية أن يعنى بتربية الناشئة على غرار النموذج الألماني في بث الروح العسكرية، وأن حركة الناشئة (الفتوة) التي اشترك وفد عنها في مؤتمر الحزب [1] المنعقد في

(١) يعني الحزب النازي الألماني بزعامة هتلر.

نورنبورغ في السنة الماضية تضم الآن كل الناشئة العراقية، ويبلغ عدد اعضائها ٦٣ الفاً [١].

ويبدي فاضل الجمالي المعروف بثقافته الأميركية اهتماماً مماثلاً بما هو ألماني، ويتحدث هو الآخر الى السفير الألماني بنوع من التعاطف قائلاً: انه انبرى بكل نفوذه وشخصيته كمسؤول كبير في وزارة المعارف لحماية المعلمين الألمان الثلاثة رداً على طلب الانكليز باخراجهم من العراق. وأبدى رغبته بتجديد عقودهم. وكان هؤلاء الألمان ناشطين كدعاة للنازية ولم يتأخروا عن الترويج لسياسة هتلر في العراق [٢].

والى جانب هؤلاء الدعاة النازيين من الألمان استقدمت وزارة المعارف العراقية مدرسين لدور مماثل من سورية ولبنان كدرويش المقدادي وأنيس النصولي لاستكمال حملة التثقيف البسماركي.

ان ثقافة الضم تأخذ مداها الرحب في ميادين الدرس وفي ميادين العسكر، فاذا كانت اعمال التثقيف البسماركي على هذا النحو من الحيوية والنشاط فلنا أن نتصور المديات الغائرة في المجهول التي سيذهب اليها رجال المؤسسة العسكرية العراقية التي يشير تاريخها في تلك الفترة والفترات المتلاحقة الى رسوخ نزوعها نحو المدرسة الألمانية، وبدا للمراقب أن بسمارك قد بنى ثكنة في كل ثكنة عراقية.

ومهما بحثنا في أسباب اول انقلاب عسكري عربي حدث في العراق عام ١٩٣٦ فلن يكون بامكاننا تبرئة زعيم الانقلاب الفريق بكر صدقي من احلامه النازية المخلوطة بالأتاتوركية التي كانت هي الاخرى طاغية ليس على احلام العسكريين بل على عقول الساسة أيضاً، الذين تنازعوا حتى الموت على دور اتاتوركي في غياب فيصل الأول وتتويج نجله قليل التجربة، غازي ملكاً على العراق، فارتبطت باسمه اول محاولة معلنة لضم الكويت.

---

(١) مذكرات الدبلوماسيين في العراق، ترجمة نجدت فتحي صفوت، ص١٤٤ .

(٢) وضع الجمالي عندما أصبح وزيراً للخارجية بتأثير المدرسة الألمانية مشروعاًللضم الجزئي للكويت حمله إلى بريطانيا الأمير عبد الاله.

وفي هذا السياق الذي لم تكشف ابعاده المحلية للرأي العام العربي كان ثمة اجراءات وقرارات صادرة عن السلطة الملكية تثير اعجاب القادمين العرب ولم تزل تثير اعجابنا الشخصي، ان العربي يعامل في العراق كما لو كان عراقياً، فهو يقيم بلا دفتر اقامة ويمتلك العقار ومؤسسة العمل دون موافقات مسبقة، ولطالما فتحت ابواب التجنيس لموجات عربية من المغرب ومصر وحتى فلسطين فأضافت السلطة وهجاً قومياً لصورتها في الخارج العربي فيما كانت تعالج ما تعتبره خللاً ديموغرافياً ليس لصالحها. ذلك أن العرب القادمين اليها انما يحملون ذات الهوية المذهبية والتي كانت سبباً دفع السلطة لاستقبال العديد من الأتراك والأفغان والهنود ومنحهم الجنسية العراقية وتعريبهم فبرز منهم وزراء وزعماء احزاب وقادة قوميون!.

فهل تضافرت البرامج البسماركية والحاجة لتعديل النسب الديموغرافية سبباً مباشراً وأصيلاً دفع رجال السلطة العراقية الأوائل الى التفكير والعمل أيضاً على تدعيم فكرة الضم العراقي للكويت يوم لم تكن الكويت تشكل جاذبية مالية تذكر؟!

ان عقدة النقيب كان يمكن فكها وتحليلها بطريقة اقل كلفة من طرق انتهجتها السلطة العراقية التي اعتادت البحث عن علاج لعقدتها خارج العراق بدلاً من الرضوخ للواقع والاعتراف بحقوق المواطنة في التمثيل الديمقراطي الجغرافي الكامل، واحلال مبدأ المشاركة الوطنية في السلطة القائمة.

ومن جانبنا فسنواصل منهج الاستقصاء لتوضيح الصلة بين عقدة النقيب وعقدة الكويت في السياسة العراقية ودور الغطاء الأيديولوجي الألماني، كمسوّغ قومي لتنفيذ فكرة الضم.

وبين أول مطالبة بالضم في مطلع الحكم الملكي العراقي وآخر اجتياح جمهوري للكويت لم يزل ذلك العاملان الاساسيان الى جانب العديد من العوامل الثانوية، يدعمان سلسلة مثيرة من محاولات الضم البسماركية كعامل ايديولوجي، وسلطة الأقلية التي تدفع باتجاه اية محاولة لترفيع النسب السكانية المتدنية لمذهب السلطة. وتفتيت النسب السكانية العليا للأغلبية العربية.

ولهذا فان قاعدة من قواعد الضم يمكن أن تكون صحيحة اذ تستعر رغبة الضم في رجل السلطة عندما تلتقي وراء ضلوعه رغبة قومية في خطاب قومي حاد، ورغبة قوية في عمل لتقريب الفوارق الديموغرافية في العراق ويمكن أن يكون ياسين الهاشمي وشقيقه ورشيد عالي الكيلاني ثم صدام حسين مؤخراً من أبرز دعاة الضم.

وتخفّ الرغبة في الضم عندما تخفّ حدة العاملين في قلب السياسي العراقي الذي قد لا يتنازل عن فكرة الضم لكنه قد يكتفي بالضم الجغرافي الجزئي أو الضم المالي كما في مشروع نوري السعيد الذي عرضه أكثر من مرة آخرها عند قيام الاتحاد العربي الهاشمي بين العراق والأردن عام ١٩٥٨ . ويبقى خارج هذه القاعدة عبد الكريم قاسم كأبرز زعماء الضم بسبب نقائه من الشوائب الطائفية وعدم ميله للمشروع القومي الوحدوي لكنه يمكن أن يكون مثالاً على تغلغل الثقافة البسماركية في العسكريين العراقيين بشكل عام ورسوخ فكرة الضم على الطريقة الألمانية. ويبدو الرئيس عبد السلام عارف بجنوحه القومي الجارف وتهوره الطائفي مثالاً للشخصية التي نتحدث عنها باعتبارها شخصية ضم، غير أن السجلات الكويتية وسجلات الخارجية العراقية لا تشير الى انتمائه لفكرة الضم. وقد اطلعت على نص في كتاب المقايضة للدكتور ابراهيم علاوي والذي اعتاد أن يستخدم اسماً مستعاراً هو نجم محمود مقتبس من كتاب ثورة الشواف للعميد المتقاعد خليل ابراهيم حسين، معاون مدير الاستخبارات الاسبق ومن المقربين لعبد السلام عارف، يصرّح فيه أن عبد السلام عارف قد اقترح على عبد الكريم قاسم، وكان نائبه اذ ذاك، أمام وفد كويتي قدم بغداد للتهنئة بانتصار الثورة أن يزحف الجيش العراقي على الكويت أو يدبرّ انقلاباً عسكرياً فيها بمساعدة بعض الضباط الكويتيين قائلاً:

سأكون أول جندي يدخل أرض الكويت [1]

ولم تشر الرواية الى هوية الوفد الكويتي وأغلب الظن أن الوفد كان من جماعات معارضة، ممن ينتظر حدوث تغيير في بلاده على النمطين المصري

(١) ابراهيم علاوي: المقايضة ص٢٩٢ ،ثورة الشواف ج١ ، ص ١٥٧ .

والعراقي.

لكن الكويتيين نكاية بعبد الكريم قاسم كانوا قد وضعوا اسم عبد السلام عارف على شارع رئيسي، وسط عاصمتهم، وهذا يؤكد أن وفد التهنئة الكويتي كان معارضاً ولم ينقل خبر ما حدث لهم في بغداد لحكومته التي بقيت حسنة الظن بالرئيس عبد السلام.

وأقصت التطمينات التي قدمها الرئيس عبد الرحمن عارف الذي استخلف شقيقه للكويتيين اثناء زيارته الكويت والانطباعات العامة عن شخصيته احتمالاً في أن يكون هذا الرئيس بعيداً عن الأتباع البسماركيين مثل بعده عما هو طائفي. ويعزز هذا الاعتقاد أن ديكوره الخارجي يوحي بالصدق والهدوء على غير الانطباع المعروف عن شقيقه. لكن أزمة الاجتياح العراقي للكويت كشفت للرئيس عبد الرحمن عارف شخصية منسجمة مع القواعد العامة والشروط التقليدية لقائد في السلطة العراقية عندما سمح لنفسه وهو الذي أزيح بانقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨ ونفي عن العراق وأعيد شبه مخفور وأسكنَ في داره شبه مجبور بالظهور في تلفزيون بغداد ليعطي بيعته لصدام حسين لأنه على حد تعبيره "الرئيس العظيم الذي أنجز ما كنا نحلم به ونقصّر في الوصول اليه".

الخط البياني للضم

ان هذا العرض يمكن أن ينشر بين القراء انطباعاً شبه راسخ بأن فكرة الضم تأخذ مكانها الستراتيجي في السياسة العراقية ليست هدفاً بل حلاً لمشكلة أو الخروج بالمشكلة بعيداً عن مواقع الحدث. وأن فكرة الضم رغم انها لم تكتب في منهاج وزاري أو خطاب عرش فهي (سياسة مضمومة واحتياطي مضموم) سرعان ما يستلّه القائد السياسي من الرف السري المهجور ليخرج بعد ساعة وأخرى خبراً يحتل مكانه الأول والأعلى والأهم في وسائل الاعلام.

على انها سياسة مضمومة، فان السلطة لم تتوقف عن الترويج لفكرة الضم دون

تسمية الكويت سواء في التعليم أم في وسائل الاعلام أم في وقوف ممثل العراق الدائم في الأمم المتحدة الى جانب الدولة الكبيرة التي تحمل فكرة ضم مماثلة. فالعراق لم يقف جدياً كدولة مسلمة ضد محاولات الهند ضم كشمير ولا ضد المطاليب المغربية الأولى في ضم موريتانيا. ولم تنتصر حكومة بغداد اليسارية لليسار الصحراوي الذي أقام جمهوريته المعزولة في الصحراء المغربية. ولم يقف ضد تركيا في غزو قبرص.

لكن صدام حسين ينفرد بأنه رغم احتفاظه بملف الضم في درج بين يديه، فانه اسرف في ارسال اشارات بل لعله اجرى عدداً من اختبارات الضم خلال عشر سنوات من حكمه المشترك مع الرئيس احمد حسن البكر وعشر سنوات اخرى بعد انفراده بالسلطة.

واذ يختلف زعماء الضم بين دعاة للضم الجزئي ودعاة للضم الكلي ودعاة للضم المالي فانهم يتفقون بالاجماع على وجوب الضم البحري وربط جزيرتي وربة وبوبيان بميناء البصرة. وقد هيأ الكويتيون لأنفسهم مناخاً مثالياً (سنأتي على تفاصيله لاحقاً) لدفع الجانب العراقي في سنوات الحرب العراقية الإيرانية الى انضاج فكرة ضم الجزيرتين.

ومن الطبيعي أن يتذبذب الخط البياني لفكرة الضم صعوداً ونزولاً بين حكومة وأخرى حسب قوة الضغوط المحلية ونوع المستجدات الدولية ووفقاً لحكمة أو مزاجية الرأس الأول في السلطة.

وتتحكم في الخط البياني لتطور فكرة الضم في الجانب العراقي ظروف التطور في البلد الآخر. فاذا كانت الكويت في بداية نشوء حاجة الضم مجرد كمية سكانية ومنطقة حدودية ترضي رغبة الحاكم العراقي في رؤية مدن الحدود الثلاث.. الموصل مع تركيا والرمادي مع سورية والكويت مع الخليج والسعودية من ذات النسق، فان الكويت في نهاية الثلاثينات حركة قومية ومد شعبي يتناغم مع نظيره العراقي.

أما في الخمسينات حيث سنوات الازدهار العراقي وظهور مجلس الإعمار بعد ارتفاع عائدات النفط بفضل حركة مصدق في ايران وما تركته من تأثيرات جعلت شركات النفط تعمم مبدأ المناصفة في الأرباح مع الدول المنتجة للنفط، فقد كانت

الكويت تحبو نحو لملمة كثبانها استعداداً لدخول العصر الحديث.

لكن واقعاً جديداً أخذ ينشر خطوطه في كلا البلدين منذ اعلان مطالبة الزعيم عبد الكريم قاسم بعائدية الكويت للعراق أي منذ عام الاستقلال الكويتي ١٩٦١ الى عام الاجتياح العراقي ١٩٩٠ . فاذا كان العراقيون ينعون دستورهم الدائم الذي ألغي منذ ثلاث سنوات، ليحل محله دستور مؤقت [1]، كان الخبراء العرب معتكفين في مشاورات لا تنقطع مع القادة الكويتيين لتشريع الدستور الدائم للبلد.

واذ كانت الحركة الديمقراطية في العراق تناشد الزعيم عبد الكريم قاسم اقامة نظام دستوري واجراء انتخابات برلمانية، كان الكويتيون يخوضون اول تجربة برلمانية لهم بعد اربعين عاماًعلى دخول النظام البرلماني الى العراق .

واذ كان الشارع الكويتي يحتفل ببدء مرحلة جديدة من الاستقرار السياسي والاجتماعي، كان الشارع العراقي يجرب بعد قمع طويل ممارسة حريته السياسية فيصطدم التيار بالآخر ويضج الشارع بالصراخ .

لكن هذه الصورة العراقية المضطربة ستبدو أجمل وأكمل وأفضل من أية صورة عرفها العراقيون بعد انهيار ثورة ١٤ تموز واعدام زعيمها عبد الكريم قاسم.

ان عهداً من حكومات القرى بدأ يرشي أعرافه وتقاليده، وان عسكريين على مستوى أمراء الأفواج شرعوا يتقدمون نحو المقاعد الأولى في قيادة الدولة مكرّسين علاقات تتحادر نحو الولاء الجغرافي الصغير على حساب المصالح الوطنية والقومية.

في هذه الفترة (١٩٦١ ـ ١٩٩٠) تداول السلطة دستورياً ثلاث أمراء كويتيين بعد وفاة طبيعية. فيما سُجل في الجانب العراقي أربعة انقلابات ناجحة وستة فاشلة وأربعة لم تنفذ. وكانت الحصيلة النهائية اعدام أو اغتيال ثلاثة رؤساء وزارة وثلاثة وزراء دفاع وثلاثة مدراء أمن وسبعة من قادة الفرق وحاكم عسكري عام.

(١)ألغي الدستور العراقي الدائم في ١٤ تموز ١٩٥٨ ، وصدر دستور جمهوري مؤقت، وأُلغي الأخير أيضاًبدستور مؤقت، وألغي هذا الدستور بدستور رابع مؤقت مما يجعل العراق في وضع استثنائي منذ ٣٧ سنة.

وتصفية زعماء ثلاثة حركات كبرى هي الحزب الشيوعي بأمر من رجال السلطة الجديدة، وحزب البعث العراقي الذي قتلت زعامته زعامته!، والحركة الاسلامية كما هو معروف.

في هذه الفترة أصدر رئيس وزراء العراق طاهر يحيى التكريتي قرارات مصادرة وتأميم أعدها الدكتور خير الدين حسيب الذي استحوذ على المؤسسة الاقتصادية وارثة التجارة الداخلية والخارجية لجميع التجار في العراق، فقننت السلطةاستيراد سيارات العمل وسيارات الاستخدام الشخصي وأدوات المدنية الحديثة فاختفت يوماً بعد يوم مظاهر حضارية في الشارع العراقي، وبدأت ملامح من الفقر الجديد تلقي بظلالها على المدن العراقية في الوقت الذي كانت ملامح في الغنى الجديد تظهر في طرق الكويت الرملية.

لقد دخلت اشتراكية حسيب وطاهر يحيى طرفاً في معادلة الضم. وباستمرار انخفاض الناتج القومي واشتداد الصراع على السلطة بين أبناء القرى المتنافسة والذي انتهى بانقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨ وظهور احمد حسن البكر وصدام حسين على رأس السلطة وما رافق ذلك من تطورات هيأت لانفراد الأخير في السلطة واعلانه الحرب على ايران وممارسة قمع اسطوري فريد، تكرست في المجتمع العراقي نظرتان الى الكويت:

واحدة منها تتفهم معنى أن يكون البلد النفطي فقيراً وتحدد مسؤولية الإفقار بسياسة السلطة. فيما كانت الأخرى تتحدث عن مأساتها، وكأنها لا تعيش في بلد نفطي. ولعلها في أعماقها أو على لسانها تتمنى أن يظهر عبد الكريم قاسم من جديد ليبتلع الكويت ومرفهيها.

ان صدام حسين ومعه مثقفون عرب كانوا يروّجون لهذه النظرة. وتتبنى مؤسسات نشر ومراكز دراسات ممّولة من الحكومة العراقية منهجاً معكوساً للتشهير بدول النفط المرفهة، والإشادة بدول نفطية لم تظهر عليها وعلى شعوبها آثار الرفاه الذي ينفجر عادة مع انفجار النفط في أية ارض. وتتعامل في طروحاتها مع الشأن العراقي وكأن هذا البلد لا يمتلك حقولاً اسطورية للنفط ولا أنهاراً عذبة ولا أرضاً صالحة للزراعة.

الوطنية الأولى والضم

لم تثمر جهود الدعاة البسماركيين والمبشّرين بالضم في خلق تيار شعبي عراقي موازٍ لتيار السلطة في سعيها لضم الكويت خلافاً لما يذهب اليه كويتيون على مستويات مختلفة من الاعتقاد بأن كل مواطن عراقي يمتلك رغبة صدام حسين في اجتياح الكويت وضمّها. وقد يكون التعبير سليماً اذ أقررنا أن كل حاكم عراقي وكل تابع من اتباع المشروع البسماركي لإحتكار السلطة يحمل نفس الرغبة في هذا الاتجاه.

ان العراقيين الذين استبعدتهم الدولة منذ تأسيسها عن الاسهام الفعلي في ادارة شؤون البلاد ليسوا معنيين بمحاولات توسيع جغرافيا البلد باضافة مئة الف أو نصف مليون الى جنس السلطة أو للظهور بدور البطل الغازي والقائد الفاتح.

ولهذا خلت برامج وبيانات صادرة عن وطنيين عراقيين أسسوا تجمعات في مطلع هذا القرن من الإشارة الى الكويت باعتبارها مسألة عراقية أو همّاً وطنياً.

وعندما بدأت الحرب العالمية الأولى ودخلت القوات البريطانية البصرة وتصدت لها ميليشيات المجاهدين العراقيين لم يضع زعماء حركة الجهاد الكويت أو الكويتيين في لوائحهم كما لم يفكروا بما هو أبعد من مصب شط العرب.

وفي أعقاب احتلال البريطانيين لبغداد عام ١٩١٧ وعبور قوات الاحتلال الى غربي الفرات واقتراب دورية عسكرية من مدينة النجف انفجرت في تلك الأثناء انتفاضة مسلحة داخل المدينة أشرفت عليها جمعية النهضة الاسلامية، وهي أول حزب عراقي سرّي منظم وله برنامج اسلامي واسع وقد خلا هذا البرنامج من الإشارة الى الكويت لا كمحطة ولا كموقع ولا

كمدينة من تلك المحطات والمواقع والمدن التي كان البرنامج يسعى لتنظيمها وطنياً واسلامياً.

وفي الفترة التي كان فقهاء وزعماء وشيوخ قبائل وطنيون يستعدون لثورة تحررية شاملة ضد الاحتلال البريطاني تستهدف اقامة دولة عراقية مستقلة، نشرت رسائل من زعماء الثورة الى زعماء ومسؤولين في الغرب تحددت فيها خارطة العراق من الموصل الى مصب شط العرب في الخليج.

ولو كانت الكويت في الذهن الوطني العراقي عراقية لدخلت في برامج الأحزاب ومطاليب الثوار لتحريرها ونيل الاستقلال باعتبارها جزءاً من الوطن المطلوب تحريره.

لقد اطلّعت، بحكم عملي، على معظم وثائق ثورة العشرين العراقية ولم أقف على ما يوحي بأن لواء البصرة المطلوب تحريره كجزء من العراق يمتد الى مدينة الكويت.

ان من المناسب أن نتوقف عند هذا الحد تاركين لمؤرخ العراق الحديث الاستاذ عبد الرزاق الحسني، وهو يستعرض في كتابه تاريخ العراق السياسي الحديث الصادر عام ١٩٤٨ [(١)] مناهج الأحزاب التي تمّ تشكيلها في العراق في عهد الانتداب البريطاني، وهي عشرة احزاب خلت برامجها من الاشارة الى الكويت في ظروف سياسية لم يتحدد فيها بعد شكل الدولة العراقية النهائي. وكان يمكن لو كانت للكويت صلة بالعراق أن يشار اليها سلباً أو ايجاباً. كما تناول الاستاذ الحسني في كتابه منهجي الحزبين اللذين تأسسا في عهد الاستقلال وقد خلا كل منهما مما خلت منه برامج الأحزاب السابقة وهذه الأحزاب هي:

الحزب الوطني العراقي.

جمعية النهضة العراقية [(٢)].

---

(١) ص ٢٤٨ - ٢٦٦/ م٣ من الطبعة السابعة ١٩٨٩ .

(٢) هي ليست جمعية النهضة الاسلامية التي قادت انتفاضة النجف ضد القوات البريطانية المحتلة عام ١٩١٨ واعدم أحد عشر زعيماً من قادتها.

الحزب الحر العراقي.

حزب الأمة [١].

حزب الاستقلال العراقي [٢].

جمعية الدفاع الوطني عن ولاية الموصل.

حزب التقدم.

حزب الشعب.

حزب العهد العراقي.

حزب الوحدة الوطنية [٣].

جمعية الإصلاح الشعبي.

ومن الملاحظ أن معظم هذه الأحزاب قد نصّت في مناهجها على أن غاية الحزب السياسية هي المحافظة على استقلال العراق التام بحدوده الطبيعية ولم تدخل الكويت في تلك الحدود، كما لم تكن هدفاً مستقبلياً لأي حزب. ولو كانت الكويت جزءاً من العراق لتشكلت منذ ذلك الوقت أحزاب على غرار الأحزاب التي أسست للدفاع عن عائدية الموصل وكونها عراقية واستخلاصها من مطامع الضم التركي.

واذ نودّع هذا الملف المستقى من الاستاذ عبد الرزاق الحسني نلتقي مع الأحزاب الوطنية التي تشكلت فيما بعد ومنها:

الحزب الشيوعي العراقي.

حزب الاستقلال.

(١) هو غير حزب الأمة الذي أسسه صالح جبر في الخمسينات.

(٢) هو ليس حزب الاستقلال الذي شكله محمد مهدي كبة وصديق شنشل في الأربعينات.

(٣) الحزبان الأخيران تأسسا بعد اعلان استقلال عام١٩٣٢ .

الحزب الوطني الديمقراطي.

حزب الأحرار.

حزب الجبهة الشعبية.

حزب البعث العربي الاشتراكي.

حركة القوميين العرب.

التنظيمات الناصرية.

ومن هذه الأحزاب والتنظيمات تشكّلت جبهة وطنية وقومية أكثر من مرة في تاريخ العراق السياسي الحديث ولم تكن الكويت حتى بالنسبة للقوميين في هذه التشكيلات هدفاً للضم.

ان هذا العرض قد يساعد على تصحيح تصورات كويتية ازاء مسؤولية الشعب العراقي وقواه الوطنية المعارضة لما تعرضوا له من استباحة وتدمير اثناء اجتياح قوات السلطة وحزبها لبلادهم بمثلما يساعد على تكريس تصوراتنا حول كون الضم مشروع سلطة لا مشروع شعب. وسنوالي التعرض الى هذه المسؤولية في صفحات لاحقة.

وهنا سأكرر تساؤلي في مقدمة الكتاب:

كعراقي هل يسعدني أن تكون الكويت عراقية؟

اي أن تصبح (مالتنا) بتعبير الخطاب الفج لإعلام السلطة.

أعتقد أنها واحدة من محاولات كسر الاتجاه وهي سياسة تغذيها السلطة وتمارس قواعدها على قواعد الحياة العامة. وتقضي بأن تنحرف مسارات النقمة وتتحول اصابع الاتهام من السلطة الى جهة بعيدة عن أية مسؤولية وذلك بافتعال حدث أو تسويق خبر يشغل الرأي العام عن متابعة سلوك السلطة والإنغماس في أمور تُنسي الرأي العام قضيته الاساسية.

ان شعار.. "الكويت مالتنا" أو "صارت مالتنا" يفهم منه ما يؤكد أن السلطة العراقية قد استكملت حلقات الوصل الوطني ومكنّت العراقيين من امتلاك ارادتهم الوطنية وآبارهم النفطية واشبارهم على

الأرض ومكاييلهم من الماء وحصصهم من عوائد الأوبك ولم يبقَ الا أن تستزيدهم طمعاً بامتلاك ما ليس لهم والنوم على وسائد الترف حالمين بمطاياهم الجديدة من الرولز رايز والبورش [1].

(١) وكمثال على دخول السيارة إلى عالم صدام حسين المزحوم بالعقد أباح لأبناء عائلته وحاشيته وضباط الاحتلال بالاستحواذ العشوائي على سيارات الكويتيين الفارهة ونقلها إلى بغداد فيما أعطى للشعب العراقي وعداً بأنه سيجعل سعر السيارة بفضل احتلال الكويت بمثل سعر النعجة. لكن النتيجة أن سعر النعجة في العراق صار الآن مثل سعر السيارة في الكويت.

في هذا السياق يُراجع مقالنا المعنون: هل الكويت محفظة نقود في جيب صدام، المنشور في جريدة الجهاد في ٤/نيسان/١٩٨٣ .

أسوار الدستور

العراق الملكي والكويت الأميري



صندوق الأمير لحماية الطفولة العراقية المشردة

في الأيام الأولى من عودة الحكومة الى الكويت بعد اخراج القوات العراقية منها ولقائي بالمسؤولين الكويتيين، سألني الأمير عن صورة الكويت في الذهن العربي بعد أزمة الاجتياح؟ قلت، بحضور الشيخ ناصر المحمد، أما الدول، فسموكم أدرى. واما أهل العراق، فهم بين شامت وآسف. ولكن الاعتقاد السائد في الأيام الأولى للإجتياح، أن واحداً من اثنين سيحدث، وكلاهما مفيد. فاما أن ينتهي الاجتياح بسقوط صدام حسين، أو أن ينجح العراق بضم الكويت، فيتحقق (وعد صدام) بجعل السيارة بسعر النعجة!! وينعم بالرفاه فقراء العراق في الجنوب والشمال!. بينما كانت تقييمات العراقيين في المنفى قريبة الى حد من هذا الاعتقاد، لكنهم اظهروا قدراً من المعارضة لزيادة الضغوط على صدام حسين، فيما كانوا في أعماقهم مثل اهلهم في الداخل، يراهنون على أن خلاصهم سيأتي من الكويت. لكن هذا التصور انقلب رأساً على عقب بعد حشود قوات التحالف وشعور العراقيين ان صدام حسين يُعد لهم مجزرة على غرار القادسية. ومادام الحديث عن العراقيين في المنفى، فهل يسمح لي صاحب السمو بأن اعرض مقترحاً يتصل ايضاً بنظرة الرأي العام العربي للكويتيين، اذ أثار تبرع سموكم بمليون باون استرليني لانقاذ حديقة حيوانات بلندن، شعوراً بعدم الرضا والارتياح في الاوساط العامة، لا سيما أن بعض الصحف البريطانية لم ترحب بهذا التبرع، فهل كان الأمر ضرورياً؟ أجاب الأمير، بأن الأمر كان ضرورياً لتحشيد الرأي العام لصالح ابنائنا الأسرى في العراق، عن هذا الطريق او عن أي طريق آخر.

قلت: ان اقتراحي يصب في هذا السياق، ويستهدف ان يبادر سموكم لتأسيس صندوق باسمكم أو باسم الكويت لحماية الأمومة والطفولة العراقية المشردة، وانقاذ العائلة التي تركت العراق، وتعيش في ظروف لا انسانية. وبهذا يمكن أن يتشكل خطاب الكويت في الدعوة الى الأسرى، من صورة الأمير جابر، وهو يرعى اطفال العراق ونساءهم ممن حرموا من حقوق التعليم والعلاج والسكن اللائق بسبب سياسة صدام حسين الذي يحتجز عوائل كويتية وأطفالاً كويتيين.

شدّ الأمير يده، على يدي قائلاً: ما أريده منك، هو أن تعتكف هذا اليوم على اعداد تفاصيل هذا المشروع.

وفي اليوم التالي، قدمت للأمير مسودة المشروع، ويتلخص في وضع ميزانية في أحد المصارف باسم الأمير، على أن تذهب فوائد المبلغ لصالح صندوق رعاية الأمومة والطفولة العراقية المشردة، ويوعز لليونسيف بعملية التوزيع، وباشراف موظف دبلوماسي كويتي الى جانب معارض عراقي سيكون دوره تقديم لوائح باسماء العوائل المستفيدة فقط. وبهذه الطريقة سنكفل بقاء المبلغ مُلكاً للجانب الكويتي، وسلامة التصرف بالعائد المودع لهيئة الأمم المتحدة.

وبهذا نتلافى مشكلة تورط فيها أحد العراقيين، حين طالب زعيماً عربياً بصندوق لدعم العراقيين (في الداخل!) فأجاب الزعيم العربي بأن المشكلة ليست في تحديد مبلغ لهذا الغرض، بل في طريقة وصوله الى مستحقيه. ولا يخفى ما في هذا الكلام من حذر وارتياب فيما تعاطف المجتمعون مع دقة الرد.

أما مقترحنا لتأسيس صندوق كويتي لحماية الأمومة والطفولة العراقية المشردة في المنفى والذي تتولى مهمة الاشراف عليه منظمة اليونسيف فما زلنا نعتقد أنه جدير بالمناقشة وسنتقبل رداً في أية صحيفة يقول ان الكويت ليست بقرة حلوباً كما سبق لنا الاطلاع على عنوان مماثل.

لن يغيضنا ذلك العنوان لأننا فلاحون تعلمنا أن صحة البقرة في مقدار محلوبها، وأن الأبقار التي لا تُحلب ستخرج من مرابع المزرعة وتترك هدفاً

لسكاكين الجزارين.

ونحن كسياسيين قد نتعاطف مع هذا العنوان لعلمنا أن بقرة الخليج الحلوب قد جفّت عروقها وغرّزت منذ ايام القادسية.

السور والدستور

وتطرقت في حديثي مع سمو الأمير الى مقترح كان معروضاً على الكويتيين ببناء سور على الحدود الكويتية العراقية قائلاً:

"ان.. غزواً واحداً في التاريخ حدث في الثاني من آب ١٩٩٠ ولن يتكرر اجتياح آخر" . لكن الغزو ليس هو أفضل تعبير عن فكرة الضم وليس مطلوباً أن يغرق الكويتيون في رواياته متصورين ان الخطر سيأتي فقط من وراء حدودهم الشمالية وأن بناء سور الكتروني مثلاً هو الكفيل لعزل الكويت عن ذلك الخطر. وهذه خدعة لا أتمنى لكويتي أن يقع فيها فالصواريخ كما هو معروف لا تحترم الاسوار ولا الحدود. وأن تجربة الصينيين على ما قدّمه لهم السور العظيم من عصمة وردع وحماية ضد محاولات اجتياحهم خلال عشرات القرون تشير الى آثار السور وتأثيراته السلبية على صياغة شخصية صينية ميّالة الى العزلة وعدم التعايش مع الشعوب الأخرى. فكيف الحال في دولة صغرى ومجتمع صغير قد يولد السور في نفوس أبنائها شعوراً كالذي يحسّه عادة أسرى المعسكرات والمقيمون فيها وهو مزيج من الشعور بالعزلة والخوف مما وراء الأسوار والرغبة في الخروج عليها؟.[1]

أضفت أن أفضل أسوار يمكن أن تبنيها الحكومة للكويتيين يتمثل في طريقة

(١) يضاف الى ذلك أن الكويتيين أساساً قد ظهروا بمظهر قلق بسبب ما سمي بالحصار الذهني او عقلية الحصار، وهو الشعور بالإختناق من البيئة المجاورةالتي قيدت تاريخيا تحركاتهم وأملت عليهم سلوكاً محدداً.

د. عبدالرضا علي اسيري ، الكويت في السياسة الدولية المعاصرة ، ص ١٩ .

تعامل مختلفة مع مشكلات الداخل حيث واحدة من تعبيرات الضم تقضي بالتغيير الداخلي بدلاً من تكاليف الغزو وفضائحه.. وفي هذا الصدد كم هو جميل لو تكرم سموكم بتكليف خبراء سياسيين لدراسة التجربة الملكية في العراق وأنتم بالقدر الذي لا تودون الاستماع الى ما يقربكم من العراق فانكم أقرب تجربة الى تجربة الملكية العراقية وقد يوفر الاطلاع على نتائجها وتحاشي السير في مسالكها نهاية أجمل من تلك التي انتهت اليها التجربة الملكية في العراق.

ان هذا الفصل المقارن محاولة لإعادة التذكير بالتجربتين على غير النهج الذي تورطت به مؤسسات التأثير الكويتية في الرأي العام من التغاضي عن الفروق النوعية في طبيعة كل من النظام الكويتي وحليفه العراقي في الثمانينات ، اذ حاولت مصالح تجارية أن تبتلع تلك الفروق لتدفع الى الرأي العام خطوط صور من التماثل السياسي بين البلدين مستخدمة بأسلوب الترويج الإعلامي للعراق ديباجة الجامعة العربية التقليدية: وهي على أرض الواقع خطوط وهمية.

كان واضحاً للمراقب المحايد الذي يتابع العلاقات العراقية الكويتية في الثمانينات أن الجانب الكويتي كان خاضعاً لقواعد العراق في التعامل مع الغير والتي تقضي بأن يتحول الحليف الى نظير دون أن يترتب على الطرف العراقي الالتزام بشيء مما يلتزم به نظيره.

فعلى الكويت مثلاً أن لا تكون /لكي تتحالف مع العراق/ دولة ليبرالية برلمانية وعلى الإعلام الكويتي أن يستلهم لا تصورات الاعلام العراقي فحسب بل ومصطلحاته ايضاً.

ولهذا تصعب المقارنة بين النظامين لكن المنطق سيتقبل عرض زوايا من التطابق والتماثل السياسي بين العراق الملكي والكويت. فكلاهما وراثي شبه ليبرالي يعنى بدوران الكراسي الوزارية على قاعدة النخبة. ولكل منهما دستور بهامش ليبرالي واضح، على تفاوت بينهما في درجة الانسجام أو الاحتيال على مباديء الدستور. ويرتبط كلاهما بمعاهدة تحالف مع بريطانيا. ويقابل كل منهما معارضة دستورية ذات عراقة. ويتمتع كلاهما بثروة نفطية غزيرة.

وبقدر هذا التماثل الذي يتسع لزوايا تطابق اخرى فان الجغرافيا لم تترك لهما شبهاً يذكر.

ان مساحة العراق تزيد على مساحة الكويت ٢٥ ضعفاً.

وعدد نفوس العراقيين يفوق تعداد الكويتيين ٢٥ ضعفاً.

وفرص الغنى في العراق متاحة مع وفرة الأرض الزراعية وتنوع المناخ ووفرة السكان والمياه، ولم تكن في الكويت قبل النفط فرص مماثلة. والجغرافيا تمنع ظهور الغنى الا على ما تدره سفن الصيد والغوص. وكان بعض الشيوخ والتجار الكويتيين يتوجهون الى العراق لامتلاك بساتين النخيل وتثميرها ، حتى أن الباحث الدكتور غانم النجار يعتقد بأن الشيخ مبارك الصباح قد أخذ يميل الى الانفراد بالرأي حين حاز على بساتين التمر الشاسعة في الفاو مما أدى الى شعوره بنوع من الاستقلال الاقتصادي فبدأ يتجاوز حدود مبادئ الحكم المشترك [1].

وسوى ذلك فان درجات التماثل السياسي بين العراق الملكي والكويت توشك أن تشكل تجربة سياسية شبه موحدة.

ولعل سؤالاً يمكن أن يطرح في هذا الاتجاه حول سبب عدم اعلان الملكية في الكويت بعد استقلالها والاكتفاء بنظام الامارة اذعاناً من العائلة الحاكمة كما نعتقد لشعور بالتواضع ازاء الممالك الثلاثة الكبيرة المحيطة بها العراق والمملكة العربية السعودية وايران، رغم أن العراق من جانبه على الأقل لم يكن سيحرج من ظهور ملك كويتي. ولعل اتجاهاً في الزعامة العراقية آنذاك كان يسعى لأن يكون شيخ الكويت ملكاً.

يقول الدكتور محمد فاضل الجمالي، رئيس وزراء العراق الأسبق:

"ثم أني لما عدتُ من الولايات المتحدة الأميركية في أوائل تموز ١٩٥٨ زرتُ وزير الخارجية البريطانية المستر سلوين لويد في داره (كارلتون غاردن رقم ١) فحدثني المستر سلوين لويد عن اجتماع صاحب بينه وبين المرحوم

(١) د.غانم النجار، مدخل للتطور السياسي في الكويت، ص٢ - دار قرطاس ١٩٩٤ .

السيد نوري السعيد. أن السيد نوري السعيد كان قد غضب على الانكليز لتلكؤهم في منح الكويت الاستقلال. فقد كان هناك اقتراح عراقي بأن تستقل الكويت، وكنت اقترحت أنا بأن يصبح أمير الكويت ملكاً وأن ينضم الكويت الى الاتحاد العربي المؤلف من العراق والأردن، بذلك يساهم الكويت في نفقات الدفاع عن الأردن الذي هو دفاع عن المشرق العربي كله. ولكن الانكليز تباطؤا في ذلك ولم يعلن استقلال الكويت الاّ بعد ثلاث سنوات[١] ".

ويمكن التذكير بمجموعة اشكالات سياسية متماثلة حدثت في العراق الملكي ثم حدثت فيما بعد في الكويت بعد اعلان استقلالها.

التماثل الدستوري

سارت عملية اعداد واصدار الدستور الكويتي عام ١٩٦٢ بطريقة مماثلة لعملية اعداد الدستور العراقي واصداره عام ١٩٢٥ . حيث انيطت المهمة الرئيسية لمحامي بريطاني هو السير بونهام ادوارد كارتر والذي عينته الحكومة البريطانية فيما بعد مستشاراً لوزارة العدلية واليه يعود الفضل في اكتشاف مؤهلات المرحوم عبد المحسن السعدون بينما انيطت مهمة اعداد الدستور الكويتي الى الفقيه الدستوري المصري عبد الرزاق السنهوري [٢] والدكتور عثمان خليل عثمان وقد حُدد دور المجلس التأسيسي العراقي في ثلاث نقاط وردت في خطاب الملك

(١) د. محمد فاضل الجمالي، العراق الحديث آراء ومطالعات في شؤونه المصيرية. بيروت، ص٢٢ د . ت .

(٢) اشترك الأستاذ السنهوري بدور رئيسي في اعداد مسودة القانون المدني للعراق باستخدام نظريته التوفيقية بين الشرع الاسلامي والقانون العربي ولعله استعان مع زميله بهذه النظرية في اعداد مسودة الدستور الكويتي الذي ظهر عليه طابع اسلامي يفتقر إليه الدستور العراقي الذي انفرد به السير بونهام ادوار كارتر.

فيصل الأول عند افتتاح الجلسة الأولى للمجلس التأسيسي وهي:

البت في المعاهدة العراقية البريطانية.

سن الدستور العراقي.

سن قانون الانتخاب.

وأثار تسلسل المهمات المعروضة على المجلس التأسيسي اعتراضات رجال القانون العراقيين والساسة الوطنيين لجعل عقد المعاهدة سابقاً لسنّ الدستور وقد حددت المعاهدة اشارات لا ينبغي للدستور الذي سيسن تجاوزها.

أما المجلس التأسيسي الكويتي فقد انشغل بسن قانون الانتخاب بالدرجة الأولى ولم يشر الى موضوع المعاهدة التي اقرت في ١٩ حزيران ١٩٦١ . ومنذ الأيام الأولى لبدء العمل بدستوريهما واجه البلدان مشكلة عدم القدرة على الوفاء بالالتزامات الليبرالية التي تضمنها دستورا البلدين فكلاهما شُرع له دستور لم تستطع الحكومة الإذعان لمسوغاته حتى النهاية وأقامة نظام برلماني كامل ولم يكن يسيراً على الدولة أن تتخاصم مع دستورها وتناصبه العداء، وهي التي تضع التزام مواطنيها به مقياساً اساسياً لتقييم سلوكهم، وتدعوهم الى العودة اليه كأعلى مرجع للتشريعات والقوانين الاخرى.

ولم يكن لجوء الدولة الى تعطيل دستورها قراراً مهضوماً لها أو لمواطنيها، لكن الحكومة الكويتية طالما احتمت بقرار التعطيل ولاذت به. أما في العراق فان قراراً ملكياً لم يصدر بتعطيل الدستور، الا أن مجمل السلوك السياسي للسلطة يتعارض في معظمه مع نصوص الدستور، حتى جأر بالشكوى من جور الحكومة على الدستور معظم الشعراء الوطنيين[1] وبيانات المعارضة وافتتاحيات الصحف ورسوم الكاريكاتير، وكان معظم هذه الانتقادات يتركز على عدم التزام السلطة بالمادتين السادسة والسادسة

(١) يقول الرصافي:

أنا بالحكومة والسياسة أعرف ... أألام في تفنيدها وأعنف

علمٌ ودستور ومجلس أمة ... كُلٌ عن المعنى الصحيح محرفُ

ويقول الجواهري:

وتعطل الدستور عن أحكامه ... من فرط ما ألوى به الحكامُ

والستين منه فضلاً عن مواد اخرى اساسية شبه معطلة [١].

ولعل أغرب وسيلة لجأت اليها السلطة العراقية تمثلت في اعلان الاحكام العسكرية لتعطيل مفعوله الديمقراطي واناطة مسؤولية الإدارة الى حكام عسكريين للمناطق وبلغ الخطأ مقتلاً من مقاتلها عندما كلف الأمير عبد الإله وزعماء السلطة رئيس أركان الجيش[٢] للقيام بما يشبه الانقلاب العسكري وتعيينه رئيساً للوزراء واعلان الاحكام العرفية التي تسوغ له اصدار مراسيم لتعطيل الاحزاب والصحافة الوطنية.

لقد أعطى هذا الخطأ القاتل ضوءاً للعسكريين الآخرين باختراق الدستور أو الاستهانة به والتفكير باستلام السلطة عن طريق الانقلاب، وهو ما حدث أكثر من مرّة في العراق الملكي.

الأحزاب السياسية

سيكون خبراً مثيراً للاستغراب أن الملك فيصل الأول بدأ ممارسة سلطاته الدستورية بعد ساعات من حفلة تتويجه في يوم ٢٣ آب/١٩٢١ بارسال كبير أمنائه

---

(١) المادة السادسة : لافرق بين العراقيين في الحقوق أمام القانون وان اختلفوا في القومية والدين واللغة.

وتنص المادة السادسة والستون على ان: وزراء الدولة مسؤولون بالتضامن أمام مجلس النواب عن الشؤون التي تقوم بها الوزارات ، ومسؤولون بصورة منفردة عن الإجراءات المتعلقة بوزارة كل منهم وما يتبعها من الدوائر، فإذا قرر مجلس النواب عدم الثقة بالوزارة بأكثرية الأعضاء الحاضرين فعليها أن تستقيل واذا كان القرار المذكور يمس أحد الوزراء فقط فعلى ذلك الوزير أن يستقيل، وعلى المجلس ان يؤجل تصويت عدم الثقة مرة واحدة الى مدة لاتتجاوز ثمانية أيام إذا طلب ذلك رئيس الوزراء أو الوزير المختص ولا يحل المجلس في هذه المدة

الدليل العراقي الرسمي لسنة ١٩٣٦ ص ٢٤ : ١٣٠ - ١٣١ .

(٢) هو الفريق نور الدين محمود : الذي كُلف بتشكيل وزارته في ٢٣ تشرين الثاني ١٩٥٢ ، واستقالت في كانون الثاني ١٩٥٣ .

راجع عبدالرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية ٣٢٩/٨ .

السيد فهمي المدرس لكبس سياسين مجتمعين من مختلف المشارب لإعداد العُدة لانشاء حزب سياسي تعبيراً عن دستورية الحكم وليبرالية الاتجاه، فأبلغهم أنه جاء ليتكلم باسم الملك وليعبر عن رأي جلالته في الموضوع الذي اجتمعت اللجنة من أجله ويرى أن ليس من المصلحة اشتغال العراقيين في تأليف الأحزاب السياسية. مستفيداً من تجربته في سورية وما جرّته الأحزاب السياسية من مشاكل. فالتزم فريق من الحاضرين برأي الملك فيما أصرَّ الفريق الآخر على أن الموانع التي تحول دون تأليف الاحزاب السياسية العلنية يجب ألاّ تحول دون تأليفها على صورة سرية، وأن الضرورة المبرمة تقضي بتأسيس جمعية سرية فوراً لتضم المشتغلين بالقضية الوطنية[1]. فتألف بالفعل حزبان على هذه الطريقة مما اضطر الحكومة الى اجازتهما فيما بعد، لكن المندوب السامي البريطاني أوعز اثناء مرض الملك فيصل بعد شهر واحد من بدء الحياة الحزبية بتعطيلهما واعتقال قادتهما ونفيهم الى جزيرة هنجام في الخليج العربي، وهي مكان موبوء لا يصلح للحياة البشرية.

لكن السلطة عادت فأجازت تشكيل الأحزاب السياسية قبل صدور الدستور عام ١٩٢٥ .

الواقع أنها لم تكن احزاباً ذات نفوذ شعبي سوى الحزب الوطني بزعامة جعفر أبو التمن والذي كان كثير الاعتكاف في منزله. وكان اعضاء الهيئة الإدارية للحزب يتسللون منه الى السلطة كلما لوحّت لأحد منهم بمقعد شاغر.

ولأن تلك الأحزاب لم تستطع أداء دورها لعدم احترام السلطة للحياة الحزبية ولعدم ثقة المواطنين بها من جهة اخرى، فقد تهيأت الظروف لزراعة احزاب سرية في باطن الأرض ليمارس الحزب دوره بعيداً عن قوانين السلطة.

ان الحياة الحزبية في العراق رغم هذا تظلّ مدينة لسياسيين التزموا بعقيدتهم السياسية حتى النهاية كجعفر أبو التمن وكامل الجادرجي زعيم الحزب الوطني الديمقراطي الأكثر اخلاصاً للبرلمانية ومحمد مهدي كبه زعيم حزب الاستقلال ورفيقيه صدّيق شنشل وفائق السامرائي.

---

(١) عبد الرزاق الحسني، تاريخ العراق السياسي الحديث، ج٣ ، ط٧ ، ص٢٤٠ بغداد ١٩٨٩ .

أما في الكويت فقد أجاز الدستور تشكيل جمعيات مهنية ولم يتطرق الى قانون للأحزاب ويدور نقاش منذ أكثر من ثلاثين عاماً بين دعاة لقيام حياة حزبية في البلد وبين معارضين لهذه الفكرة وبمشاركة صحفية واسعة حول جدوى الحياة الحزبية لبلد كالكويت.

من المفارقات أن رافضي قيام الأحزاب الذين يتصرفون، وكأنهم أقرب الى مشاعر السلطة، ما زالوا يسترجعون مخاوف الملك فيصل الأول التي حملها، الى دعاة تأليف الأحزاب، كبير أمنائه في يوم تتويجه وهي المخاوف التي أيقظتها صراعات الأحزاب السورية في الملك الذي تمتد مخاوفه من قيام الأحزاب الى نشأته الحجازية وشعور أبناء الجزيرة بأن الأحزاب قد تحمل اليهم ما ليسوا على استعداد لتقبله من افكار وولاءات جديدة قد تشق الولاء الموحّد للقبيلة.

وعند هذه المخاوف ومخاوف مستجدة واحتمال أن تخلق الأحزاب رؤوساً مدربة تلتقي رغبة الملك فيصل الأول برغبة حاكم الكويت الشيخ أحمد الجابر الصباح اللذين تسلما مسؤولياتهما الدستورية في عام واحد [1].

ويستعدي رافضو الحياة الحزبية في حملة الترويج ضد الفريق الآخر الناس بعرض مشاهد من الصراعات الحزبية الدامية في عدد من الدول وتأثير ذلك على الاستقرار العام وتقدم البلاد متغافلين أن (البلاد المتقدمة والراقية) هي بلدان حزبية. وأن الأحزاب اذا كانت خطراً على البلاد لإختلاف وجهات نظرها المستمرة ونزاعاتها من أجل مصالحها، فان الصحافة في النظام البرلماني خاضعة هي الأخرى الى نفس القاعدة، فهل تشمل دعوة مناوئة قيام الحياة الحزبية دعوة مماثلة لإلغاء مبدأ الصحافة الحرّة؟.

ان دعاة قيام الأحزاب يستندون الى قاعدة دستورية والى اعتقاد اجتماعي بأن الولاء للأحزاب قد يخفف من حدّة الولاءات والانقسامات القبلية والطائفية والفئوية.

وفي استطلاع صحفي يشير أحد مؤيدي قيام الأحزاب في الكويت الى هذا

(١) أصبح الشيخ أحمد الجابر حاكماً على الكويت في ١٩٢١/٣/٢٤ وتوّج فيصل ملكاً على العراق في ١٩٢١/٨/٢٣ .

العامل بحماسة ويضيف أن الحزب كوجود جماعي سيجمع الفرد الحضري والقبلي والسني والشيعي والتاجر ومتوسط الدخل وجميع فئات المجتمع في نطاق واحد ضمن فكر يحمل برنامجاً يمثل الحزب[١].

صحيح أن الحزب قد يجمع عدّة ولاءات في مؤسسة واحدة لكن من الصحيح أيضاً أن الحزب قد يفتت عائلة واحدة الى عدة ولاءات وأن الجدل ينبغي أن ينصب على كون الحياة الحزبية حاجة دستورية ملتصقة بالنظام النيابي.

وفي الكويت تتسرب عوامل من خارج النظرية الدستورية وهي تتصل بالاستيعاب الميداني والواقع الاجتماعي لظهور الأحزاب وامدادها بالاعداد السكانية المطلوبة لتشكيل حزبين أو مجموعة أحزاب[٢].

أما موقف السلطة من هذا الجدل فيتمثل، الى حد، في عبارة منقولة عن رئيس الوزراء، الشيخ سعد العبد الله، أنه اذا كان هناك فائدة للكويت من وجود التكتلات والأحزاب رسمياً فليكن ذلك.

وواضح ما تحمله هذه العبارة من مطاطية دبلوماسية قابلة للموافقة وضدها، وقد اعتاد الشيخ سعد العبد الله على اظهار مشاعر ليبرالية استمراراً مع ارث والده الذي وقف الى جانب الكويتيين المطالبين باستمرار المجلس عام ١٩٣٨ .

التجربة البرلمانية

اعتمد الدستور العراقي مبدأ فصل السلطات، لكن المسؤولين في الحكومة لم

(١) عبد الوهاب الفوزان، جريدة القبس الكويتية الصادرة في ٥ - ٢ - ١٩٩٥ .

(٢) حمّلني مثقفون قطريون أمانة طالبين نقلها إلى الأمير الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أثناء استقباله لنا في عام ١٩٩١ وهي أن أنقل رغبتهم في قيام نظام برلماني منتخب فأجاب الأمير قائلاً: إذا كنا نستعين بالعُمال الآسيويين للخدمة في البلاد فهل المطلوب أن نستورد كذلك ناخبين بحيث يتمتع المرشح بعدد من الأصوات التي تجعله ممثلاً عن فئة من الشعب وأردف قائلاً: إن الوضع السكاني لقطر قد لا يساعد على حملات انتخابية ومناطق انتخابية.

يستوعبوا مسايرة هذا المبدأ الذي تأخذ به الديمقراطيات الغربية والذي بدونه يفقد النظام الليبرالي اركانه الاساسية. وعلى الرغم من ان الدستور أناط مسؤولية التشكيل وسقوط الوزارات وفقاً لنتائج التصويت في البرلمان، فان ٥٩ وزارة ملكية لم تسقط ولم تشكل تحت قبة البرلمان.

جرت العادة على قبول شرط رئيس الوزراء المكلف حل المجلس النيابي ومجيء مجلس آخر قبل قبوله بمهمة تشكيل الوزارة. وكان معتاداً أن يسمى المجلس الجديد باسم رئيس الوزراء فيقال مجلس السعدون ومجلس الهاشمي ومجلس الكيلاني ومجلس ناجي شوكت.

يستند رؤساء الوزارات في مسوغات الحل الى فقدان التآزر بين السلطة التنفيذية وبين السلطة التشريعية، مما يؤكد ما اسلفنا اليه من فشل السلطة في استيعاب العمل بمبدأ فصل السلطات رغم أن تلك المجالس لم تكن منتخبة ولم يكن لها موقف سياسي ثابت: لكن رئيس الوزراء الجديد لا يتحمل رؤية نائب محسوب على زميل سابق له.

أما طريقة الانتخابات فيلخصها وزير ملكي معروف ونائب مخضرم في البرلمان هو الاستاذ عبد الكريم الازري النائب والوزير في الحكومة الملكية قائلاً: (في صبيحة يوم من ايام تشرين الأول سنة/١٩٤٣ اتصل بي قريبي، السيد حسين النقيب الرفيعي، بالهاتف قائلاً لي: اهنؤك من صميم القلب، فسألته على ماذا تهنؤني؟ فأجابني على فوزك في الانتخابات النيابية! فقد ذكرت الاذاعة الصباحية اسمك بين الفائزين في الانتخابات النيابية عن لواء العمارة، قلت له: هل تمزح؟ قال لا والله لا أمزح. وقد تبين أن ما أنبأني به السيد الرفيعي كان صحيحاً وأنني قد انتخبت نائباً عن لواء العمارة وأنا لا أدري، فلم أراجع أحداً ولم أرشح نفسي. وهكذا نمت ليلتي وأصبحت في الصباح نائباً عن لواء العمارة) [1].

معنى هذا أن النائب العراقي كان ينتخب دون أن يكون مرشحاً ودون أن يعرف مسبقاً المنطقة الانتخابية التي سيخرج نائباً عنها، ولطالما امضى نواب نصف اعمارهم ممثلين لمحافظات لم يلتقوا يوماً بأهلها.

(١) عبد الكريم الأرزي، المذكرات، ج١ ، ١٩٨٢ ، ص١٦٠ .

فأية غرابة أن يخاطب رئيس الوزراء نوري السعيد مجلس النواب بمثل هذه اللغة قائلاً:

"هل في الإمكان . أناشدكم بالله . أن يخرج احد نائباً مهما كانت منزلته في البلاد، ومهما كانت خدماته في الدولة، مالم تأت الحكومة وترشحه؟ فأنا أراهن كل شخص يدعي بمركزه ووطنيته، فليستقيل الآن ويخرج، ونعيد الانتخاب ولا ندخله في قائمة الحكومة، ونرى هل هذا النائب الرفيع المنزلة، الذي وراءه ما وراءه من المؤيدين يستطيع أن يخرج نائباً؟" .

ويعقب الاستاذ عبد الرزاق الحسني قائلاً:

(ففي هذا التصريح وحده، الصادر من رئيس وزراء مسؤول، دليل على ما آلت اليه "الحياة النيابية في العراق" اذ لم يعد في مقدور رئيس الوزراء أن يتحمل تطفل مجلسه في شؤون المملكة التي يرى أن من حقه أن يستأثر بها. واذا كان لأحد أن يحاسبه فلن يكون من بين هؤلاء الذين جعل منهم نواباً لا يمثل أحدهم احد سواه. ولا تقتصر هذه الحقيقة التي جاهر بها نوري السعيد على المجلس الذي جاء به فحسب، بل تشمل كل مجلس قام في البلاد كما هو صريح كلامه).

فاذا كان نوري السعيد يستعير هذه اللغة في وصف نوابه، فماذا سنتوقع أن تكتب جريدة الأهالي التي يصدرها الزعيم الوطني الديمقراطي المعارض كامل الجادرجي عن الحياة النيابية في العراق.

بعنوان "موافقون لا غير" وصفت جريدة الأهالي في عدد ١٩٣٣/٤/٢٤ جلسة لمجلس النواب انعقدت في اليوم السابق، قالت: "كانت اكثرية الأيدي ترفع سراعاً عجلي كأنما هي آلات ركبت على أجساد كلما سمعت طلب الموافقة ارتفعت، ولم تسمع في الجلسة الا اصوات الموافقين بعد أن أخذت آراءهم فرادى، وانفضت الجلسة بعد عشرة دقائق من اجتماعها"[١].

وينقل الاستاذ حسين جميل فقرات عن جريدة الأهالي في نقد البرلمان:

(١) حسين جميل/ الحياة النيابية في العراق، ١٩٢٥ - ١٩٤٦ ، ص١٧٧ ، منشورات مكتبة المثنى/ بغداد.

"فقد سلكت الحكومات العراقية تجاه مجلس الأمة مسلكاً يظهر منه أن مجلس الأمة مسؤول امام الحكومة ولا عكس، اذ نرى الحكومات المختلفة تتحكم بالمجلس وتحله عندما تريد. ولا نعتقد أن المجلس نفسه أراد يوماً أن يظهر عدم ثقة بالحكومة، أو أراد أن يمارس السلطات التي خوّلها اياه الدستور، بل أنه رضي لنفسه أن تسيره الوزارة كيف شاءت" [1].

يقول مؤرخ العراق عبد الرزاق الحسني أن وزراء الدولة كانوا يسترحمون من النواب في الدورتين الأولى والثانية.. البت في بعض الأمور المستعجلة أو عدم التغييب عن جلسات المجلس لأن لا يختل النصاب، صار النواب يسترحمون من الوزراء السماح لهم بتوجيه بعض الاسئلة أو جلب الاجازة أو ما يشبه هذا [2].

ويقول الجواهري ساخراً:

وبأن أروح ضحىً وزيراً مثلما أصبحت عن أمر بليل نائبا

ان التجربة البرلمانية في العراق أثبتت ضيق المسؤولين ليس من رؤية صوت معارض في المجلس فحسب، وانما الضيق من (نواب) محسوبين على مراكز قوى اخرى.

من هنا لم يشكل المجلس النيابي العراقي موقع استقطاب للسياسيين من أي مشرب.

أما في الكويت فالأمر مختلف جداً ونبرة حنين تساندها نقطة تركيز تجعل في الذهن السياسي الكويتي مجلس الأمة معقداً للأمل وموقع استقطاب لا يعلو عليه موقع حتى أوشكت أن تستحيل الحياة السياسية في الكويت الى مجلس ، ولا حديث الا حديث المجلس في الصحيفة والديوانية وفي المحاضرة والكتاب، فهم لتعلقهم بهذه المؤسسة اطلقوا على عام ١٩٣٨ الذي ظهر فيه المجلس المنشود سنة المجلس على غرار عام الفيل. وكانت الحكومة الكويتية تلجأ بين الحين والآخر

(١) حسين جميل/ الحياة النيابية في العراق ١٩٢٥ - ١٩٤٦ ص١٧٨ منشورات مكتبة المثنى/بغداد.

(٢) عبد الرزاق الحسني، تاريخ العراق السياسي الحديث ، الطبعة السابعة الجزء الثالث، ص٢٩٥ ، بغداد ١٩٨٩ .

الى حل البرلمان فيترك قرار الحل صدمة تتسع لمن هو في داخل المجلس وخارجه.

وكما كتب كامل الجادرجي وحسين جميل والرصافي والجواهري عن محاولات تزوير الانتخابات، كتب مثقفون كويتيون مثل الدكتور عبد الله النفيسي واكاديميون مثل الدكتور غانم النجار وسياسيون مثل أحمد الخطيب وسامي المنيس عن انتخابات مزوّرة أو محاولات للتزوير.

يقول الدكتور عبد الله النفيسي:

ان عمليات نقل الأصوات من دائرة انتخابية الى اخرى تحت الاشراف المباشر لوزارة الداخلية وعبر مخاتيرها في المناطق ولصالح مرشحين معنيين وضد مرشحين معروفين، كانت سائدة منذ بدايات التجربة. والنشاط البارز والملحوظ لدى النظام في تجنيس اعداد هائلة وبشكل جماعي لأبناء بعض القبائل في البادية وتكثيف تواجدهم الموسمي في بعض الدوائر الانتخابية بدأ مع التجربة. وعندما يئس النظام من جدوى نقل الأصوات والتجنيس، لجأ الى التزوير المباشر والمفضوح للانتخابات سنة ١٩٦٧. ان التزوير الذي حدث لإرادة الشعب سنة ١٩٦٧ لهو أكبر دليل على عدم اقتناع النظام بالنهج الديمقراطي للحكم [١].

ويعزو النفيسي ظهور الشكل الديمقراطي في الكويت الى عوامل داخلية وخارجية من أبرزها مطالبة الزعيم عبد الكريم قاسم بضم الكويت الى الأراضي العراقية [٢].

ويعزو الدكتور غانم النجار قيام الحكومة الكويتية باصلاحات سياسية وهيكلية كبيرة على طبيعة النظام السياسي الى التهديدات العراقية كعامل أول سواء كانت حقيقية أم غير ذلك وكانت الدعاية العراقية تركز على توجيه اتهامات للكويت بأنها تحكم باسلوب أوتوقراطي وأن الاتهامات نفسها ذكرت في الصحف العراقية بعد حل مجلس الأمة الكويتي من قبل الحكومة ١٩٧٦ [٣].

(١) الدكتور عبد الله النفيسي، الكويت: الرأي الآخر، لندن، ١٩٨٧، ص٩٢.

(٢) المصدر السابق، ص٤٣.

(٣) د.غانم النجار، مدخل للتطور السياسي للكويت، دار قرطاس - الكويت ١٩٩٤ - ص٦٠.

ويؤيد الدكتور النجار اتهامات الدكتور النفيسي في حصول تزوير في معظم الدورات الانتخابية.

رجل السلطة ورجل المعارضة

من ملامح التماثل السياسي بين العراق الملكي والكويت أوضاع المعارضة الدستورية وعلاقة السلطة بها وطبيعة كل من رجل السلطة ورجل المعارضة.

ان مغموراً أو متوسط الثقافة أو تكنوقراطي معتكفاً في مكتبه قد يتحول بارادة ملكية أو مرسوم أميري من ثلاثة سطور الى مقعد في الصف المتقدم وزيراً أو رئيساً لمؤسسة أو محافظاً لمدينة، وليسجل في عداد رجال السلطة في اجراء لا يستغرق أكثر من ساعات. لكن ارادة ملكية أو مرسوماً جمهورياً أو أميرياً لا يستطيع أن يصنع رجلاً للمعارضة وقد لا تصنعه صفحات من كتابات التزيين.

ان شروط صناعة رجل السلطة سهلة، وقد تنحصر في توفر رغبة لدى صاحب القرار في ادخال شخص ما الى عالم السلطة، وستتكفل فيما بعد مراسيم السلطة وطقوسها في صياغة شخصيته بمواصفات رسمية عالية؛ بينما شروط صناعة المعارض يحددها المجتمع، وترسمها رقابة صارمة حتى لحياته الخاصة فيتعرض لاختبارات قد يفقد حريته من أجلها طائعاً وقد يكون له من القدرة على الصبر في مقاومة المغريات بما لدى رجل السلطة من عدم القدرة على مثلها. ولكأن رجل المعارضة الوطنية يصنع من معدن نادر على تعبير الجواهري متحدياً حكم الطباع، وقد تستغرق عملية صناعة رجل المعارضة وتأهيله لدوره المطلوب كل سنوات حياته فلا يدور رأسه مع دوران الكراسي ولا تثني عزمه صدمة فشل ولا يقصيه عن أهله ابعاد أو نفي ولا حرمان . ولا ينسيه بني جنسه قرار باسقاط الجنسية ومصادرة مسكن موروث. والمعارض من هذا الطراز لا تزيحه عن موقعه افتتاحيات الصحف الحكومية، فيما يكفي عمود صحفي في جريدة نزيهة لرمي رجل السلطة الى الغرف المهجورة منسياً بعد الاستيزار مثلما كان منسياً قبله.

رجل المعارضة من هذا الطراز مشاعرهُ الإنسانية أرقى وشهواته أقل وثقافته أكبر.

ان تاريخ الحركة الوطنية العراقية وأدبياتها رسمت لها هذه الصورة وهي واقعية وصحيحة ومثالها جعفر أبو التمن وكامل الجادرجي ومحمد رضا الشبيبي ومحمد مهدي كبه. وشعراؤها الرصافي والجواهري ومظفر النوّاب، ومثقفوها غائب طعمة فرمان ومحمود صبري وهادي العلوي، ورعيل من كل جيل.

ولأن المعارضة لم تشكل حكومة عراقية ولم تشغل مواقعها الا ستة شهور من حكومة ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ، فقد حُرم الحكم العراقي من العناصر الكفوءة والنزيهة دون أن يعني ذلك اطلاقاً، لا بالنسبة للعراق ولا لغيره، ان كل رجل سلطة هو أقل ثقافة وكفاءة وزهداً، فقد عرف العهد الملكي وزراء ورجال سلطة قد لا يختلفون في تلك المواصفات عن زملائهم رجال المعارضة.

واذا كانت هذه الصورة الرومانسية تتصل بجوانب الشخصية الاجتماعية لرجل المعارضة، فان البرنامج الاصلاحي الذي قدمته الحركة الوطنية العراقية ينفتح على عالم ديمقراطي وحياة دستورية وسياسية مستقلة خارج محاور التحالف العسكري مع الغرب ودعوة للتفاهم العربي وزيادة معدلات الدخل القومي بتعديل اتفاقيات النفط مع الشركات الأجنبية وتحديد الملكيات الزراعية ومقارعة الفساد الإداري.

لكن فشل السلطة الملكية في الانسجام مع مبادئ الدستور وعدائها للمعارضة الدستورية انعكس في أخرالأمر على ثقة الشعب العراقي بالمعارضة الدستورية وظهور تيارات شبه كاسحة تفضّل العمل لا في الصالات العلنية ولا بتقديم المذكرات السياسية، وانما بالنزول الى باطن الأرض وطرح مشروع جذري للتغيير باسقاط النظام القائم ولو عن طريق الانقلاب العسكري، فنجح هذا التيار غير الديموقراطي وغير الدستوري في الإطاحة بالحكومة التي لم تحترم الدستور وبالمعارضة التي لم تخرج عن الدستور الى عمل ثوري حاسم قبل أن ينجح في الوصول بالعراق الى الحافات الراهنة.

أما في الجانب الكويتي فاذ لم تتعرض الحركة الوطنية الى قمع مماثل لما حدث مع نظيرتها العراقية باستثناء سنة المجلس عام ١٩٣٨ رغم تكرار ظاهرة تعطيل الدستور وحل البرلمان، فان رعيلاً من الوطنيين الكويتيين يرقى الى مستوى نظيره في الحركة الوطنية العراقية.

ان الدكتور أحمد الخطيب قد يبدو وريثاً لشخصية الزعيم الوطني العراقي

جعفر أبو التمن، كما يبدو جاسم القطامي في فهمه القومي قريباً من محمد مهدي كبة زعيم حزب الاستقلال، ويتصل عنفوان سامي المنيس الوطني بعنفوان فائق السامرائي في الخمسينات. وتتسع المقارنة مع الاعتذار لمن لم يرد ذكره فيها لتستوعب عبد الله النيباري في شخصية النائب الوطني عبد الرزاق الشيخلي.

واذا لم يكن للكويت شاعر كالرصافي والجواهري ولا روائي كغائب طعمة فرمان ولا تراثي كهادي العلوي فان عبد الله النفيسي وكتابات خلدون النقيب وآخرين تثري المكتبة العربية بفكر ديمقراطي وقومي رائد.

وعلى صعيد البرامج الإصلاحية للحركة الوطنية الكويتية توشك أن تكون مفردات البرنامج الذي قدمته حركة ١٩٣٨ أن تكون تكراراً صحيحاً لبرنامج الحركة الوطنية العراقية في مطلع تأسيس الدولة العراقية.

ان الدكتور عبد الله النفيسي يوجز في كتابه الخطير، "الكويت: الرأي الآخر" تلك المطالب كالآتي:

١ . الديمقراطية والمشاركة الشعبية في الحكم.

٢ . العمل على التخلص من النفوذ الاستعماري بمعاهدة ١٨٩٩ .

٣ . تعديل اتفاقية الزيت على وجه أكثر تحقيقاً للصالح الوطني.

٤ . المناداة بالوحدة على الصعيد العربي [1].

أما برنامج كتلة الشباب الوطني والذي نشر في صحيفة عراقية تصدر في البصرة فيبدو في جانبه العربي أكثر تقدّماً من البرامج القومية اللاحقة، وقد يكون ذلك ناجماً عن كونه نتاجاً خالصاً لمجتمع لم تنفجر به الثروة النفطية بعد.

ولم تظهر روحية مماثلة لبرنامج كتلة الشباب في سعيها لتكريس حق العرب المطلق بزيارة الكويت وعدم منع أي عربي من ذلك مهما كانت الأحوال واتخاذ الاجراءات لإزالة سوء التفاهم مع الجارات العربيات بهذا الخصوص باستثناء ما ركزت عليه كتابات الدكتور النفيسي في هذا الجانب. وليس مثيراً للدهشة صمت موجة الصراخ القومي لتبرير التورط في مشاريع الرئيس العراقي صدام حسين في الثمانينات والتي قادتها جمعيات أدبية وعلمية وصحفية في الكويت عن الإشارة

(١) الدكتور عبد الله النفيسي، الكويت: الرأي الآخر. لندن - ١٩٧٨ ، ص٢١٠ .

الى مثل ما أشارت اليه كتلة الشباب في برنامجها المنشور [1] عام ١٩٣٨ .

لقد واجهت الحركة الوطنية الكويتية حالات تبدو وكأن السلطة قد استلهمتها من اجراءات مماثلة لما اعتادت عليه السلطة في العراق الملكي كتعطيل نشاط الأندية والهيئات الاجتماعية ونزع الجنسية من المعارضين وتزوير الانتخابات وتقريب نمط من الصحفيين ممن لا ماضٍ لهم وعدم احترام الدستور والمعارضة الدستورية.

ان هذه الظروف قد تولد قناعات في الشارع الكويتي كتلك التي تولّدت في الشارع العراقي عندما قوضّت السلطة الملكية أسوار الدستور وأسرفت في اقصاء الرأي الآخر مما هيأ لتيار العمل السري غير الدستوري وغير الديمقراطي أن يفتك بالسلطة ومعارضتها الدستورية في آن واحد.

ان الجانب العراقي حالياً يراهن على هذه المعادلة.

شيوخ المعاهدات

يركز الخطاب السياسي العراقي في واحدة مما يعتبرها نقطة اتهام لتبرير دعوة الضم أن الشيخ مبارك الصباح عقد اتفاقية عام ١٨٩٩ سراً مع بريطانيا. والاتفاقية كما يعرضها كتاب كويتي صادر عام ١٩٩٢ تنصّ على أن الشيخ برضائه واختياره يعطي العهد ويقيّد نفسه وورثته وأخلافه بأن لا يقبل وكيلاً بأراضيه أو قائمقاماً من جانب دولة أو حكومة في الكويت أو في قطعة أخرى تابعة له بغير موافقة الحكومة البريطانية. ولا يتصرف ولا يبيع ولا يؤجر ولا يرهن ولا ينقل بنداً آخر الى دولة أو رعية من الدول بغير موافقة الحكومة البريطانية.

وفي عام ١٩٠٠ أُشعرت الدولة العثمانية بالاتفاقية دون الكشف عن مضمونها، وفي عام ١٩٠١ أقرّت الاستانة بالمحافظة على الوضع الراهن في الكويت.

ففي المحاولة الملكية الأولى عام ١٩٣٨ ، أدرك الملك غازي، رغم أنه لم يكن من

(١) د. غانم النجار، المصدر السابق، ص٢١ .

الدهاة أو الساسة المرموقين على عكس ما كان عليه والده الملك فيصل الأول، أن من يتصدى لمشروع سياسي فعليه أن يضع نفسه في الأقاصي القصوى لزوايا اليسار ما دام السوق العراقي يسارياً وعلى هذه القاعدة يتصرف دعاة الضم كما لو كان العراق هو الدولة الموكولة اليها تحرير الكويت من سطوة النفوذ البريطاني وقد زاد الملك غازي على هذه الوظيفة مهمة تحرير الكويت من الإقطاع (١) وظهرت السياسة العراقية كما لو كانت حريصة على ولائها للدولة العثمانية الاسلامية التي طعنها الشيخ مبارك الصباح من الخلف عندما وضع نفسه تحت حماية بريطانيا وهو يتمتع بلقب القائمقام وتتحرك سفنه تحت الراية العثمانية.

وكرر الزعيم عبد الكريم قاسم وبروحية مماثلة انتقاداته لاتفاقية ١٨٩٩ التي وصفها في رسالته الى الشيخ عبد الله السالم الصباح بأنها مزوّرة وغير شرعية وغير معترف بها دولياً (٢).

---

(١)يرتبط نظام الاقطاع بالمقاطعات الزراعية الشاسعة وبطريقة الانتاج الزراعي ومعروف ان الكويت تفتقر الى الأرض الصالحة للزراعة.

(٢) سيادة الأخ عبدالله السالم:

علمت بسرور بأن الانكليز اعترفوا في يوم ١٩٦١/٦/١٩ بإلغاء الاتفاقية المزورة غير الشرعية وغير المعترف بها دولياً والتي اسموها اتفاقية ١٨٩٩ بعد أن عقدوها بالباطل مع الشيخ مبارك الصباح قائمقام الكويت التابع لولاية البصرة دون علم اخوته في الكويت ودون علم السلطات الشرعية في العراق آنذاك. وقد سبق للشيخ حمود أن رفض التوقيع عليها او تنفيذها ، الأمر الذي اضطر الانكليز الى تهيئة شهود الزور من عملائهم للتصديق على توقيعها، وفعلاً فقد وقع البريطاني ويكهام هور الرئيس في خدمة الطبابة الهندية مع العميل الممثل البريطاني في البحرين آغا محمد رحيم بصفتهما شاهدين على صحة توقيع شيخ الكويت الجليل.

فالحمد لله الذى وحده ينقذ العالم من التبعية والاستعماريين، ومن جريمة الكفر بحق العرب في كل مكان . وحذار من دسائس الانكليز المستعمرين ومكائدهم لتفرقة الصفوف داخل الوطن وبين الاشقاء ليضمنوا بقاءهم من وراء الستار يتلاعبون بمصالح العرب والمسلمين وبقاء سيطرة الاستعمار واعوانه علينا.

ونؤكد لكم بأننا سنبقى، نحن اخوانكم في الجمهورية العراقية الخالدة لاتنطلي علينا خدعة الاستعمار وسنظل نعمل بقوة وعزم لنصرة العرب والمسلمين والنصر من عند الله"

٢٠ حزيران /١٩٦١ عبدالكريم قاسم

وأعاد صدام حسين في ندائه يوم العاشر من آب ١٩٩٠ ذات اللهجة والأفكار تقريباً باضافة بعض منعكساته الشخصية.

لا شك أنه نوع من الديماغوجيا والتشاهر بالموبقات السياسية على علم من زعماء الضم أن العلاقات العراقية ـ البريطانية لم تكن مختلفة عن نظيرتها الكويتية ـ البريطانية وان من السهولة لقارىء كان يستمع الى اذاعة الملك غازي في قصر الزهور وهو يندد بمن وصفه الشيخ الاقطاعي عاقد الاتفاقية مع بريطانيا، أن يستل نسخة من جريدة الأهالي التي كانت تصدرها جماعة كامل الجادرجي ليطلع على تنديد الوطنيين العراقيين ورفضهم المستمر لمعاهدة عام ١٩٣٠ التي عقدها نوري السعيد مع بريطانيا والتي على غرارها ربطت بريطانيا مصر عام ١٩٣٦ بمعاهدة مماثلة.

لكن هذه المعاهدة لم تكن الأولى، فقد عقد شيخ بغداد عبد الرحمن النقيب رئيس مشيخة الإسلام ونقيب الاشراف مع بريطانيا معاهدة ١٩٢٢ التي هيأت لبريطانيا اعلان الوصاية على العراق. وقد حوت جميع مبادئ الانتداب الذي كان الشعب العراقي يمقته أشد المقت.

وفي عام ١٩٢٦ عقد عبد المحسن السعدون مع بريطانيا معاهدة جائرة أخرى.

وفي نفس العام، وقعّ جعفر العسكري في لندن على مسودة معاهدة لم تبرم مع بريطانيا، قبل أن يربط العراق بمعاهدة ١٩٣٠ التي استمرت ما يقرب من ربع قرن.

مقارنة بين معاهدات الكويت ومعاهدات العراق مع بريطانيا

١ ـ عقد الشيخ مبارك الصباح اتفاقيته السرية مع بريطانيا ولم تكن الكويت دولة أو امارة، بينما عقد الشيخ عبد الرحمن النقيب رئيس الوزراء معاهدة ١٩٢٢ مع بريطانيا والعراق دولة ملكية. لكن المعاهدة التي حوت

جميع مبادئ الانتداب نصّت في المادة الثالثة منها على أن ينظم قانون أساسي (دستور) للعراق يعرض على المجلس التأسيسي العراقي على ألاّ يحتوي ما يخالف نصوص هذه المعاهدة، ويعقب الفقيه القانوني الاستاذ عبد الرحمن البزاز بأن القانون الأساسي العراقي والحالة هذه لن يكون نتاج ارادة الشعب الحرة المطلقة بل هو نتيجة معاهدة حددت مداه واشترطت أن يحتوي على مالا يخالفها، أي أن الدستور اصبح فرعاً من أصل المعاهدة، وكان الوضع الطبيعي والمعقول هو وضع دستور للبلاد أولاً وتكوين حكومة شرعية تقوم هي بعقد تلك المعاهدة ليكون لها النفوذ الإلزامي الصحيح[1].

٢ . تشكلّت اتفاقية شيخ الكويت مع بريطانيا من صفحة واحدة، بينما تتألف معاهدة شيخ بغداد معها من ست صفحات، اضافة الى اربع اتفاقيات أخرى لها ما للمعاهدة من حكم ونفوذ. وتتعلق بالشؤون المالية والعسكرية والقضائية والموظفين البريطانيين. وكانت تلك الاتفاقيات خاصة الاتفاقية المالية التي وقعها مع بريطانيا ياسين الهاشمي قد اثقلت كاهل العراق بتبعات جسام ومسؤوليات كبيرة.

٣ . عقد الشيخ مبارك الصباح اتفاقيته ولم يدخل الكويتيون في نضال وطني وثورة كبرى ولم يكن لشيخ الكويت ما يعطيه لبريطانيا سوى ميناء متواضع.

أما شيخ بغداد فقد عقد معاهدة ١٩٢٢ على حساب ضحايا العراق في حركة الجهاد ضد الاحتلال البريطاني. وعلى حساب ثورة ١٩٢٠ التي قادها فقهاء الاسلام في المدن المقدسة وعمّت مناطق العراق واستشهد فيها ما يقرب من تسعة آلاف مجاهد يوم كان تعداد نفوس العراق لا يزيد على المليونين ونصف المليون نسمة. فباع للانكليز دماء العراقيين وجعل ثروات العراق تحت تصرفهم.

(١) عبدالرحمن البزاز، محاضرات عن العراق من الاحتلال حتى الاستقلال، معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة، ١٩٥٤ ، ص ٦٧ - ٦٨ .

٤ . تلتقي اتفاقية شيخ الكويت مع البريطانيين عام ١٨٩٩ مع معاهدة شيخ بغداد التي نصت المادة الثامنة منها على ألا يتنازل عن أراض ما في العراق ولا تؤجر الى أية دولة أجنبية ولا توضح تحت سلطتها بأيةَ طريقة كانت.

٥ . تجاوزت معاهدة شيخ بغداد مع بريطانيا حدوداً دينية ما كان ينبغي تجاوزها اذ نصت المادة (١٢) منها على تسهيل اعمال التبشير وعدم التدخل في شؤون المبشرين الكنسيين وهي مادة لم نجد لها نظيراً في اتفاقية شيخ الكويت. واذ يتهم الشيخ مبارك الصباح بأنه طعن الدولة العثمانية باتفاقه مع الانكليز فان شيخ بغداد عبد الرحمن النقيب المسؤول عن مشيخة الاسلام العثماني في العراق، كان قد تواطأ من وراء ظهر الدولة العثمانية المسلمة واتفق مع قوات الاحتلال البريطاني على عدم خروج اتباعه في حركة الجهاد وقبوله فيما بعد أن يكون رئيساً لوزراء الاحتلال تحت ولاية السير برسي كوكس [١].

٦ . ووقَّع كل من نوري السعيد عام ١٩٣٠ والشيخ عبد الله السالم عام ١٩٦١ على معاهدة مع بريطانيا وتعرف كلتاهما بمعاهدة حزيران واستمرت المعاهدة العراقية بعد اعلان استقلال العراق بينما أعلنت معاهدة الشيخ عبد الله السالم في التاريخ الذي حملته الاتفاقية التي تألفت من صفحة واحدة على شكل رسالة بعث بها المقيم السياسي البريطاني الى شيخ الكويت وتألفت معاهدة حزيران العراقية من ١٤ صفحة من القطع الكبير.

٧ . لم تُحدد المعاهدة الكويتية الجديدة بزمن مكتفية بالإشارة الى انها

(١) طلاق العثماني لزواج البريطاني حالة قائمة مر بها الكويتيون والعراقيون، والمزايدة لاتخدم أيا منهما. ففي عام ١٩١٨ والدولة الاسلامية في محنة مواجهة الحلفاء وقف شاعر عراقي مشهور هو جميل صدقي الذهاوي ليحث الناس على استبدال العثمانيين الاتراك بالانكليز قائلاً :

تبصر ايها العربي واترك	ولاء الترك من قوم لئام
ووالي الانكليز رجال عدل	وصدق في الفعال وفي الكلام

تستمر نافذة المفعول الى أن يخبر أحد الطرفين الطرف الآخر برغبته في انهائها مع اعطاء مهلة لا تقل عن ثلاث سنوات، بينما الزمت اتفاقية نوري السعيد العراق بمدة نفاذ لخمس وعشرين سنة ولا يمكن الحديث عن الغائها قبل عشرين سنة من تاريخ الشروع في تنفيذها استعداداً لعقد معاهدة جديدة ينصُّ فيها على الاستمرار بحفظ وحماية المواصلات البريطانية في جميع الأحوال وفقاً للمادة (١١) من المعاهدة؛.

٨ . ربطت المادة الرابعة من المعاهدة البريطانية، العراق بعجلتها العسكرية وفرضت عليه معونة الجانب البريطاني في حالة حرب أو خطر حرب محدق بأن يقدم جلالة ملك العراق الى صاحب الجلالة البريطانية في الأراضي العراقية جميع ما بوسعه أن يقدمه من التسهيلات والمساعدات، ومن ذلك استخدام السكك الحديدية والأنهر والمطارات ووسائل المواصلات. ولم تشر المعاهدة الكويتية الى تسهيلات مماثلة.

٩ . وألزمت المادة الخامسة من المعاهدة البريطانية الجانب العراقي بمنح صاحب الجلالة البريطانية طيلة مدة التحالف قاعدتين جويتين ينتقيهما صاحب الجلالة البريطانية في البصرة أو في جوارها وموقعاً واحداً لقاعدة جوية ينتقيها في غرب نهر الفرات. وهما المعروفتان بقاعدتي الشعيبة والحبانية. ولم تعترف معاهدة شيخ الكويت باقامة قواعد عسكرية لبريطانيا على الأراضي الكويتية.

فكيف يتسنى للعراق والحال هذه أن يقود الأمة العربية نحو الحرية والاستقلال؟

ان خطاب الضم لا سيما في عهد صدام حسين اذ يساعد على نشر الكتب والدراسات حول دعوة الضم يعمد الى طمس حقيقة المعاهدات التي وقّعها شيوخ السياسة العراقية كعبد الرحمن النقيب وعبد المحسن السعدون وجعفر العسكري وياسين الهاشمي ونوري السعيد، أما البقية منهم فمعروف ان شرط الاستيزار أو رئاسة الوزارة مرهون سلفاً باقرار المعاهدة العراقية . البريطانية التي جئنا على بعض موادها.

وعلى الجانب الكويتي وباستقصاء دقيق يحلل الاستاذ الدكتور

عبدالرضا علي اسيري من كلية العلوم السياسية في جامعة الكويت، مراحل تطور سياسة الكويت الخارجية بخمس مراحل[1]:

البقاء والدفاع عن النفس ١٩٦١ ـ ١٩٦٣ .
البراجماتيكية / المنهاج العلمي المتوازن ١٩٦٣ ـ ١٩٧٩ .
التذبذب والميل والانحياز ١٩٧٩ ـ ١٩٨٦ .
التخوف والتشكك والقلق ١٩٨٦ ـ١٩٩٠
الغزو والتفكك والتحرير والتردد ١٩٩٠ ـ ١٩٩٢

لكن الباحث لم يوغل في تفاصيل هذه المراحل ، لاسيما المرحلة الثالثة التي تشكل قاعدة ونهجاً للمرحلة الخامسة والاخيرة!

فقد خرجت الكويت عن منهاجها العلمي المتوازن ، الى الميل القاتل، والانحياز الأعشى ، والطرف الآخر يستعد لجولة كويتية بعد جولته الايرانية . فكأنها هيأت له مناخ السوديت الذي تهيأ للزعيم النازي أدولف هتلر، سوى انه لم يتصرف في عملية الاجتياح تصرف هتلر في عملية الضم.

وباعتقادنا فانه لو قدر للقيادة السياسية في الكويت ان توقف التحادر الذي آلت اليه في المرحلة الاخيرة، فسيكون بامكانها الوصول الى نتائج طيبة، لكنها مقيدة في حركتها بأكثر من آسر ... محلي، واقليمي ودولي. وقد تكون صياغة اسلوب سياسي لتوحيد الاتجاهات الثلاثة الآسرة أمراً في غاية التعقيد.

وهذه واحدة من ابرز المشكلات التي تقف امام صانع القرار السياسي في هذا البلد.

---

(١) الكويت في السياسة الدولية المعاصرة، ص ٤٢ .



ملك الضمّ

محاولة غازي الأوّل



ملك في مناخ السوديت

على قصر عهده واضطراب المعلومات عنه واختلاف القريبين منه على تقييمه فقد ساد الاجماع الشعبي وانتقل ذلك الى كتب التاريخ أن الملك غازي نجل الملك فيصل الأول الذي توّج عام ١٩٣٣ ملكاً على العراق وعمره واحد وعشرون عاماً هو أول زعيم عراقي يخرج بفكرة الضم من بطون الكتب وأناشيد الطلبة ورسائل الدبلوماسيين وصالات الهمس السياسي الى الصوت الاذاعي الممزوج بتصميم والمدعوم بمؤسسة اذاعية خاصة تحضّ في برامجها أهل الكويت واهل العراق على عمل ثوري ضد حاكم الكويت والحاق الكويت بالعراق عنوة. فوضع هذا الشاب قليل التجربة والخبرة والمعجب بسيارات السباق والطائرات الخفيفة موضع الملك سيجموند في عواطف البولنديين. وأحبّه من لم يكن من محبي السلطة ورجالها المعزولين عن حياة الناس. لكن انطباع الساسة العراقيين والدبلوماسيين الأجانب الذين رافقوه في تلك الفترة واقتربوا من اسرار البلاط لا تشجع الباحث على الانضمام الى كتابات تروّج للصورة المتداولة في الأروقة الشعبية عنه. ولم ينجح هؤلاء الذين يبدو أنهم نفذوا اشارات رسمية بالتركيز الإيجابي على الملك غازي وأصدروا أكثر من كتاب عنه في اخفاء جوانب من المعلومات الخاصة والمتداولة في أروقة الدبلوماسيين ومذكرات الساسة الملكيين والدبلوماسيين الأجانب عن الملك غازي.

لكن حزباً أو شخصية أو حملة مالم تستطع أن تخلخل خطوط الصورة الجميلة للملك غازي في الذهن الشعبي، رغم أنه لم يكسر تقاليد العزلة الملكية فيستقبل مثلاً الناس ويستمع الى همومهم أو يزورهم في المجالس والدواوين ولم تسجل على مستوى المخاصمة مع الانكليز حادثة له في الكتاب الوطني العراقي.

كان الملك غازي مغموساً في نمط من حياة الشباب الى جانب حاشية من اصدقائه السابقين في الكلية العسكرية العراقية يمارسون في قصره الملكي دور التلاميذ

في مدرسة مسائية بلا مدير. ولم تتناول التحليلات السياسية علاقته بياسين الهاشمي رئيس الوزراء القومي الذي حاول أن يشغل غرفة المدير فيها مكتفين بعرض نماذج من الإجراءات الصارمة لتقييد حرية الملك وما اذا كانت تلك الإجراءات خطوة لتجميده وازاحته على غرار ما فعل زميله في الدراسة مصطفى كمال اتاتورك في تجميد السلطان العثماني قبل أن يتسنى له الغاء الخلافة. أو ما اذا استهدفت اجراءات التضييق عزل الملك للانفراد به. وما اذا كانت لتلك الإجراءات التي لم يقدم عليها رئيس وزراء ضد ملك عربي أو شرقي صلة برواية العلاقة بين الملك وابنة الهاشمي وترشيح أوساط غير رسمية احتمال زواجها من الملك غازي وهو مشروع كان سيدعم مركز الهاشمي ويغيظ زملاءه الأقوياء امثال نوري السعيد الذي عقب قائلاً بلهجة عراقية (جانت عايزة التمّت. ما بعد الاّ يصير ياسين عم الملك).

ومعروف عن الهاشمي أنه لا يلبث أن يغير عقيدته ومواقفه السياسية ولم يكن على صلابة نوري السعيد في خطه البريطاني وصلابة جعفر أبو التمن في خطه الوطني لكنه كان يكتب ورقة للوطنيين يزايد فيها على وطنية أبو التمن وورقة للانكليز يزايد فيها على ولاء الملك ونوري السعيد لهم.

واذ اكتشف الانكليز ورقته الوطنية عن طريق عميل لحسابهم من رجال الدولة، لم يكشف الوطنيون ورقته الانكليزية الا بعد أن شكل وزارته الاولى ووقّع على اتفاقية النفط التي منحت الشركات الأجنبية حق احتكار التنقيب والاستثمار والتسويق الى مطلع القرن الحادي والعشرين كما وقع على الاتفاقية المالية التي اعتبرت العراق المحتل مديناً لبريطانيا ومسؤولاً عن تسديد نفقات الاحتلال، والاّ بعد أن نشرت المس بيل رسائلها الى ابيها في كتاب.

والهاشمي رأس سلجوقي[1] وشاربان ألمانيان وعينان ترقبان خطوات صديقه

(١) يعتقد الباحث المحايد الأستاذ حنا بطاطو في دراسته القيمة للطبقات الاجتماعية في العراق أن أصل ياسين الهاشمي سلجوقي علماً أن لقب الهاشمي منتحل وأن اسمه الحقيقي حتى دخوله عالم السياسة العراقية هو ياسين حلمي وفي كتابه (زعماء عرب معاصرون) يستعرض الأستاذ مجيد خدوري ظاهرة انتحال الزعماء العراقيين لأصول عائلية وعشائرية.

وما زال ياسين الهاشمي يسمى بسمارك العرب وتدور حوله قصص واحلام قومية. ففي ١٩٩٥/٢/١٩ نشرت جريدة الرأي الاردنية مقالاًبقلم المحامي أكرم الناصر يكرر في العنوان أن ياسين الهاشمي هو بسمارك العرب. ويستعرض أوجه الشبه بينهما، ويشير الى الثقافة الالمانية في القرن التاسع عشر وتأثيراتها على ياسين الهاشمي الذي حمل لقب بسمارك العرب.

أتاتورك الذي أوعز لنوري السعيد ولسياسيين عراقيين بقبول زعامة الهاشمي منفذاً لبرنامج اتاتوركي مماثل في العراق. وقد انفرد الهاشمي في الإشارة الى (الوحدة) مع الكويت من بين زعماء الأحزاب الأخرى، لقد أهملت تحليلات خاصة بالظروف التي تهيأت للملك غازي باعلان حركة ضم الكويت، تلك الأسئلة ولم تشر الى علاقة الاستاذ ساطع الحصري ومعلمي الملك غازي في الكلية العسكرية في الأعداد لحركة الضم.

ان كتابات الثناء على الملك غازي والتي تجد لها صدى شعبياً طيباً تتحدث عنه بلغة الفخر وهو يقف وراء المايكروفون ويذيع تعليقات سياسية ضد شيوخ الكويت وينقل اخبار الحركة الوطنية الكويتية الناهضة عام ١٩٣٨[(١)].

الواقع واستناداً الى التقاليد الملكية فان عملاً كهذا لا ينبغي أن يتورط الملوك بالاقتراب منه، فالملك ليس مذيعاً ودار الاذاعة مكانها ليس القصر الملكي.

واذ يجري تكبير دور الملك غازي في تزعم حركة المطالبة بالكويت، تُهمل الاشارة - الا في حالات نادرة - الى احتمال أن يكون له دور في الأحداث الساخنة في فترة حكمه. فقد اشتعلت سبع انتفاضات وثورات محلية جرى قمعها بوحشية وحدث أول انقلاب عسكري على صعيد العراق والوطن العربي عندما قام نائب رئيس اركان الجيش الفريق بكر صدقي بالزحف على بغداد وقصفها بطائرات القوة الجوية مطالباً باجراء تغيير وزاري دو أن يمسّ الملك بضرر فاستجاب الملك حالاً وسقطت وزارة ياسين الهاشمي الذي جعلت اجراءاته الملك غازي "لا يستطيع أن يقوم بأي عمل مهما كان بسيطاً دون موافقة رئيس الوزراء أو أخذ رأيه بواسطة رئيس الديوان الملكي عن طريق دائرة المرافقين وقد شعر الملك غازي

(١) لم يكن الملك غازي الذي شُغف بالجلوس وراء المايكرفون الاذاعي وأقام خمس محطات اذاعية وحده في تلك الحملة.

إن رجال دين كبار مثل نجم الدين الواعظ وحمدي الأعظمي وأساتذة كالدكتور فؤاد غصن وقفوا معه إلى جانب يونس بحري المذيع المعروف لاحقاً في اذاعة برلين الغربية والمتهم بأعمال التجسس لصالح النازيين والحلفاء في وقت واحد.

راجع محمد حسين الزبيدي، الملك غازي ومرافقوه، دار الحرية، بغداد، ١٩٨٩، ص١٠٠.

بوطأة وضغط رئيس المرافقين الشديد عليه حتى أخذ يردد قوله بأنه (سجين محترم)[1]. وكما أزيح الهاشمي عن رئاسة الوزراء فقد قتل اثناء حركة الجيش وزير الدفاع جعفر العسكري[2] ثم اغتيل لاحقاً الفريق بكر صدقي زعيم الانقلاب مع قائد القوة الجوية ولم يعد حكمت سليمان رئيس الوزراء والمنافس الاتاتوركي القوي يمتلك قوة اسناد.

نقول هل يمكن أن يكون الملك غازي بعيداً عن هذه (المكاسب) التي وفرت له حرية التصرف الى جانب رئيس وزراء ضعيف وغير مكترث كجميل المدفعي، بعد أن كانت حركة الفريق بكر صدقي الطامح بالدور الاتاتوركي هو الآخر في ٢٩ تشرين الأول ١٩٣٦ ، وما اعقبها من أحداث درامية، قد أنهت صراع الجبابرة على دور الجبار الاناضولي! ولم يبقَ في الساحة من الأقوياء سوى رشيد عالي الكيلاني، الذي كان موقعه الخطير رئيساً للديوان الملكي، كافياً لتمرير دور من أدوار الهاشمي، ولكن بطريقة خفية ومقبولة الى حداً ولعله ضَخَّ قدراً غير يسير من افكاره ومشاعره في وجدان الملك الذي كان تلميذاً في ذات المدرسة، وقد لا يكون بعيداً انه كان يحضُّ الملك على اعلان فكرة الضم كممارسة بسماركية مطلوبة.

اغلب الظن أن الملك بعد هذه الصراعات لا بد أنه تساءل عن دوره كزعيم أو كملك لا يكتفي بلقب الجلالة السجين في قيود لم تعد قائمة بعد رحيل الهاشمي.

ان عدداً من الظروف الناضجة ستلح عليه بالتحرك، فأعوام التثقيف الالماني والنفوذ الالماني، والرغبة الشخصية وجاذبية الدكتاتوريين الاربعة في المانيا وايطاليا وتركيا وايران، وأصداؤها "الشعبية" في العراق قد وفَّرت مناخاً مناسباً للتحرك.

وكان الملك غازي مبتهجاً بأخبار النجاح الذي حققه هتلر بضم النمسا الى

---

(١) د. محمد حسين الزبيدي، الملك غازي ومرافقوه، دار الحرية بغداد ١٩٨٩ ص٢٩٥ - ٥٩٦ .

(٢) لم يكن الملك غازي يحمل وداً لجعفر العسكري ويبرر طبيب العائلة المالكة سندرسن ذلك برفض العسكري طلباً للملك غازي عندما كان في (هارو) بلندن لشراء سيارة سباق لأنها غالية السعر. لكن الذهن الشعبي قد يفسر كره الملك لجعفر سياسياً ويتصل باستعداد الأخير غير المحدود لخدمة السياسة البريطانية في العراق.

الرايخ الالماني الثالث وحث روسيا على ضم اوكرانيا.

ولعل الملك غازي كان يتابع هو ومعلموه تفاصيل الخطة التي وضعتها المانيا لضم أقليم السوديت في مقاطعتي بوهيميا ومورافيا والعائد الى جيكوسلوفاكيا لكون السكان في هذا الاقليم يتحدثون الألمانية، أو أنهم من الجنس الألماني فعلاً فأثار فيهم نخوة الانضمام الى (الوطن الأم) منتهزاً ظروفاً دولية معقدة وموقف بريطانيا المؤيد لنقل أراضي السوديت الى المانيا، فعبر الجنود الألمان الحدود في أول اكتوبر تشرين أول ١٩٣٨ . واذ رأى الجيران هذا طالبت بولندا بمدينة تشن من جيكوسلوفاكيا وتقدم الهنغاريون بطلب أجزاء أخرى منها. أما الايطاليون فقد هتفوا في مجلس النواب وصاحوا (تونس . كورسيكا . جيبوتي)[١].

كانت اذاعة برلين العربية في تلك الفترة تبثُّ برامجها لتحريض العرب على الانكليز والترويج للنازية، وكان نفوذ السفير الالماني في بغداد موازياً لنفوذ السفير البريطاني، ولا بد أن عناصر ألمانية اتصلت بمن يعمل في اذاعة الملك غازي وقدمت لها معلومات وأخباراً وتقارير لمساعدتها على تغطية أوقات البث واستخدامها في هدف مشترك.

السوديت الكويتي

ولعل ضم النمسا وضم السوديت وتحريض روسيا على ضم اوكرانيا ومطالبة بولندا بمدينة "تشن" قد سارعت في حضِّ الملك على أخذ المبادرة والتحرك على طريقة هتلر في ضم السوديت والنمسا ولعله أوشك أن يتخيل الكويت سوديت عراقية، وأن يعُد برنامجاً للكويتيين على غرار برنامج هتلر في السوديت، ولعله نجح في تحريض الكويتيين باعتراف المصادر الكويتية ذاتها.

"فقد لعب العراق دوراً رئيسياً في دعم كتلة الشباب الوطني من أجل

(١) راجع د. يواقيم مرقص ، أزمة الخليج والحق التاريخي، ص ١٠ .

تأسيسهم للمجلس التشريعي. وحقيقة الأمر أن العراق تمكن من أن يلعب هذا الدور بسبب تضافر مجموعة من العوامل التي كان وجود بعضها سابقاً على حكم الملك غازي ونستطيع أن نحدد تلك العوامل بالتالي: .

١ . مَثَّل النظام العراقي كبلد وكنموذج للحياة آنذاك بالنسبة للكويتيين نموذجاً للتطور والتقدم، وبالتالي كان الكويتيون يعتبرون العراق مثالاً جيداً للإدارة الحكومية الحديثة التي يتمنون تطبيقها لديهم.

٢ . كان غالبية المتعلمين الكويتيين . على قلتهم . قد أتموا تعليمهم في العراق، مما يجعلهم، كفئة بارزة في المجتمع الكويتي، يساهمون في الدفع باتجاه العراق من حيث نظم التعليم، والنظام الحكومي ككل. وبالتأكيد فان تأثير الفئة المتعلمة قليلة العدد في مجتمع متخلف تنتشر فيه الأمية هو تأثير له وزنه الذي لا يجب الاستهانة به.

٣ . يمتلك العديد من التجار والأسرة الحاكمة بساتين كبيرة للتمر في البصرة بشكل خاص والعراق بشكل عام، وقد كان اعتماد الكثير من هؤلاء الملاك على محاصيل تلك البساتين كبيراً. وهكذا يتضح لنا بأن الفئات الاجتماعية ذات النفوذ الأعلى في البلاد لها صلات اقتصادية بالعراق وبالتالي تأثير ما يحدث في العراق يكون مباشراً عليها.

٤ . لعبت الصحافة العراقية دوراً بارزاً ومؤثراً في انتقادها للنظام الحاكم في الكويت مع التركيز على الشيخ أحمد الجابر. كما قامت بنشر الكثير من آراء ووجهات نظر كتلة الشباب الوطني ازاء الأوضاع المتردية في الكويت، ويكفي أن نقول أن برنامج الكتلة الإصلاحي نشر أول ما نشر في صحيفة تصدر في البصرة تدعى صحيفة الزمان" [(١)].

ويقول باحث اكاديمي كبير ان شخصيات كويتية أوعزت للملك غازي (١٩٣٣ . ١٩٣٩) بالمطالبة بضم الكويت في بيانات عامة[(٢)].

(١) د. غانم النجار، المصدر نفسه ص ٢٠ . ٢١ .

(٢) د. مجيد خدوري، العراق الجمهوري، الدار المتحدة للنشر، بيروت ١٩٧٤ ص ٢٨٨ .
إن ما يشير إليه الأستاذ خدوري يمكن أن أدعي نظيره في رؤية وسماع شخصيات كويتية تطالب صدام حسين بضم الكويت.

ويذكر باحث عراقي أن الدعاية الحكومية والصحفية في العراق تركت أثراً ملحوظاً في الكويت، اذ صوت "عشرة اعضاء من مجموع أربعة عشر عضواً في المجلس التأسيسي الكويتي في كانون الأول ١٩٣٨ للانضمام الى العراق، فأعلن أمير الكويت حل المجلس في ٢١ كانون الأول ١٩٣٨ كما اصدر حكماً بالاعدام على بعض المعارضين.."(١)

ويضيف الباحث أن "مظاهرات ضد شيخ الكويت في شباط ١٩٣٩ هتفت بحياة الملك غازي "ملكاً للوحدة العربية".. ورفع المتظاهرون العلم العراقي ولافتات كتب عليها: "الكويت جزء من العراق"، فاعتَقَل (الشيخ احمد) العناصر البارزة ونفى عدداً منهم، ومنع الاستماع الى اذاعة قصر الزهور بالقوة".

والظاهر أن الملك كان يتهيأ في السر للتدخل العسكري في الكويت وأنه أوعز الى رئيس أركان الجيش (الفريق حسين فوزي) بسوق الجيش الى الكويت فوراً، ولكن المسؤولين العسكريين تمكنوا من اقناع الملك بالعدول عن رأيه مبينين له أن التدخل يعتبر "تحرشاً بالانكليز وبأهم وتر حساس يمس مصالحهم البترولية"(٢).

ويقدم ناجي شوكت رئيس وزراء العراق الاسبق تفاصيل اضافية حول طلب الملك غازي سوق قوة عسكرية لاحتلال الكويت قائلاً:

".. كان للملك غازي محطة بث لاسلكية يستعملها من قصر الزهور، وتحيط به عصبة فيها القومي القح، وفيها الجاسوس الالماني المتردي باللباس القومي، وفيها السافل الغر، والظاهر أن هذه الجماعات كانت تؤثر فيه وتوجهه الوجهة التي تريدها. وفي احدى الليالي المعروفة قرر الملك احتلال الكويت، فأصدر أوامره الى رئيس أركان الجيش بتنفيذ هذا الأمر بالاحتلال. وفي الوقت نفسه اتصل بمتصرف لواء البصرة علي محمود الشيخ علي هاتفياً، وطلب اليه أن يسند قطعات الجيش العراقي المرابطة في البصرة لاحتلال الكويت.

كنت ما أزال قائماً بوكالة رئاسة الوزارة لأن نوري السعيد كان ما يزال في

---

(١) د. لطفي جعفر فرج، الملك غازي بغداد ١٩٨٧ ، ص ٢١٨ .

(٢) المصدر السابق، ص٢٢٤ .

لندن، وفي صبيحة اليوم الثاني من الإيعاز، طُلبت للحضور في البلاط الملكي فلما حضرت، وجدت في غرفة رئيس الديوان رشيد عالي كلا من وزير الدفاع طه الهاشمي، ووكيل رئيس أركان الجيش، فبادرني طه بالكلام قائلا: ان الملك اتصل برئيس اركان الجيش وأمره أن يحتل الكويت، كما طلب الى متصرف البصرة تيسير هذا الاحتلال. وأضاف طه الى كلامه هذا: ولكننا لم ننفذ الأمر لعلمنا أنه صدر في الأمسيات المعروفة، وعليك الآن أن تتدارك الأمر وتعالجه.

وصل الملك الى بلاطه بعد الساعة العاشرة . على عادته . فدخلت عليه بعد الاستئذان الاصولي، فاستقبلني بأدبه المعهود ثم سألني ماذا فعلتم لاحتلال الكويت؟ قلت له انك لم تكلمني يا سيدي في هذا الموضوع، وانما كلمت رئيس أركان الجيش رأساً، كما اتصلت بمتصرف البصرة هاتفياً وجلالتك تعلم أن الملك مصون غير مسؤول. ولا سيما في مثل هذه الأمور الخطيرة، ورئيس الوزراء ما يزال في لندن من أجل قضية فلسطين، وأنا بغيابه لا أستطيع أن أقدم علي مثل هذا الاجراء الخطر والخطير لأن المسؤول الأصلي غائب، فان كنت مصِّراً على تنفيذ ما أمرت به، فاني سأبرق الى لندن حالاً ليعود الى بغداد فوراً ولكن من واجبي أن ألفت نظر جلالتك الى نقطتين هامتين في هذا الموضوع: أولهما انه ليس من المصلحة أن يستدعى نوري من لندن لأنه قائم بمهمة خطيرة، والثانية أن في الامكان احتلال الكويت خلال ٢٤ ساعة. ولكن هل تعتقد جلالتك أن كلاً من بريطانيا، وايران، والسعودية، سيقفون مكتوفي الأيدي ويرحبون بهذا العمل الجسيم؟ أنهم سينقمون علينا أشد النقمة ويقومون باجراءات لا قبل لنا عليها، فهل جلالتك مستعد لمحاربة ثلاثة دول في آن واحد؟ لم تكن هناك ضرورة لكلام أطول فقد قال جلالته قولاً وجيزاً: طيب لننتظر عودة نوري ولا حاجة للاستعجال. فعدت الى غرفة رئيس الديوان وقصصت على الموجودين ما حدث، فارتاح الجميع وانتهت القضية بسلام والحمد لله [1].

بهذه الخاتمة التي ينهي بها قراء الأدعية سطورهم يغلق وكيل رئيس الوزراء في فترة الضم الأولى ملف الضم وهو شقيق أبرز الدعاة النازيين الذي شكل

(١) ناجي شوكت، سيرة وذكريات ، بغداد ، ١٩٨٠ ص ٣٤١ ـ ٣٤٢ .

منظمة على غرار منظمة "هتلر جوجند" قاذفاً الى حفر النسيان حادثاً كهذا غافلاً عن عرض الظروف السياسية والعوامل الايديولوجية، فضلاً عن اسباب خاصة تتصل بشخصية الملك غازي.

أما الجانب الكويتي فقد هيأت له ظروف ما بعد الاجتياح العراقي فرصة علمية رحبة لإصدار دراسات التزمت بدرجة من الحياد عرضت لمراحل المطالبات العراقية.

في هذا السياق تطرح المصادر الكويتية مجموعة عوامل دفعت العراق الى المطالبة بالكويت وهي:

(١) الرغبة في الاستحواذ على الممتلكات الكويتية الخاصة في البصرة والفاو. ينم عن ذلك أن الحكومة العراقية قد بدأت بفرض ضرائب على تلك الممتلكات على اعتبار أنها غير ملزمة بالوعود التي كانت بريطانيا قد قطعتها على نفسها للشيخ مبارك الصباح ابان الحرب بضمان حيازته لتلك الممتلكات واعفائها من الضرائب.

اتجهت الحكومة العراقية بعد ذلك الى عدم الاعتراف بملكية شيوخ الكويت لأراضيهم في البصرة والفاو بحجة عدم تسجيل تلك الأراضي في (دفاتر الطابو) وناصرت المحاكم العراقية كثيرين من المدعيّن بملكية تلك الأراضي، ثم لم تلبث أن استغلت الحكومة العراقية الأزمة التي ترتبت على الدعوة لضم الكويت الى العراق لتجريد شيخ الكويت من معظم ممتلكاته وممتلكات أسرته واعتبارها من المنافع العامة.

(٢) أسال اكتشاف حقل البرقان عام ١٩٣٨ ، وهو من أضخم حقول النفط الكويتية.. أسال لعاب الحكومة العراقية للاستفادة من الثروة النفطية التي أصبح من المتوقع أن يحظى بها الكويت.

(٣) أراد العراق توسيع نافذته على الخليج بعد أن ضاقت كثيراً نتيجة للتنازلات التي قدمها لإيران في اتفاقية شط العرب عام ١٩٣٧ وأخذ بعدها يعاني من لون من ألوان الاختناق البحري.

بدا ذلك في اعتراض الحكومة العراقية على تقارير اللجان الفنية الخاصة بتعليم الحدود التي سبق ووافقت عليها عام ١٩٣٢ ، وذلك على أساس ما قررته تلك

اللجان عام ١٩٣٨ من اعتبار الخط المستقيم الذي يمتد شرقاً من الباطن الى جنوب آخر نخلة تقع الى أقصى جنوب سفوان أسلوب غير عصري في تعليم الحدود، كما أن امتداد الحدود من النقطة الواقعة جنوب سفوان حتى النقطة التي يلتقي فيها خور عبد الله بخور الزبير قبل أن يصل الى نقطة الثالوك من شأنه حرمان العراق من منفذ له على الخليج، ومن ثم طالب العراق بأن تتنازل الكويت عن مقاطعاتها الشمالية الى خط عرض ٣٥ ٢٩ درجة شمالاً وهذا معناه أن تترك له ما يقرب من ثلث مساحتها.

(٤) فشل العراق في اخضاع الكويت لنظامه الاقتصادي بعد تعثر الجهود لإقامة اتحاد جمركي بين البلدين لاختلاف الأنظمة الاقتصادية.

ورأى العراق أن ضم الكويت سيساعده في القضاء على تجارة التهريب التي ادعى أنها تؤثر تأثيراً سيئاً على اقتصاده، فضلاً عن أن القبائل في الفرات الأوسط تعتمد في تمردها على السلطة العراقية على الأسلحة المهربة من الكويت اذ أن خط الحدود بين الكويت والعراق يسير لحكم طبيعة المناطق التي يمر بها في خطوط مستقيمة لعدم وجود فواصل طبيعية أو بشرية مما يساعد على استفحال تلك التجارة.

(٥) فجرت حكومة العراق قضية امداد الكويت بالمياه من شط العرب وذلك بتفتيش القوارب الكويتية المشتغلة بنقل المياه العذبة بحجة أنها تمارس تجارة التهريب مما كان يترتب عليه تأخر وصول مياه الشرب الى الكويت[1].

لكن هذه المصادر على أهميتها، قد تستسلم لدسيسة بريطانية لتحريض العرب على بعضهم وتتعامل معها كنص علمي لتحليل مشروع نقل المياه العذبة من العراق الى الكويت.

ان "وجهة النظر البريطانية" المنقولة في نفس المصدر عن الوكيل البريطاني في الكويت تذهب في تخويف الكويتيين من مشروع عربي نافع جداً فاضحاً من سوء النية.

---

(١) الكويت وجوداًوحدوداً ، مجموعة من الباحثين ، ص ٩٤ ، ٩٦ ، ٩٧ .

يذكر ديكسون الوكيل البريطاني في الكويت: "أن آخر الطرق العراقية في مغازلة الكويتيين التلويح لهم بالفوائد التي يجنونها من الحصول على مياه شط العرب بواسطة أنبوب قطره ٢٣ بوصة الأمر الذي من شأنه أن يحوّل الأراضي القاحلة بجوار مدينة الكويت الى حدائق غناء، وهم يعرفون أنه اذا تم ذلك فان الفلاحين الذين سيتولون زراعة الأرض المستصلحة سيأتون من العراق، وبذلك يسيطرون على جزء كبير من الأراضي الكويتية ويطلبون حماية دولتهم في حالة نشوء أي نزاع ولو كان مفتعلاً"(١).

(٦) كان تأثير النفوذ الألماني النازي واضحاً على توجهات السياسة العراقية الأمر الذي تبدى في الدعاوى العراقية لضم الكويت بالنظر اليه باعتباره المناطق الجنوبية Southernland of Iraq مما دفع الحكومة البريطانية الى اتهام الهر جروبا Herr Grobba وزير المانيا المفوض في بغداد بأنه المحرك الأساسي للدعاية العراقية ضد الكويت(٢).

صراعات السعيد ومكاسب السالم

كان متوقعاً ان توقظ محاولة الضم الأولى في السياسة الكويتية هواجس الحذر ازاء الطروحات العراقية، وان يتطور الهاجس الى مايشبه قواعد الإحتراس التي أخذت مواقعها في السياسة الكويتية ازاء المشروعات القادمة من جوارها الشمالي والتي تشترك واياه في منظومة سياسية واحدة استناداً الى منطوق معاهدتي التحالف اللتين يرتبطان بهما مع بريطانيا.

ولم يكن متوقعاً ان يؤدي (الرفض النوعي) الكويتي الى نتائج ايجابية على صعيد حركة التحرر العربي، ففي كل مرة تستخدم الكويت هاجسها في رفض

(١) راجع ترسيم الحدود الكويتية العراقية ص ٤٤ .

(٢) الكويت وجوداً وحدوداً ، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، مصر ، ١٩٩١ ، ص ٩١ وما بعدها .

مشروع عراقي ملكي. وبمقدار تزاحم الإجابات السلبية الناشئة أصلاً من قواعد الإحتراس كانت خطوة ايجابية تتحقق لحركة التحرر العربي، فظهرت الكويت وهي لما تزل تحت الحماية البريطانية أقرب الى تلك الحركة من دول عربية مستقلة.

أثمرت قواعد الإحتراس ، وهي سياسية سلبية تتحكم في العلاقات بين البلدين عن فشل مخطط نوري السعيد لضم الكويت الى حلف بغداد على الرغم من أن السعيد كان يشترط على نفسه اقناع بريطانيا باعلان استقلال الكويت قبل انضمامها الى الحلف ضمن محاولاته لتوسيع الحلف عربياً فعاش الحلف ومات دون أن ينجح في اقناع دولة عربية بالتوقيع على طلب الإنضمام اليه.

أما المحاولة الثانية من محاولات الرفض الكويتي والتي ادت عرضاً الى خدمة الخط العربي المتحرر والتي يعود الفضل فيها الى قواعد الإحتراس فتتمثل في عدم انصياع الكويت للنداءات المتكررة للإنضمام الى الإتحاد العربي الهاشمي والذي أسس لخلق ندية لمعادلة الزخم الشعبي للجمهورية العربية المتحدة بزعامة الرئيس جمال عبد الناصر. وكانت شروط نوري السعيد تستهدف ايضاً اقناع بريطانيا لإعلان استقلال الكويت قبل انضمامها الى الإتحاد.

يقول فاضل الجمالي نائب رئيس الوزراء الأسبق:

ثم لما عدت من الولايات المتحدة الأمريكية في أوائل تموز ١٩٥٨ زرت وزير الخارجية البريطانية المستر سلوين لويد في داره (كارلتون غاردن رقم ١) فحدثني المستر سلوين لويد عن اجتماع صاخب بينه وبين المرحوم السيد نوري السعيد.

ان السيد نوري السعيد كان قد غضب على الإنكليز لتلكؤهم في منح الكويت الإستقلال.

فقد كان هناك اقتراح عراقي بان تستقل الكويت (وكنت اقترحت أنا بأن يصبح أمير الكويت ملكا) وأن ينضم الكويت الى الإتحاد العربي المؤلف من العراق والأردن. بذلك يساهم الكويت في نفقات الدفاع عن الأردن الذي هو دفاع عن المشرق العربي كله. ولكن الأنكليز تباطأوا في ذلك ولم يعلن استقلال الكويت الا بعد ثلاث سنوات [١].

---

(١) د. محمد فاضل الجمالي. العراق الحديث - بيروت بلا تاريخ - ص٢٢ .

ووفقاً لما يقوله ماكملان رئيس وزراء بريطانيا آنذاك فان بريطانيا رفضت بشدة مشروع نوري السعيد معتبرة اياه مستحيلاً وخطيراً وتساءل ماكملان من يدري ما سيكون موقف الكويت اذا ما منحت الأستقلال فليس من المستحيل أن يقرر الكويتيون الإنضمام الى مصر بدلاً من العراق، ويظهر أن مخاوف ماكملان كانت تستند الى وقائع لم يُفصح عنها الا بعد الثورة العراقية اذ سجل في دفتر يومياته يوم ١٧ تموز ١٩٥٨ ـ بعد ٤ أيام على سقوط نوري السعيد ـ "ان الكويت بانتاجها الضخم من النفط هي مفتاح الحياة الإقتصادية لبريطانيا واوربا. وحاكم الكويت شخصية غريبة الأطوار وهو الآن في دمشق في عطلة اصطياف فهل سيعود بعد أن قابل عبد الناصر؟ وهل باع نفسه الى ناصر؟.. هذا ما لايعرفه أحد[١].

ان النص الكويتي التالي مثال لسياسة قواعد الأحتراس والشك في التعامل ليس مع المشروعات العراقية فحسب بل واعتمادها أساساً في التحليلات الصادرة عن مراكز البحث العلمي.

"وبدأت عودة المتاعب خلال الخمسينات، خاصة بعد قيام حلف بغداد فقد رأى نوري السعيد رئيس وزراء العراق، والشخصية السياسية الرئيسية فيه ان الفرصة سانحة للعودة الى سياسة احتواء الكويت خطوة خطوة، ولابد أنه كان يقدر أن دعوته لانضمام الكويت الى حلف بغداد لن تواجه المعارضة التقليدية من جانب بريطانيا، ثم انها ستكون الخطوة الأولى نحو تحقيق دعاوى العراق في الكويت. غير أنه قد تجاهل في ذلك ارتفاع موجة المد القومي العربي الذي كان يقاوم انضمام العراق نفسه الى الحلف ناهيك عن أن يضم ذلك الحلف دول عربية أخرى.

لم يلبث نوري السعيد أن جدد محاولته مرة اخرى بعد قيام الإتحاد الهاشمي

(١) المذكرات ـ ص٥٢٣ . انظر نجم محمود. المقايضة، دار الغد ـ لندن، ١٩٩١ ـ ص٢٩٠ . ونجم محمود هو الاسم المستعار للدكتور ابراهيم علاوي مسؤول القيادة المركزية المنشقة عن اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي نحو مواقف أشد راديكالية، الا انه فاجأ الكثيرين بظهور اسمه في لائحة المنتمين الى المؤتمر القومي العربي ، وهو تجمع يميني بزعامة خير الدين حسيب، يسترجع الرم الفكرية في رفات المرحوم ساطع الحصري ويبرر خطايا سلطة القرية في بغداد.

الذي يضم العراق والأردن عام ١٩٥٨ ، فقد سعى الى ضم الكويت الى هذا الإتحاد. وكان وراء هذه المحاولة الى جانب التطلع العراقي المستمر تجاه الكويت الرغبة في الحصول على ثروة الكويت التي كانت قد تعاظمت على نحو كبير خلال ذلك العقد- عقد الخمسينات- بالإضافة الى الرغبة في ألا يقتصر الإتحاد على الدولتين الهاشميتين خاصة بعد أن أبدت دول عربية عديدة شكوكها من قيام هذا الإتحاد.

ولعل سقوط نوري السعيد ومقتله في اعقاب قيام ثورة تموز ١٩٥٨ قد ساعد على تخليص الكويت من الإرتباط بمخططاته"[١].

لكن هل كان نوري السعيد يسعى لضم الكويت الى العراق وليس الى حلف بغداد أو الى الإتحاد الهاشمي في تلكما المحاولتين؟.

لا أظن انه كان متحمساً للضم الكلي وان كان من المنحازين الى فكرة الضم البحري في الثلاثينات والأربعينات لكنه في الخمسينات لم يكن . وقد سيطرت عليه فكرة الخطر الشيوعي والخطر الناصري . يطمح الى اكثر من كسب مؤيدين عرب لسياسة التحالف العسكري مع الغرب. ولعله استحدث نوعاً آخر يمكن أن نسميه بالضم السياسي وتلك كانت أعلى طموحاته وأكثرها تعبيراً عن ضرورات السياسة الراهنة آنذاك.

أما في دعوته ضم الكويت الى الإتحاد لتكون المحفظة المالية ولتعوض الأردن عن مساعدات خارجية أجنبية فانها دعوة لاترقى الى اعتبارها محاولة للضم على الطريقة البسماركية أو ابتلاع الكويت خطوة خطوة حسب قواعد الإحتراس والشك المغروسة في التصور الكويتي.

والذي يبدو أن نشوء وتضخم الهاجس الكويتي وظهور قواعد الإحتراس شبه المطلق من المطروح العراقي قد استغرق السنوات الأخيرة لحكم الشيخ أحمد الجابر الصباح ولم تظهر آثارها الواضحة الا في عهد الشيخ عبد الله السالم الصباح (١٩٥١ - ١٩٦٥) الذي عاصر فترة حادة من تاريخ العراق الملكي وسيطرة شبه كاملة لنوري

(١) الكويت وجوداً وحدوداً: الحقائق الموضوعية والادعاءات العراقية مؤسسة التقدم العلمي مصر، ١٩٩١ ، ص٩٩ .

السعيد على السياسة العراقية.

واجه الشيخ عبد الله السالم في أيام حكمه الأولى على الساحل الثاني من الخليج حركة شعبية يقودها الدكتور مصدق لإيقاف الخسائر التي تتكبدها بلاده وبلدان منتجة للنفط من استمرار الإتفاقات المجحفة المعقودة في سنوات سابقة مع شركات النفط الأجنبية وضرب احتكاراتها، وكان نوري السعيد يقود متطوعاً أو غير متطوع حركة التصدي لحركة الدكتور مصدق نيابة عن شركات النفط والسياسة البريطانية في ايران.

أما الشيخ عبد الله السالم فقد كان يراقب تطور الأحداث ليكون من المستفيدين من نتائج تلك الحركة التي وان فشلت في تحقيق أهدافها فانها أجبرت شركات النفط الأحتكارية على قبول مبدأ المناصفة بالأرباح والتي على ضوئها ظهر نوري السعيد كما لو اقتطع بأسنانه من شركات النفط حقوقاً للعراق لم يستطع سواه الوصول الى نظيرها، ولم يكن يحسب ان شيخ الكويت قد جعل من الإتفاقية العراقية مع شركات النفط مسودة جاهزة لأن يوقع عليها مع تلك الشركات.

وبعد عام من تولي الشيخ عبد الله السالم مسؤولياته الرسمية انفجرت في مصر حركة الضباط الأحرار وأطاحت بالملك فاروق فبزغ النجم الناصري ساطعاً مبشراً بمواجهة كبرى مع النظام الإستعماري القديم في المنطقة.

وكما تطوع نوري السعيد لإجهاض حركة مصدق في ايران تطوع لمقاتلة عبد الناصر وتزعم جبهة معارضة بالنيابة عن دول الغرب التي بدأت مصالحها تتضرر من انتشار دعوته، فيما وجد الشيخ عبد الله السالم في ذلك الصراع مجالاً حيوياً لإمتحان قدراته السياسية في الخروج بنتائج ايجابية، وظهر كما لو كان ناصرياً فلم يشترك في حملة التشهير السياسي بالحركة المصرية الناشئة ولم يسلك نهجاً كالنهج العراقي في مواجهة مؤيدي عبد الناصر بل لعله أفسح في المجال للخبرات المصرية لإستخدامها في الإدارات الحكومية والإعلامية والقضائية مستفيداً من انشغال بريطانيا في مواجهة عبد الناصر لبناء مؤسسات قضائية ومالية وانشاء البنك الوطني بتقديم مسوغات قانونية استطاع بهاالخروج سالماً من طائلة اتفاقية كويتية

سابقة مع الحكوٌمة البريطانية تمنح مصرفاً بريطانياً احتكار العمل المصرفي في الكويت.

من الإنصاف ان نوري السعيد الذي اخطأ بحق العراقيين لم يخطأ بحق الكويت ولعله الزعيم العراقي الوحيد الذي أقر علناً بحدود شاخصة للكويت خلافاً لتقاليد انعكست على صانعي الخرائط في العالم حتى أن (بارثولوميو وهم رسامو خرائط اسطوريون في ادنبره يحضرون الخرائط لأطلس التايمز كانوا ينتجون باستمرار خرائط لكويت دون حدود)[1].

ففي الحادي والعشرين من تموز ١٩٣٢ بعث نوري السعيد الى المندوب السامي البريطاني السير همفري كتاباً رسمياً هذا نصه:

أظن بأن سعادتكم توافقون على أن الوقت قد حان لتأكيد الحدود الموجودة بين العراق والكويت.

ولهذا، فأنا أرجو أن تتخذوا الإجراءات الضرورية لأخذ موافقة السلطات المسؤولة في الكويت على تفصيلات الحدود الموجودة بين البلدين: "من تقاطع وادي العوجة مع الباطن، ثم باتجاه الشمال على طول الباطن الى نقطة تقع جنوبي خط عرض صفوان. ثم باتجاه الشرق لتمر جنوبي آبار صفوان وجبل سنام وأم قصر، تاركة هذه المواقع للعراق، وذلك حتى التقاء خور عبد الله بخور الزبير.

أما جزر وربة وبوبيان ومسكان (أو مشجان) وفيلكة وعوهة وكبر وقاروة وأم المرادم فانها تتبع الكويت"[2].

ويأتي اعتراف نوري السعيد بهذه الحدود استناداً الى اعتراف سابق فقد "سعت بريطانيا الى تعزيز نفوذها في الكويت بعد ان تزعزع أثناء الصدام بين الكويت ونجد فأجرت في نيسان (ابريل) ١٩٢٣ تجديداً لأراضي الكويت والعراق، حيث اعترف الملك فيصل الأول بسلطة الشيخ احمد

(١) ج. ادوارد سمث، حرب جورج بوش، ترجمة محمود برهوم ونقولا ناصر، دار الفكر، بيروت ١٩٩٢ ص ٥٣ .

(٢) الحدود في شبه الجزيرة العربية(بالانكليزية) ، مجلد ٧ ، ص ٣٧٦ .

على الجزر الواقعة في مصب شط العرب وغيرها، فاستقر الوضع في المشيخة لدرجة ان البريطانيين اختاروا الكويت مكاناً لعقد المؤتمر الخاص بخلافات الحدود بين نجد والحجاز. ولقد صفيت لأمد طويل أكثر التناقضات حدة بين الأوساط الحاكمة الكويتية وبين الإدارة السياسية البريطانية للخليج العربي. وساعد على ذلك ضعف حركة التحرر الوطني في الكويت نسبياً بالمقارنة مع البحرين وعمان مثلاً "[1].

واذا كان الكويتيون يحتجون بأن خطوة نوري السعيد هذه أملتها شروط اعلان الاستقلال العراقي من قبل عصبة الأمم المتحدة ومنها شرط أن تكون للدولة حدود معلومة مع جاراتها فان نوري السعيد لم يصدر عنه اعلان يُبطل فيه هذا الاعتراف.

ان المصادر الكويتية تفسرها، على ضوء هاجسها التقليدي، بمطامع عراقية لنفط الكويت.

ان حركة الضم الأولى لم تكن تنظر الى مسألة النفط ولم تكن السلطة العراقية معنية باكتشاف حقل البرقان العملاق لكون المطالبات بالكويت تسبق تاريخ اكتشافه وكون النفط العراقي اساساً لم يكن للعراقيين الا بقدر يسير. والعراق في ذلك الوقت في أعلى قوائم الدول المصدرة للحبوب لا سيما الشعير الذي أخذ مكانه في بورصة لندن، وسنرى أن العامل الاقتصادي . رغم قوته . لم يرتفع الى أحد الاسباب في محاولة الضم الثانية التي تزعمها عبد الكريم قاسم.

وبسبب هواجس كهذه لم يترك حاكم الكويت انطباعاً لدى المراقبين السياسيين والاعلاميين بظهور معالم صدمة أو هزة من حجم التغيير في العراق بسقوط النظام الملكي واعلان الجمهورية لكنه كان حتماً يقرأ على لوحة السقوط اسباباً مودعة في افتتاحيات الصحف الوطنية العراقية وبيانات الحركة الوطنية التي لم تقترب من الكويت ولم تقترب الكويت منها طيلة العهد الملكي وفي المقدمة من تلك الأسباب اصرار سياسة العهد

(١) تاريخ الأقطار العربية ١٩١٧ ـ ١٩٧٠ ـ ج١ ـ دار التقدم موسكو ص ٥٤٢ .

الملكي على تجاهل القواعد الدستورية وعدم احترامها للصيغة البرلمانية وشططها عن الهوى العربي وانغماسها في هوى القمع ضد من يعارض اسلوبها في الحكم. وعزز من الشعور بعدم ظهور صدمة أن الشيخ عبد الله السالم توجه لزيارة العراق لتقديم التهنئة للزعيم عبد الكريم قاسم الذي كان في استقبال ضيفه، ومرت ثلاث سنوات تقريباً قبل أن تبرز محاولة الضم الثانية.

زعيم الضم

محاولة عبد الكريم قاسم



قاسم ونظرية الضم

ترتبط النظرية التي نعتمدها في تحليل مسوغات فكرة الضم بمكونات ايديولوجية وسياسية تتصل بالرغبة لتوسيع ديموغرافيا السلطة وتقمص شخصية البطل النازي أو الفاشي أو الأتاتوركي وهي مكونات تبدو بعيدة عن عالم عبد الكريم قاسم الذي يصر اتباع وهميون على مناداته بالزعيم الأوحد وهو شعار فج مثير للاعتراض حتى من مؤيديه الذين تتثاقل ألسنتهم عند لحظة النطق به لما يحمله من تذوق مغرق في فرديته للزعامة والسلطة.

لكنه كان الزعيم الثاني، لسلسلة زعماء الضم الكلي فما الذي أتى به الى هذه الحافات ليلتقي بثقافة نازية ليست هي ثقافته وطموحات قومية غير معروفة عنه؟

فهم ـ زعماء الضم ـ عثمانيون تسربلوا بثياب القومية وهو عراقي المولد والهوى اقليمي قطري لا يحمل احلاماً لما وراء أرض السواد.

هم ملكيون وهو قاتل الملك. فما الذي يغريه في اعلان المطالبة بالكويت؟ أهي رغبته كعراقي قح بتوسيع الأرض الوطنية؟ أم أنه أراد أن يوسع بالكويت أرض الكرسي كما توسع أرض الكرسي بعبد الناصر؟. أم ترى الرجل قد غلبه بغض الانكليز فأعتقد أن دعوته ستصيب مقتلاً من مقاتلهم ؟ أم أن صراع عبد الناصر معه وفورة الشارع العراقي بالوحدة الفورية الاندماجية جعلاه يعتقد أنه سيقطع الحجة على خصمه الكبير وقد صار وحدوياً، وأنه سيستقطب مشاعر الوحدويين العراقيين، بتقديم وجبة وحدوية جاهزة، بلا مفاوضات، وبلا شروط وحدوية، وبدون أن يكون لدولة الوحدة اقليمان شمالي وجنوب.

لا أحد حتى الآن يمتلك جواباً مقنعاً يُصار اليه مرجعاً في تفسير اعلان عبد الكريم قاسم ضم الكويت.

واحدة من التفسيرات تمثل تياراً سياسياً واسعاً فالدكتور ابراهيم علاوي زعيم

القيادة المركزية المنشقة على الحزب الشيوعي العراقي يسترجع نظرية الاستدراج التي طرحها مسوّغون للاجتياح العراقي الأخير للكويت. وما يزال الكتمان والتساؤلات تحيط قضية اقدام قاسم على اعلانه ضم الكويت في ٢٥ حزيران ١٩٦١ ، ثم تراجعه المشين عن خطته، دون أن يقدم أي تبرير في الحالتين. وقد ترددت اشاعات كثيرة فسرت هذه التطورات الغريبة برشوة قدمها شيوخ الكويت الى قائد الفرقة الأولى المكلف بتنفيذ عملية الاحتلال، كذلك قدمت تفسيرات عدة أخرى عراقية وبريطانية للقضية، قد تكون جزءً من الحقيقة، أو أنها أشيعت لغرض التمويه. ولكن الذي لم تتطرق اليه هذه التفسيرات هو دور السياسة البريطانية في استخدام قضية الكويت، شأن قضية السلاح البريطاني، كأحبولة لإبعاد قاسم عن اليسار العراقي، وعن التصدي بجد لشركات النفط[1].

وينحدر التحليل الى مستوى الإشاعة الممزوجة بروح الثأر والانتقام عندما يفسر عدم دخول الكويت برشوة قدمها شيوخ الكويت الى قائد الفرقة الأولى. ويعني اللواء حميد حسين الحصونة. ولعل الدكتور علاوي بهذا التشهير انما يرضي حقداً قديماً على قائد عسكري فرض منعاً في منطقة نفوذه العرفية على دخول "اتحاد الشعب" جريدة الحزب الشيوعي وشلّ نشاط الشيوعيين العراقيين في مناطق نفوذهم التقليدية فحذا حذوه قادة فرق ومحافظون مستهدفين محاصرة الحزب الشيوعي الذي كان القوة المخلصة الوحيدة لعبد الكريم قاسم وثورته.

ان اهانة هذا القائد العسكري وطعنه بتهمة الرشوة لا تنسجم لا مع المعروف عن اخلاقياته ولا المتداول عن اخلاقية الدكتور علاوي.

ان دفاعنا عن اللواء حصونة سببه معلومات مغايرة سنأتي عليها في المكان المناسب من هذا الفصل.

وتختلف ظروف الضم الثاني عن الأولى في العديد من الجوانب فالضم الأول ملكي والثاني جمهوري والنفط بعيد عن الضم الأول لكن الكويت أصبحت تشكل عصب الطاقة المركزية البريطانية وقد بلغ انتاجها اكثر من ٨٠ مليون طن من

(١)د. ابراهيم علاوي، المقايضة من برلين الى بغداد ، دار الغد، لندن، ١٩٩١ ، ص ٢٨٨ .

النفط في ايام الضم الثاني.

كان الطرفان في الضم الأول في منظومة سياسية واحدة بينما العراق في الضم الثاني صار في مقدمة الدول الثورية المعادية لمصالح الغرب مما يعني أن البريطانيين سيجدون في المطالبة العراقية والتحرش بالكويت فرصة لتصفية الحسابات مع عبد الكريم قاسم الذي دمرّ حلف بغداد وضرب منطقة الاسترليني وشتت شمل الساسة المرتبطين ببريطانيا منذ تأسيس الدولة العراقية. أما الكويت فهي مرتبطة باتفاقية ١٩ حزيران ١٩٦١ وبامكانها استدعاء قوات بريطانية لحمايتها.

ان الصدمة الكويتية باعلان عبد الكريم قاسم عراقية الكويت جاءت بعد ثلاث سنوات من العلاقات الطيبة بين الشيخ عبد الله السالم والزعيم عبد الكريم قاسم بدأها الشيخ ببرقية تهنئة على نجاح الثورة واتبعها برسالة في ٢٥ آب ١٩٥٨ لتسهيل استيراد المواد الغذائية للكويت من العراق فأجيب طلبه، وبعث اليه عبد الكريم قاسم برسالة بهذا المعنى وذكر له أن كافة السلطات المختصة أبلغت بضرورة التعامل التجاري مع الإمارة الشقيقة.

وفي ٢٥ تشرين الأول ١٩٥٨ استقبل عبد الكريم قاسم الشيخ عبد الله السالم في مطار بغداد ليقدم شخصياً تهانيه بنجاح الثورة. لكن بياناً سياسياً لم يصدر بعد انتهاء الزيارة. ومن المفارقات التي قد تكون مقصودة أن الزعيم عبد الكريم قاسم خصص قصر الزهور وهو القصر الخاص للملك غازي مكاناً لإقامة ضيفه الشيخ عبد الله السالم ولا يعرف ما اذا كان عبد الكريم قاسم قد تجوّل بضيفه في غرف القصر وداخل الغرفة التي حولها الملك غازي الى استوديو للبث الإذاعي والذي كان يبشر بسقوط المشيخة ويحرض الكويتيين على الثورة.

من يدري ؟ ربما فعلها قاسم على بساطة تفكيره.

ولو أن أحداً يستعير طريقة الاستاذ محمد حسنين هيكل في كتابة الروايات السياسية لاستطاع أن يُدير حواراً بين الزعيم والشيخ يصلح لمسلسل عربي طريف.

وكان عبد الكريم قاسم قد بعث ببرقية الى الشيخ عبد الله السالم بمناسبة انتهاء الحماية البريطانية وانهاء معاهدة ١٨٩٩ . وأثار عدم ورود أية كلمة تهنئة في هذه البرقية شكوك الشيخ مما حمله على استشارة السير وليام لوس المقيم السياسي

البريطاني في الخليج العربي. ويقال أن السيد وليام قال" ان الحاكم أوضح لي حينذاك أنه اذا رأى أن هذه التهديدات ستؤدي الى تطور ما فانه سيطلب تنفيذ الفقرة "د" . ونصت الرسائل المتبادلة بين الكويت وبريطانيا في ١٩ حزيران (يونيو) استناداً الى الفقرة "د" على أنه "ليس هناك في هذه الاتفاقات ما يؤثر في استعداد حكومة صاحبة الجلالة لمساعدة حكومة الكويت اذا ما طلبت هذه الأخيرة مثل هذه المساعدة"[1].

ويبدو أن عبد الكريم قاسم لم يستشر أحداً قبل اعلان مطالبته بالكويت في مؤتمره الصحفي يوم ٢٥ حزيران ١٩٦١ حتى وزير اعلامه اسماعيل العارف والحاكم العسكري العام ورئيس اركان الجيش محمد صالح العبدي، اذ يروي العميد اسماعيل العارف مشهد الإعلان عن ضم الكويت وهو من محبي الزعيم قاسم ومريديه قائلاً:

كان قادة الفرق العراقيون يجتمعون قبل صدور ترفيعات الضباط بفترة مناسبة لمناقشة جدول لترقيات الضباط الذي يصدر عادة في ١٤ تموز بمناسبة الاحتفالات بذكرى قيام الثورة. وجرت العادة أن يقيم رئيس أركان الجيش حفلة لقادة الفرق ولكبار ضباط الجيش في داره الواقعة بمعسكر الرشيد تكون بمثابة حفلة توديعية. وكنت واحداً من الحاضرين في دعوته باعتباري أحد قادة الجيش ووزيراً للمعارف ووزيراً بالوكالة لوزارة الإعلام.

كنا بانتظار مجيء الزعيم عبد الكريم قاسم الذي تأخر أكثر من ساعة عن موعد الحفلة، وبعد لأي وصل الى دار الحاكم العسكري ورئيس أركان الجيش أحمد صالح العبدي، فسلم على الجميع واتجه الى الحديقة التي كنا نجلس فيها وطلب من صاحب الدعوة أن يجلب جهاز المذياع لكي يسمع الحاضرون تصريحات مهمة كان قد أدلى بها مباشرة الى مدير وكالة الأنباء العراقية، وكان ذلك عند الساعة الثامنة من مساء يوم ٢٥ حزيران (يونيو) سنة ١٩٦١ .

وعندما جلب المذياع، ناداني عبد الكريم قاسم لأكون بالقرب منه كما طلب من الجميع الانصات الى ما سيذاع. فبدأ المذيع يعد السامعين الى أن بيانا هاماً

(١) اسماعيل العارف، تأسيس الجمهورية، مذكرات خاصة، لندن ١٩٨٦ ـ ص٣٠٧ .

سيتلي عليهم وانه قد صدر عن الزعيم عبد الكريم قاسم الى وكالة الأنباء العراقية. وبعد فترة مناسبة بدأ المذيع يتلو البيان بنصه وفيه اعلن عبد الكريم قاسم تبعية الكويت للعراق وكونه قضاء من محافظة البصرة واستند فيه الى الوثائق التاريخية التي تؤكد ذلك. وأشار الى أن باستطاعتنا أن نحصل على حقوقنا سلمياً الا أن الاستعمار لا يفيد معه السلم. ففوجئ الضباط الحاضرون بالبيان وتحمسوا له مؤيدين ما أعلنه الزعيم عبد الكريم قاسم لأنه يمثل في نظرهم مطلباً وطنياً وقومياً خطيراً. وبعد انتهاء الحفل عدت معه الى وزارة الدفاع بسيارته فسألني رأيي في البيان، فقلت له كان ينبغي أن يسبق البيان أمران أولهما اجراء مباحثات مع أمراء الكويت واكتشاف ما وراء اعلان استقلال الكويت، وثانيهما انذار الجيش واعداده لمجابهة عسكرية مع البريطانيين اذا اقتضى تنفيذه بالقوة. فأجاب قائلاً: "انني أردت أولاً أن اثبت حق العراق تاريخياً وأراد الانكليز بأساليبهم الملتوية احباط غايتنا في جمع الاخوان الذين فرقهم الاستعمار في بيت الأسرة الواحدة. وسوف نحقق ذلك بالطرق السلمية. أما اذا تعذر التوصل الى الحل السلمي فلدي خطط بديلة. واعلاننا هذا أول خطوة في سبيل الوحدة"(١).

أما مبررات عبد الكريم قاسم للضم، فيستعرضها الكويتيون على الصورة التالية(٢):

أولاً: عدم استجابة الكويت لدعوة العراق الى توصيل المياه العذبة الى الكويت، ومن ثم شدد هجومه على حكام الكويت لاستخدامهم المكثفات الصناعية للحصول على مياه الشرب بينما نقل المياه من شط العرب الى الكويت أقل تكلفة وأكثر نفعاً.

ثانياً: حاول العراق أن يثير بعض الادعاءات التي يبدو من خلالها أنه يحمل اتجاهات تقدمية من بينها أن من واجب العراق انقاذ الشعوب العربية وفي مقدمتها شعب الكويت من المستغلين لمواردها.

---

(١) مجيد خدوري، العراق الجمهوري، ط الأولى بيروت ١٩٧٤ - ص٢٣١ .

(٢) ترسيم الحدود الكويتية العراقية: الحق التاريخي والارادة الدولية، اعداد لجنة من المختصين باشراف ومراجعة أ.د. عبد الله يوسف الغنيم - مركز البحوث والدراسات الكويتية - ط٣ - ١٩٩٤ ص٥١ - ٥٢ .

ثالثاً: من المبررات الواهية التي ركّز عليها عبد الكريم قاسم أن كلمة الكويت كلمة لا تستخدم الا في العراق ولا تزال تطلق على الكثير من المواقع فيه مثل كوت العمارة وكوت الزين وغيرها.

رابعاً: برر العراق دعوته الى ضم الكويت بأنه لا يمكن التفريق بين أهالي الكويت والبصرة والزبير بحكم الصلات اليومية والمصاهرات القائمة بينهم، وأنه اذا ما اجتمع أهالي البصرة والكويت فلا يستطيع أحد أن يفرق بينهما.

خامساً: ارتكزت الادعاءات العراقية في تبريرها الدعوة الى ضم الكويت على أن أهالي الكويت يرغبون به ويطالبون بالعودة الى وطنهم الأصلي العراق، وهي ادعاءات جانبها الصواب فيما أكدت المظاهرات الشعبية التي اجتاحت البلد على عدم صحة الادعاءات العراقية.

ان اسماعيل العارف يميل الى الاعتقاد وهو يطرح أسباباً عديدة للضم. ان عبد الكريم قاسم أراد أن يوسع الساحل العراقي لمواجهة شاه ايران المتحالف مع الولايات المتحدة للسيطرة على الخليج العربي، ويعزو الباحث الأستاذ مجيد خدوري مبررات الضم الى اعتقاد قاسم ان الشعب سيقف وراءه في هذه المطالبة، فقد حاول أن يحول اهتمام بلد منقسم على نفسه من الشؤون الداخلية الى الشؤون الخارجية.

وهناك سبب آخر لا يقل أهمية عن السبب الأول طبعاً، هو موارد النفط الغنية في الكويت فالكويت لم تكن تملك ١٥ بالمئة من احتياطي النفط الثابت في العالم فحسب، بل أن انتاج النفط هناك كان يتم على أسهل وجه. وفي سنة ١٩٣٤ منحت شركة نفط الكويت التي أنشئت بعد توحيد شركة النفط الانكليزية - الفارسية (التي كانت تمتلك فيها بريطانيا حصة الأسد) وشركة نفط الخليج الأميركية حقوق امتياز شاملة. ومنذ سنة ١٩٥١ ، ونتيجة لخطوة ايران في تأميم صناعة النفط، تم الاتفاق بين الكويت والشركة على اقتسام الأرباح الفعلية على أساس الأسعار المعلنة. وارتفعت صادرات الكويت في غضون ذلك من ١٧,٠١٨,٦٦٠ طناً في سنة ١٩٥٠ الى ٣٧,٠٤٢,٠٠٠ طن في سنة ١٩٥٢ . وفي سنة ١٩٦٠ بلغ مجموع الانتاج رقماً خيالياً هو ٨٠,٥٧٣,٦٢٧ طناً وأثارت هذه الإيرادات حسداً في العالم العربي وفتحت عيون الغيرة عند الزعماء العرب الذين كانوا

يسعون لتحقيق أهداف قومية عربية عن طريق التوسع الاقليمي[١].

وكما في تبرير الضم الثالث في الثاني من آب ١٩٩٠ فقد وجد الزعيم عبد الكريم قاسم من يسمو بالتحليل الى آفاق موضوعية رحبة ومن يكر بالمكرورات السياسية الساذجة.

وكما اتجه أتباع مؤيدون للرئيس صدام حسين نحو نظرية الاستدراج الأميركي في محاولة لرفع المسؤولية المباشرة لاتخاذه ذلك القرار القاتل، فان عبد الكريم قاسم وجد قطباً بارزاً في الحزب الشيوعي العراقي مأخوذاً لحد الاستسلام بنظرية الاستدراج لتوريط قاسم بمشكلة الكويت وابعاده عن اليسار العراقي.

وبثقة لا تقبل الظن والشك والاعتقاد يقول الدكتور ابراهيم علاوي وبالطريقة التي تحدث بها اتباع نظرية الاستدراج عن ايرل كلاسبي السفيرة الاميركية التي التقت صدام حسين قبيل الاجتياح، ان السفير البريطاني همفري تريفليان والدبلوماسية البريطانية قدمت اغراءات لقاسم في تحركه نحو الكويت[٢].

أما حجج الجانب العراقي فهي كما جاءت على لسان الزعيم عبد الكريم قاسم في مؤتمره في ٢٥ حزيران ١٩٦١ "ان جمهورية العراق قررت حماية الشعب العراقي في الكويت والمطالبة بالأراضي التي يسيطر عليها الاستعمار بصورة تعسفية، والتي تخص العراق بوصفها جزءاً من محافظة البصرة.. وسنصدر وفقاً لذلك مرسوماً نعين بموجبه شيخ الكويت قائمقام للكويت يكون مرتبطاً مع محافظ البصرة."

وتكررت مطالبة قاسم بالكويت في بيانات عدة أخرى عامة، وأوضح بصورة لا تقبل الشك، "أنه لا يعتزم استخدام القوة وأنه سيلجأ الى الوسائل السلمية، مع انه صرح بأن في استطاعته تحقيق غايته بالقوة".

أما الحجج الثلاث التي استند عليها العراق في طلبه من الأمم المتحدة رفض عضوية الكويت للمنظمة الدولية فهي:

١) أن الكويت ليست دولة ولم تكن كذلك في يوم من الأيام.

---

(١) العراق الجمهوري ، مجيد خدوري، ط الأولى - بيروت - ١٩٧٤ - الدار المتحدة للنشر ص٢٣١ .

(٢) المقايضة من برلين إلى بغداد ، نجم محمود ، ص٢٩٤ .

٢) انها ظلت دائماً من الناحية القانونية والتاريخية جزءاً لا يتجزأ من العراق.

٣) وأخيراً فان الكويت لا تعدو أن تكون مستعمرة بريطانية مما لا يؤهلها للانضمام للمنظمة الدولية(١).

ويرد الاستاذ خدوري على الحجج العراقية بعد أن يستعرض الموقف من اتفاقية ١٨٩٩ ووثيقة ١٩١٣ بين الدولة العثمانية وبريطانيا التي اعترفت فيها بالاتفاقية الاولى قائلاً:

ولابد عند التحليل الأخير من اعتبار هذه الاتفاقات جميعها خارجة عن الموضوع اذا استعيض عنها بمعاهدات صلح بعد الحرب، تخلت تركيا بموجبها عن جميع حقوق سيادتها على الأراضي التي سلخت بعد الحرب العالمية الاولى. وقد تخلت تركيا في معاهدة سيفر (١٩٢٠) وتكرر ذلك في معاهدة لوزان (١٩٢٣) عن جميع حقوقها وسيادتها على جميع الأراضي التي كانت ملكاً لها خارج الحدود التي نصت عليها هاتان المعاهدتان. وألف العراق دولة من ثلاث ولايات سلخت عن تركيا هي الموصل وبغداد والبصرة. غير ان الكويت لم تكن ضمن ولاية البصرة بشكل واضح، ذلك لأن تركيا كانت قد منحت السلطة التي استولت على الكويت حق السيادة الكاملة. ولما كان العراق من الدول الوارثة فانه لا يجوز له أن يطالب بحق السيادة على أرض لم تتنازل تركيا اليه عنها. ولذلك لم يكن في مقدور عبد الكريم قاسم أن يبرر طلبه بالاستناد الى القانون، وظلت مطالبته بالكويت تتراوح بين اعتبارات قانونية وأخرى تاريخية وسياسية(٢).

ويستعرض الدكتور عبد الله النفيسي رد الفعل الكويتي قائلاً:

لقد نظرت القيادة السياسية في الكويت للمطالبة العراقية على أنها خطيرة للغاية الى درجة أنها طلبت النجدة العسكرية من بريطانيا. وفعلاً تمت عملية الانزال البريطاني في البر الكويتي في صيف ١٩٦١ وعرفت بعملية "فانتاج"

(١) الكويت وجوداً وحدوداً: الحقائق الموضوعية والادعاءات العراقفية. اعداد اللجنة العلمية لدراسة الوثائق الكويتية. مؤسسة الكويت للتقدم العلمي - ط١ - مصر - ١٩٩١ - ص١٠٥ .

(٢) العراق الجمهوري. مجيد خدوري . ط الأولى - ١٩٧٤ - بيروت، الدار المتحدة للنشر، ص٢٢٩ .

Vantage وقد جاء الانزال على مراحل:

١٩٦١/٧/١ نزل الى البر الكويتي ٦٠٠ جندي بريطاني وهم من وحدة الكوماندوس الملحقة بحاملة الكوماندوس الجديدة بلورك Bulwark.

١٩٦١/٧/٣ التحق بهذه القوة قوات ترابط بانتظام في البحرين وعدن كما أنها تلقت أعتدة مدرعة.

١٩٦١/٧/٤ بدأت سبعون طائرة تابعة لقيادة النقل البريطاني تساعدها ثلاث طائرات تابعة لسلاح الطيران الملكي الروديسي وسبع عشرة طائرة مدنية مستأجرة نقل القوات البريطانية من كينيا وقبرص الى الكويت، وكان عصب هذه القوة فيلق المشاة الرابع والعشرين من كينيا بقيادة البريجادير هورسفورد Horsford، الفيلق مدرب تدريباً خاصاً على الحرب في الصحراء. وتضمنت الوحدات فرقة مظليين وكتيبة مشاة أخرى من المدفعية الملكية وسلاح الهندسة في الجيش البريطاني. وكان يوجه القوة البريطانية التي في الكويت القائد البريطاني الأعلى لقيادة الشرق الأوسط مارشال الجو تشارلز الورث Charles Elwort وكان مجموع الطاقة البشرية العسكرية البريطانية التي أرسلت آنذاك تتراوح بين خمسة الى سبعة آلاف جندي وضابط بريطاني. من الطبيعي بل من المتوقع ألا تكون القيادة السياسية في الكويت مرتاحة للإنزال البريطاني حيث انه قد عرّضها لكثير من الاحراجات المحلية والعربية والدولية لكن أيضاً ينبغي التأكيد بأن الاختيارات المتاحة أمامها كانت محدودة جداً[1].

موقف عبد الناصر من ضم الكويت

ربما وضع الزعيم عبد الكريم قاسم في احتمالات ردود الفعل على اعلان قراره ضم الكويت انه سيحرج موقف غريمه الرئيس جمال عبد الناصر الذي لابد

(١) د. عبد الله فهد النفيسي. الكويت: الرأي الآخر ، لندن ١٩٧٨ ، ص٤٣ - ٤٤ .

أن يتجه اما الى تأييد فكرة الضم فيكسب عبد الكريم قاسم جولته واما أن يرفض تلك الفكرة فيصبح الرئيس عبد الناصر حليفاً للموقف البريطاني وللدول العربية المحافظة، لكن عبد الناصر لم يشعر بمأزق أو بحرج وهو يعلن بعد يومين فقط من دعوة عبد الكريم قاسم ضم الكويت بياناً باسم الجمهورية العربية المتحدة يطرح فيه رؤيةً تفرق بين مفهومي الضم والوحدة وقد جاء في ذلك البيان:

١) ان الجمهورية العربية المتحدة تؤمن بأن العلاقات بين الشعوب العربية لا تحكمها معاهدات أو اتفاقيات قديمة أو حديثة.

٢) انها تتوقع أن تكون حركة الشعوب العربية في الوحدة قائمة على غير النموذج التقليدي الذي ساد أوربا قبل الحرب العالمية الثانية وقاد اليها بسبب التمسك بالمطالب الاقليمية القائمة على نصوص معاهدات قديمة، ولذلك فانها لا تقبل الضم وان كانت على استعداد لتأييد منطق الوحدة الشاملة.

٣) ان العراق والكويت يملكان الكثير من أسباب الدعوة الى الوحدة بينهما مما هو أعمق وأبقى من وثائق الامبراطورية العثمانية.

وأخيراً أكد البيان أن الجمهورية العربية المتحدة تفرق بين الضم الذي يريده عبد الكريم قاسم، وهو ماينبغي رفضه، وبين الاجماع الشعبي المقام على أساس الوحدة والاختيار الحر وهو ماينبغي احترامه[1].

ويكشف الاستاذ محمد حسنين هيكل موقف الرئيس عبد الناصر بتفاصيل أخرى رداً على ماطرحه رئيس الوفد العراقي الى مفاوضات الوحدة الثلاثية السيد علي صالح السعدي الذي فتح موضوع الكويت من زاوية تعيين حدود دولة الوحدة الجديدة وحق العراق الذي لا ينازع فيها، يضيف محمد حسنين قائلاً:

"كانت الجلسة مسجلة وقد تم تفريغ محضرها، وجرى توزيع نسخ منه على قيادة القوات المسلحة ووزارة الخارجية والمخابرات العامة"، "وكان الوفد العراقي يحفظ عن ظهر قلب كل الحجج والوقائع التاريخية والوثائق التي تعزز دعاويه"، وكان لـ"جمال عبد الناصر" رأي مختلف وقد شرحه على النحو التالي، قال:

(١) الكويت وجوداً وحدوداً، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي - اعداد اللجنة العلمية لمشروع دراسة الوثائق الكويتية . ط١ - ١٩٩١ ، مصر ، ص١٠٢ - ١٠٣ .

" انكم تعلمون بالطبع أننا لنا رأي آخر في هذا الموضوع، فنحن وقفنا ضد عبد الكريم قاسم عندما أراد أن يضم الكويت، اننا لم نفعل ذلك عن عداء لعبد الكريم قاسم، كما قال البعض في العراق وقتها، وانما اتخذنا موقفنا على أسس موضوعية أريد أن أشرحها لكم الآن، لأن فيها مالم يكن ممكناً الجهر به علناً في ذلك الوقت" .

"سوف تكون كارثة اذا تحقق للناس في هذه المنطقة أنها تخلصت من الوجود الإنجليزي السافر لكي يبتلعها العالم العربي الواسع. وأنا مستعد أن أتفهم بعض دعاواكم، وقد سمعت وقرأت الكثير من وثائقكم، ولكني أقول لكم في منتهى الوضوح أن ماتطلبونه فات أوانه بحكم الحقائق العربية والدولية. ان الإنجليز لم يعودوا وحدهم في السيطرة على بترول الخليج. وانما هذه السيطرة انتقلت أكثر الى يد الأمريكان، فاذا أراد أحد أن يضم دولة في الخليج على غير رضى أهلها، فيجب أن يعرف سلفاً أنه سيواجه قوة الولايات المتحدة. ان الاتحاد السوفيتي نفسه يسلم للغرب بأهمية بترول الخليج بالنسبة لهم، وبالتالي يجب أن يعرف أن هذه المعركة فوق طاقتنا. وأقول لكم أيضاً انها ضد مصلحتنا لأننا يجب أن نشجع شعوب الخليج ودوله على الاطمئنان في ظل حركة القومية العربية. ان وجود البترول والثروة المتولدة منه سوف يفرض حدوث تنمية على نطاق أوسع تبرز معها قوة شعبية كبيرة يمكن بالتفاعل معها أن يتحقق نوع من التعاون الوثيق أقوى مائة مرة من الوحدة الدستورية. اننا كنا في وحدة اندماجية مع سوريا، وكنا بلداً واحداً، ولكن لأن التفاعل بين الناس لم يحدث، فان الانفصال جاء سهلاً "[١].

وكان القرار الذي تبناه مجلس جامعة الدول العربية في اجتماعه في ٢٠ تموز(يوليو) الذي رفض العراق حضوره، لايبتعد كثيراًعن رؤية عبدالناصر لكنه كرّس الحل العربي للأزمة وقد جاء فيه:

أولاً:

(أ) تتعهد الحكومة الكويتية بطلب سحب القوات البريطانية من الأراضي الكويتية بأسرع وقت ممكن.

(ب) تتعهد الحكومة العراقية بعدم اللجوء الى القوة لضم الكويت الى العراق.

(١) محمد حسنين هيكل، حرب الخليج: أوهام القوة والنصر، ص ٢٧٤ - ٢٧٥ .

(ج) تؤيد الجامعة العربية أية رغبة تبديها الكويت في الوحدة(أو الإتحاد) مع أية دولة أخرى عضو في الجامعة.

ثانياً:

(أ) ترحب (الجامعة) بدولة الكويت عضواً في جامعة الدول العربية.

(ب) تؤيد الدول العربية طلب دولة الكويت الانضمام الى عضوية الأمم المتحدة.

ثالثاً:

تتعهد الدول العربية بناء على طلب الكويت بتقديم مساعدات فعالة لحماية استقلال الكويت والدفاع عن استقلالها. ويخول المجلس الأمين العام صلاحية اتخاذ الإجراءات اللازمة لتنفيذ هذا القرار بأسرع وقت ممكن.

رواية عراقية

عبد الله السالم عرض الفيدرالية على العراق

ربما يعتبر الاعلان عن عرض كويتي لاتحاد فيدرالي مع العراق حلاً للأزمة التي أثارها الزعيم عبد الكريم قاسم بالمطالبة بالكويت أكثر المفاجآت التي ظلت مطوية في الملفات الكويتية والعراقية قبل أن يستلها الشاهد الوحيد العميد اسماعيل العارف الذي كان وزيراً للاعلام في حكومة قاسم فينشرها في مذكراته التي صدرت في لندن عام ١٩٨٦ قبل أن تفاجئه نوبة قلبية أودت بحياته.

أما الشاهد الكويتي السيد جاسم القطامي فلم يعقب على ماذكره السيد العارف سلباً أو ايجاباً.

وكان السفير البريطاني في العراق همفري تريفيليان قد أشار في مذكراته الى اقتراح قدمته الأردن الى عبد الكريم قاسم لتشكيل اتحاد فيدرالي بين العراق والأردن والكويت.

ولأهمية هذا الموضوع الذي يبدو غريباً في سياق العلاقات بين البلدين ننقل هنا نص الرواية كما وردت في المذكرات ودون تدخل في تعقيبات المؤلف[١].

(وبينما الأزمة على أشدها طرح أحمد العمر وكيل وزارة المالية الكويتي، وهو عراقي الأصل من مدينة الزبير القريبة من البصرة، على الشيخ عبد الله فكرة الإتصال سراً بعبد الكريم قاسم لإيجاد حل سلمي مرضٍ للمشكلة، فوافق الشيخ على ذلك على ألا يشعر عبد الكريم قاسم بأن التكليف صادر من الشيخ رسمياً. فجاء أحمد العمر الى لبنان يفتش عن رسول بامكانه أن يتوسط لمفاتحة شخصية عراقية بامكانها طرح الوساطة على الزعيم عبد الكريم قاسم. فالتقى بطريق المصادفة بأحد التجار العراقيين الذي كان يتولى الإتجار بين العراق والكويت والمملكة العربية السعودية وفتح الموضوع بينه وبين المواطن العراقي موسى علاوي على انفراد ليرشده الى الشخص الذي يستطيع القيام بهذه الوساطة. فتبرع موسى علاوي بذلك مؤكداً أن لديه صديقاً يعمل ضابطاً في الجيش العراقي وهو مقرب من أحد وزراء عبد الكريم قاسم. ثم سافر موسى علاوي الى بغداد واتصل بالمقدم صبري عزيز الذي كان يشغل منصب آمر موقع معسكر الحبانية. فأسر له بمهمته وطلب منه أن يجمعه مع ابن أخته الوزير في حكومة عبد الكريم قاسم، حسن رفعت. وفي دعوة عشاء أقامها صبري عزيز في الحبانية دعي اليها رفعت ، وكان وزيراً للأشغال والإسكان، قام موسى علاوي بطرح رغبة أمير الكويت في تسوية الخلاف بين العراق والكويت سلمياً والاتفاق على حل يرضي الطرفين. وسأل علاوي الوزير امكانية أخذ موافقة الزعيم عبد الكريم قاسم للمضي في مفاوضات سرية للتوصل الى الحل السلمي، وأكد له أن المصدر الذي كلفه بهذه المهمة هو السيد أحمد العمر وكيل وزارة المالية الكويتية

(١) اسماعيل العارف - أسرار ثورة ١٤ تموز وتأسيس الجمهورية بالعراق - مكتبة الماجد - لندن ١٩٨٦ ص٣١٠ - ص٣١٥

يشار الى أن مذكرات اسماعيل العارف جاءت في سياق حملة لم تكن السلطة بعيدة عنها. تلوّح بقضية الكويت في وقت كانت الأخيرة منسجمة مع طروحات بغداد وسياستها الراهنة .

يُذكر هنا ان اسماعيل العارف لم يتخذ موقفاً مناوئاً للسلطة التي يقودها مسؤولون عن تصفية زعيمه، ولعله ذهب الى ابعد من ذلك عندما قبل بتعيينه سفيراً لها في إحدى الدول.

ومن المقربين الى شيخ الكويت. وقام الوزير العراقي بمفاتحة عبد الكريم قاسم وطلب اخبار الوسيط أن يستطلع شروط الكويت ورأيهم في حل الموضوع أولاً. فسافر موسى علاوي الى بيروت واتصل بأحمد العمر في الكويت ورجاه أن يقدم الى بيروت. فوصلها في أواخر نيسان (ابريل) ١٩٦٢ وقام موسى علاوي بابلاغه بطلب عبد الكريم قاسم فعاد العمر الى الكويت واستطلع رأي شيخ الكويت وعاد مزوداً بالأسس العامة التي يتصورها وكانت تتضمن أن يعلن اتحاد فيدرالي بين البلدين ويحتفظ العراق والكويت باستقلالهما الذاتي ضمن الاتحاد. وكان أهم طلب ركز عليه الكويتيون هو احترام العراق لاتفاقيات النفط المبرمة بين الكويت وشركات النفط وعدم التدخل في شؤون التجارة الخارجية. واقترحوا توحيد التعليم والجيش والتمثيل الخارجي على أن تبقى ميزانيات البلدين وشؤونهما المالية مستقلتين ومن صلاحيات الحكومات المحلية للدولتين. وقدم الكويت عرضاً بأن يساهم بمبلغ خمسين مليون دينار يدفعها للميزانية السنوية العراقية، ومائة وخمسين مليون دينار للخطة الاقتصادية الخمسية ويسمح للكويتيين بمزاولة اعمال التجارة والاستثمار في العراق وتملك العقارات والأراضي الزراعية في محافظات البصرة والناصرية والعماره. كما طلبوا تعديل قوانين الاصلاح الزراعي لكي تتلاءم مع حق الكويتيين في التملك والأوضاع التي ستنشأ عن الاتفاق. كما اقترح الكويتيون أن يتولوا استصلاح أراضي العمارة وخصصوا لذلك مبلغاً قدره مئتان وخمسون مليون دينار كمرحلة اولى للسيطرة على الفيضانات التي تغمر الأراضي وغسل الأرض من الأملاح وغيرها من الأعمال الفنية لاستغلالها زراعياً من قبل الأفراد والشركات الكويتية. وقد سلمت هذه المقترحات باليد الى الزعيم عبد الكريم قاسم، الا أنه رفضها أول الأمر وقال انني لا أوافق على الاتحاد بل يجب توحيد القطرين، وأخيراً وافق عليها وطلب اجراء مباحثات مفصلة للتوصل الى صورة واضحة عن رأي الطرفين.

كانت المفاوضات خلال شهر نيسان (ابريل) ١٩٦٢ تجري بدون علم وزير الخارجية العراقي هاشم جواد. وكانت رغبة شيخ الكويت أن تكون سرية للغاية ومحصورة بشخص واحد ولا يتدخل فيها الممثلون الدبلوماسيون. غير أن عبد الكريم قاسم اطلع هاشم جواد على الأمر بعد ورود مقترحات الكويتيين ولما عاد موسى علاوي مع مطاليب الكويتيين الى بغداد، واجه عبد الكريم قاسم فقدم له

الأخير هدية قدرها ثلاثة آلاف دينار لتغطية نفقات سفره الا أن علاوي رفض استلامها. ثم قرر عبد الكريم قاسم تشكيل وفد عراقي من شخص واحد. وقد اختير لهذه المهمة السيد قاسم حسن سفير العراق في جيكوسلوفاكيا آنذاك اذ ان منصبه لا يثير الشكوك والتساؤلات باعتباره سفيراً في بلد اشتراكي. وطلب من الكويت أن تشكل وفدها لإجراء المفاوضات. فتشكل الوفد برئاسة أحمد العمر نفسه وعضوية شخصين هما جاسم القطامي وكيل وزارة الخارجية وعادل الجراح الموظف بالوزارة (فلسطيني الأصل) واقترحوا أن يجتمع الوفدان بمدينة زوريخ في سويسرا لأنها بعيدة عن أنظار المراقبين وأجهزة الاعلام التي لها علاقة بالشرق العربي. فعقد أول اجتماع بالمدينة المذكورة في أيار (مايو) ١٩٦٢ . كانت مراحل المفاوضات ترسل بالشفرة الى بغداد عن طريق السفارة العراقية في جنيف وبواسطة التلفونات اذا كان الأمر لا يتطلب سرية تامة. وكانت الصيغة التي توصل اليها الوفدان هي اعلان اتحاد فيدرالي بين القطرين، ويحتفظ كل قطر بعَلَمِهِ، على أن يكون للاتحاد علمه الخاص. واتفق على تولي العراق شؤون الدفاع وتدريب الجيشين وتوحيد شؤون التعليم والتمثيل الخارجي. وأكدت المباحثات مساهمات الكويت النقدية بميزانية العراق السنوية وميزانية الخطط الاقتصادية. واتفق على أن يقوم العراق بتجهيز الفنيين والمهندسين والمعلمين للمساهمة في تطوير الكويت. واقترح المفاوضون الكويتيون أيضاً تجهيز الكويت بالماء العذب من دجلة أو الفرات بفتح قناة تستقي الماء منه أو مد أنبوب لنقل الماء من نهر دجلة حسب ماتقتضيه الدراسات الهندسية بعدئذ. وطلب الكويتيون بعد توقيع الاتفاق النهائي أن يعدل العراق قوانينه لرفع القيود عن تملك الكويتيين الأراضي الزراعية والقيام بالاستثمارات المختلفة كمواطنين عراقيين وخاصة قانون الإصلاح الزراعي.

وبعد انتهاء الجولة الاولى من المفاوضات عاد قاسم حسن الى بغداد وقدم تقريراً مفصلاً عما توصل اليه الطرفان في زوريخ الى الزعيم عبد الكريم قاسم. وبعد اطلاع الأخير ووزير الخارجية على التقرير طلب من المفاوض العراقي عدم الدخول في التفاصيل أثناء المفاوضات وتركها تصدر في بروتوكولات منفصلة بعد توقيع الاتفاق الرئيسي. ثم وافق عبد الكريم قاسم على الأسس التي تم الاتفاق عليها وتقرر ارسال الوفد العراقي للاجتماع بالوفد الكويتي في مكان آخر اقترح أن يكون مدينة أثينا في اليونان. وقد تألف الوفد العراقي من قاسم حسن وأحد

موظفي وزارة الخارجية ورافقه موسى علاوي الذي لم تكن له صفة رسمية بل أشرك بالمفاوضات لأنه كان الوسيط. فسافر الوفد لوضع اللمسات الأخيرة على الاتفاق. وفي أثينا بدأت اجتماعات الوفد مع المبعوثين الكويتيين في أوائل كانون الثاني (يناير) ١٩٦٣ ، وكانت ترد الى بغداد أنباء مايتوصل اليه الطرفان من اتفاقات باستمرار ولما أوشك الطرفان على توقيع ماتوصلوا اليه بالأحرف الاولى أراد الزعيم عبد الكريم قاسم استدعاء الوفد العراقي لاعادة تأليفه برئاسة أحد الوزراء لكي يوقع على الاتفاق النهائي. وقبل استدعاء الوفد حل يوم ٦ كانون الثاني (يناير) الذي يحتفل العراق فيه سنوياً باعتباره اليوم الذي تأسس فيه الجيش العراقي سنة ١٩٢١ . وجرت العادة أن يلقي عبد الكريم قاسم خطاباً على الضباط والمدعوين في حفلة كبرى تقام في بهو أمانة العاصمة، التي كانت أكبر قاعة للاحتفالات في بغداد.

عندما بدأت المفاوضات في نيسان (ابريل) ١٩٦٢ ، أشرت على أجهزة الاعلام ورجوت المسؤولين في الصحف المحلية التوقف عن مهاجمة الكويت وحكامها حتى اشعار آخر فلم تظهر نشرة أو يكتب مقال أو ينشر خبر ضد أمير الكويت وحكامها.

حضرنا الحفلة الكبرى مساء ٦ كانون الثاني التي يقيمها القائد العام للقوات المسلحة عبد الكريم قاسم بهذه المناسبة فوقف وألقى خطاباً مطولاً فوجئت به اذ هاجم أمير الكويت واتهمه بالعمالة، فاستغربت لهذا التحول المفاجىء المحرج بينما كان الوفد العراقي والكويتي يجتمعان في أثينا لوضع اللمسات الأخيرة على اتفاق الاتحاد بين القطرين. وبعد انتهاء الخطاب عدت مع عبد الكريم قاسم الى وزارة الدفاع. ولما سألته عن سبب مهاجمته أمير الكويت ونحن على وشك توقيع الاتفاق، أجاب مبتسماً "لابد أن أريهم بعض الشدة" . وأكد ماقاله لي ذلك وزير الاسكان حسن رفعت أيضاً. وعلى اثر ذلك أرسل الوفد العراقي برقية الى بغداد يخبر وزارة الخارجية فيها بأن الوفد الكويتي قد عاد الى الكويت بناء على تعليمات صدرت من الحكومة الكويتية بعد سماعهم خطاب الزعيم عبد الكريم قاسم، فأعيد الوفد العراقي الى بغداد.

زارني رئيس الوفد السيد قاسم حسن في وزارة الاعلام حال وصوله الى بغداد

وقبل أن يقابل الزعيم عبد الكريم قاسم، وقص علي ماحدث في أثينا عندما سمع بخطاب عبد الكريم قاسم فقال "كنا منهمكين في المباحثات ولم نستمع الى الإذاعة العراقية، وبينما نحن في نقاش وردت برقية مستعجلة الى الكويتيين وبعد أن اطلعوا عليها، تجهمت وجوههم والتفتوا الي قائلين: "من نصدق أنت أم الزعيم عبد الكريم؟" فاستغربت سؤالهم قبل أن يضيفوا قائلين: "لقد هاجمنا الزعيم في خطابه بمناسبة يوم الجيش والحكومة الكويتية تطلب منا ايقاف المفاوضات والعودة الى الكويت" فبقيت محرجاً لا أحير جواباً وعندئذ وردتنا برقية العودة الى العراق.

بعد أسبوع على هذا الحادث أعيد الاتصال بالكويتيين وأبلغوا اعتذار عبد الكريم قاسم ورغبته بتجاوز ماحدث وانجاز الاتفاق. فوافق شيخ الكويت على عودة المباحثات على أن يوقع على الاتفاق بسرعة وبدون تأخير. وتقرر تأليف وفد على مستوى عال من العراقيين برئاسة وزير وقبل أن ينتخب مكان الاجتماع الذي تقرر أن يعقد في الاسبوع الأول من شهر شباط (فبراير) ١٩٦٣ ، حدث انقلاب ١٤ رمضان ضد حكومة الثورة في العراق وقتل عبد الكريم قاسم واندثر معه مشروع الاتحاد بين العراق والكويت الذي كان وشيك التحقيق.

كانت هناك عناصر أجنبية وعراقية وكويتية وعربية، تعمل في الخفاء لاحباط مشروع الاتحاد بين العراق والكويت بعد أن تسربت أنباؤه الى بعض الأوساط السياسية، وكانت تتصدر الحملة في العراق القوى المعارضة التي أجمعت، على اختلاف مشاربها، على اسقاط حكومة عبد الكريم قاسم. وقد علمت متأخراً أن وزير الخارجية العراقي آنذاك هاشم جواد، نزل في بيروت في طريق عودته من تمثيل العراق في الأمم المتحدة في خريف سنة ١٩٦٢ ، لزيارة ابنته التي كانت تدرس في الجامعة الأمريكية وزوجته السويسرية الأصل وبعض معارفه القدامى. وكان يقيم في بيروت عدد من كبار رجال العهد الملكي وبعض أفراد العائلات المشهورة في ذلك الزمن الذين ابتعدوا خوفاً من ثورة ١٤ تموز. فدعي الى حفلة عشاء أقامتها له احدى تلك العائلات. وأثناء العشاء تطرق الحضور للمفاوضات السرية الدائرة بين العراق والكويت. فأبدى المضيفون تحمسهم لتأييد حق العراق في الكويت وذكروا أن في قبول العراق صيغة الاتحاد غبناً له واهداراً لكرامته، وأبرزوا وثائق تاريخية قديمة تعود الى العهد العثماني. ولما اطلع عليها هاشم جواد

طلبها منهم ليدرسها ويعرضها على الزعيم عبد الكريم قاسم. ولم تكن تلك الوثائق ذات أهمية بالقياس الى مانشر وما هو موجود من وثائق في وزارة الخارجية العراقية، الا أنها كانت ذات طابع مثير لكونها معززة ببعض الخرائط التي تجلب الانتباه لقدمها. ولما عاد وزير الخارجية الى بغداد عرضها على الزعيم عبد الكريم قاسم، الذي يبدو أنه تأثر بها وربما كان رد فعله ماجاء في خطابه من تعرض لشيوخ الكويت بعد فترة دامت أكثر من ستة أشهر لم يذكرهم فيها بسوء.

وكان حكام الكويت بالرغم من محاولتهم انهاء النزاع بشكل سلمي مع العراق، يتعاونون في الخفاء مع المعارضة العراقية التي حشدت جهودها لإسقاط حكم عبد الكريم قاسم، كما كانوا على اتصال بالقوى الخارجية التي ناصبت عبد الكريم قاسم العداء، وخاصة شركات النفط التي أنزل بها القانون المرقم ٨٠ لسنة ١٩٦١ ضربة قاصمة حطمت هيبتها وقلمت أظفارها وشجعت الدول المجاورة المنتجة للنفط على انتزاع حقوقها من تلك الشركات، وطردها نهائياً من العراق بعد أقل من عقد واحد من السنين.[1]

فلو تحقق مشروع الاتحاد بين القطرين لأصبحت ذات الشركات العاملة في كلا البلدين تحت رحمة عبد الكريم قاسم.

فشلت مطالبة عبد الكريم قاسم بالكويت فشلاً ذريعاً وأدت الى مردود عكسي على العراق ويعود سبب فشلها الى الأسلوب الذي استعمل في تحقيقها والمعارضة التي جابهتها من قبل المملكة المتحدة والدول العربية بالرغم من تأييد الشعب له تأييداً يكاد يكون اجماعياً. فقد لعب الحقد والبغضاء والكره والخلافات الشخصية بين القيادة العراقية وبعض قيادات الدول العربية، كما كان شأن العلاقات العربية في الماضي القريب، دوراً مركزياً في خذلان العراق وعبد الكريم قاسم بالذات. وسلكت الجامعة العربية طريقاً أيد السياسة البريطانية التي ناصبت عبد الكريم قاسم العداء، وقد اعتصره الألم، عندما قررت الجامعة العربية ارسال قوات عربية مشتركة لتحل محل القوات البريطانية لتتولى الدفاع عن الكويت وعلق على ذلك القرار قائلاً: "المفروض بالجامعة العربية أن تؤيد كل مسعى لتوحيد

(١) لو أخذنا بهذه الرواية فسيكون الجانب العراقي هو المقصر في عدم الاستفادة من هذا المشروع لتلكؤه في البت فيه الى ان انتهى الحكم الجمهوري الاول في حركة ٨ شباط ١٩٦٣ .

قطرين عربيين أو أكثر، لا أن تقف ضده وتكرس جهودها لخلق كيانات عربية لا تتوفر فيها مقومات الدولة الحديثة".

ولابد لي أن أذكر أن عبد الكريم قاسم رفض التفاهم مع الانكليز الذين كانوا باعتقادي مستعدين الى الالتقاء معه في منتصف الطريق اذا ضمن لهم مصالحهم الحيوية. فقد طلب السفير الهولندي في بغداد مواجهتي في وزارة المعارف بصورة أثارت استغرابي اذ لم يكن بين العراق وهولندا علاقات ثقافية تقتضي تلك المواجهة، وسألني أثناء المقابلة عن مراحل تطور قضية الكويت ثم طرح بعض الآراء التي اعتقدت. ولا أزال. أنه كان موحى اليه بها ومما قاله: "لماذا لا تتفاهمون مع البريطانيين فلربما أنهم مستعدون للتعاون معكم على حل القضية". ولما أخبرت عبد الكريم قاسم بتلك المقابلة رفض الفكرة وقال اننا سنحصل على حقوقنا بدون الانكليز.

ولكن أمنيته لم تتحقق. "

ويعقب الدكتور ابراهيم علاوي على طريقته بتأكيد نظرية الاستدراج التي وقع في فخها عبد الكريم قاسم وصدام حسين! قائلاً[1]:

" وقد يكون من المفيد أن نشير هنا الى نقطة ذات مساس بالموضوع الذي نحن بصدده، وهي أن وفداً عراقياً سرياً كان قد شُكّل للتباحث مع مسؤولين في الكويت منذ عام ١٩٦٢ . وكان بعض أعضاء الوفد من المعروفين بميولهم البريطانية، حسب مايؤكد السفير البريطاني في مذكراته بالنسبة لرئيس الوفد على الأقل، وان كان لم يتطرق الى الآخرين. وهذه قضية لا يتوقع أنها تخفى على عبد الكريم قاسم. فليس من البعيد أن يكون قاسم، بنزواته الفردية، دخل في مساومات معينة مع المصالح البريطانية كان من نتائجها تعميق الشقة مع الحركة الشيوعية العراقية والتمهيد للإطاحة بثورة ١٤ تموز. ولعل قاسم يتحمل في هذا الصدد مسؤولية تاريخية بسبب انجراره وراء وعود بريطانية كاذبة. فلوّح بانتزاع الكويت من السيطرة البريطانية، مع عدم جديته في تنفيذ ذلك، وأقدم على ذبح الحركة اليسارية وتعريض الثورة الى الانهيار. لكن قاسم لم يكن

(١) د.ابراهيم علاوي ـ المقايضة من برلين إلى بغداد ـ لندن دار الغد ١٩٩١ ص٢٧٩ .

أول من تورط في هذا الفخ، كما لم يكن الأخير. "[١]

القائد العسكري وفتوى الامام الحكيم

وكما اختلف المحللون في تفسير دوافع الزعيم عبد الكريم قاسم الى المطالبة بالكويت اختلفوا أيضاً في معرفة سبب أو أسباب عدم استخدامه القوة العسكرية لاحتلال الكويت قبل أن تصل القوات البريطانية وقوات الجامعة العربية الى الكويت وترابط عند حدودها مع العراق. ولم يكشف بعد أكثر من ثلاثين عاماً عن سر الطرق السلمية التي كان قاسم يبشر بانها ستعيد الكويت الى العراق كما تعود الفارك الى منزلها. ولم يعرف ان كان لقاسم برنامج حقيقي للاعادة السلمية البديلة عن الحسم العسكري سوى ماكان يعرض في جهازي الاذاعة والتلفزيون من أناشيد وطنية.

من الواضح أن عدم التعرف على سبب الانكفاء عن استخدام الحل العسكري من قبل رجل عسكري كعبد الكريم قاسم أفسح في المجال لمشافهات مترامية الخيال أو محدودة بأهواء أصحابها بحثاً عن سبب معقول.

ان الشيوعيين العراقيين يتهمون قائد الفرقة الاولى اللواء حميد الحصونة باستلامه رشوة من الكويتيين أقعدته عن الحركة وعدم تنفيذ أمر الزعيم. فاذا صحّت هذه التهمة وهي غير صحيحة، ألم يمكن لقاسم باعتباره قائد القوات المسلحة استبدال القائد المتقاعس بقائد آخر؟

أما الأتباع القاسميون فهم يدللون بعدم استخدام القوة العسكرية على رغبة الزعيم في الحل السلمي للمشكلات السياسية.

ولعلي شخصياً وكما أودعت رأيي في كتابي الموسوم (عبد الكريم قاسم: رؤية بعد العشرين) لم أكن أعتقد أن قاسم أوعز للقائد العسكري للتوجه باحتلال الكويت مستنداً على ادراك عبد الكريم قاسم لمشكلات التورط في الحرب. لكن

(١) كان رئيس الوفد قاسم حسن من المشهود لهم بالوطنية والنزاهة ولم يكن يحمل أية ميول بريطانية.

الدكتور عدنان آل طعمة الذي اطلع على كتابي المذكور، طلب مني تصحيح بعض فقراته بهذا الشأن لأنه كان قد التقى باللواء حميد الحصونة بالقاهرة عام ١٩٧٥ وأبلغه بحضور بعض زائريه: انه تلقى أمراً عسكرياً من عبد الكريم قاسم باحتلال الكويت، لكنه لم ينفذ الأمر بناء على فتوى صدرت له من السيد محسن الحكيم، حينما زاره في محل اقامته بالكوفة، بتحريم سفك دماء المسلمين على أية بقعة كانوا ولأي سبب كان، وقد اعترف الحصونة للدكتور عدنان آل طعمة أن عبد الكريم قاسم قد أصدر أمرين له وليس أمراً واحداً، وقد رغب القائد العسكري أن يكون لهذا الموقف مايدعمه من صبغة دينية وتعاطف اسلامي خاصة وأن جميع الجنود وضباط صف الجيش العراقي من الشيعة، وكان لهذه الفتوى مغزى كبير وتأثير له دلالته، وقد دار حوار بينهما بحضور بعض أنجاله: قال الحصونة للسيد الحكيم: ان عبد الكريم قاسم أمرني باحتلال الكويت، وهو قائدي العسكري وأنتم قائدي الروحي فبماذا تأمروني أن أفعل؟

فسأله السيد الحكيم: ان كانت الحركة العسكرية المطلوبة دفاعاً عن النفس أو استغاثة لنجدة أو دفعاً لضرر يلحق أذى بالمسلمين؟ وعندما أجابه الحصونة بالنفي، عاد السيد الحكيم فسأله: ان كانت ستهدر فيها دماء المسلمين ومن سيتحمل مسؤولية ذلك أمام الله، ولهذا أفتى (رحمه الله) بحرمة استخدام القوة العسكرية ضد الكويتيين اذعاناً لحرمة دم المسلمين.

وقد عاد اللواء الحصونة الى مركز قيادته في تلك الليلة، وفي اليوم التالي حينما لم يحدث شيء طلبه على الفور عبد الكريم قاسم ليستفسر عن هذا التلكؤ الذي أصاب صديقه القديم وهو يعرفه جيداً في حرب فلسطين. وحينما أوضح له الحصونة حقيقة الموقف من جانب السيد الحكيم أبدى عبد الكريم قاسم دهشته لتصرف الحصونة لكنه شعر بمأزق حقيقي للسبب الذي ذكرناه آنفاً، وقد طلب الحصونة من عبد الكريم قاسم أن يعيّن رجلاً آخر مكانه ليقوم بالمهمة فرفض الأخير هذا الطلب وأراد أن يقوم الحصونة بنفسه بتنفيذ هذه الرغبة: خاصة وقد أنيطت به قيادة الفرقة الثانية وكالة، وكان مقرها كركوك بعد ثورة الشواف، وكان قائدها الزعيم الركن ناظم الطبقجلي مشتركاً في هذه الثورة الفاشلة، ويعني هذا أن الحصونة كان يمتلك قوة ضاربة من الشمال الشرقي حتى جنوب العراق.

وقد بقي الحصونة في مركزه مدة طويلة حتى أن بعض الضباط المقربين من عبد الكريم قاسم حينما وجدوا الحصونة يشكل خطراً على نواياهم بعد عجزهم عن مساومته استطاعوا أن يلقوا به بعيداً عن مركز نفوذه، وبعد ستة شهور فقط من انتقال الحصونة الى السلطة المدنية حدث انقلاب ١٩٦٣ .

والذي يبدو أن تطورات مفاجئة ومتوالية في المسرح السياسي المحلي والعربي أشغلت قاسم عن مواصلة الحل العسكري معللاً نفسه بما يسميه العودة السلمية للقضاء السليب كالثورة المسلحة التي التهبت في معظم أجزاء المنطقة الشمالية وقادها الزعيم الكردي الملا مصطفى البارزاني في أيلول ١٩٦١ والانفصال السوري عن الجمهورية العربية المتحدة في الأسبوعين اللاحقين وحاجة قاسم للانصراف الى معالجة الحركة الكردية المسلحة وشعوره بعد انفصال سورية بانه لم يعد مهدداً بالوحدة. ولمعارضة الحركة الوطنية العراقية لفكرة ضم الكويت والتزام الحركة القومية الناشطة بموقف عبد الناصر في التفرقة بين مفهومي الوحدة والضم، كل ذلك ساعد على ارجاء فكرة استخدام الحل العسكري والاكتفاء بالحملة الاعلامية في الدعوة الى ضم الكويت[1].

كانت دعوة عبد الكريم قاسم لضم الكويت تفتقر الى المسوّغ الايديولوجي والسند المنطقي وتتعارض مع طبيعة سياسته العربية فهو يتبنى خطاً اقليمياً متشدداً في مواجهة الدعاة الوحدويين وكان قد رفع شعاره للرد على دعوة الانضمام للجمهورية العربية المتحدة، ان العراق جزء من كل وليس جزءاً من جزء.

---

(١) كانت مواقف الاحزاب العراقية من مطالبة قاسم متباينة قدر ماهي طريفة: أيد (الحزب الوطني الديمقراطي) (قاسماً) بكل الحجج التي عرضها تاريخياً. أما (الحزب الشيوعي) فقد عارض في الاسلوب بقوله ان المسألة الأساسية في الظرف الراهن هي تحرير الكويت من الاستعمار ، وأن الرابطة بين العراق والكويت تتقرر طبقاًللإرادة الحرة للجماهير في العراق والكويت. واستنكرت (حركة القوميين العرب) المطالبة ونفت أن يكون للإدعاء صلة بالوحدة العربية . كذلك فعلت (الرابطة القومية). وأصدرت قيادة قطر العراق لحزب البعث العربي الاشتراكي بياناًوجدت فيه أن غرض (قاسم) من طرح موضوع الكويت هو صرف انظار الشعب في هذا الوقت بالذات عن جرائمه بحق حركة التحرر العربي.

جرجيس فتح الله، مغامرة الكويت ـ الوجه والخلفية، ج١ ص١٥٨ ـ دار آزاد للنشر ستوكهولم ١٩٩١ .

وفي تسفيه مفهوم الوحدة يجري تعزيز السياسة القطرية فيرتفع شعار على شكل اهزوجة: جمهوريتك يازعيم.. مستحيل اتصير اقليم.

فعلى أي أساس ايديولوجي أو منطقي سيقوم عليه الخطاب الرسمي للسياسة القطرية في المطالبة بالكويت واعتباره جزءاً من جزء فيما ترفض دعوة الوحدة القومية القائمة على الاختيار الحر للإرادة الشعبية في سورية ومصر.

أما على الطرف الكويتي فمن المثير للانتباه أن القوات العربية بدأت تنسحب تدريجياً. ففي كانون الثاني/ يناير ١٩٦٣ سُحبت القوات السعودية والأردنية بعد أن انسحبت القوات الرمزية التي ساهمت بها الجمهورية العربية المتحدة في الوقت الذي لم يسحب عبد الكريم قاسم دعوته في ضم الكويت، فهل جرى ذلك الانسحاب بتنسيق عربي ودولي مع الحركة القومية التي قادت حركة الاطاحة بعبد الكريم قاسم في ٨ شباط/ فبراير ١٩٦٣ ، وقيام النظام الجديد باصدار بيانات مطمئنة للجانب الكويتي؟.

الاعتراف العراقي بالكويت

منذ الأيام الاولى لسقوط ثورة تموز واعدام الزعيم عبد الكريم قاسم كان الكويتيون ينتظرون اجتماعاً مع قادة النظام الجديد في بغداد للحصول على اعتراف رسمي موثّق فحضر الى بغداد في الرابع من شهر تشرين الأول ١٩٦٣ وفد رسمي برئاسة رئيس الوزراء وأجرى مفاوضات مع وفد عراقي برئاسة اللواء أحمد حسن البكر رئيس الوزراء آنذاك وانتهى اللقاء بصدور بيان مشترك أعلن فيه "عن ازالة كل مايشوب العلاقات بين البلدين وتوطيد العلاقات لما فيه خير البلدين والتمسك برابطة العروبة والشعور بأواصر الجوار وتحسس المصالح المشتركة" .

كان الجانب الكويتي في المفاوضات يحمل خلاصة تجربة قاسية كما يحمل أملاً في الحصول على مايبغي الحصول عليه من الجانب العراقي مثيراً روح العداء المشترك للحكم السابق ومدججاً بالوثائق والمشاعر التي تدعم موقفه، أما الجانب العراقي فكان خاضعاً لردود الأفعال الجامحة ضد سياسة عبد الكريم قاسم، وكان

لا يتأخر عن أبطال أي تشريع أو قرار صادر عنه بما فيها تلك التي تشكل أسساً مقبولة للاصلاح السياسي والاجتماعي وكان الوفد العراقي الى جانب ذلك مشغولاً بصراعات شخصية على السلطة بين اليمين واليسار في الحزب الحاكم وكان تطلعه نحو وحدة ثلاثية تتشكل من مصر وسورية والعراق يصدّ بعض النظر الى ماوراء أسوار الطين في الكويت فضلاً عن حاجته الى الدعم المالي الكويتي وافتقاره الى المعلومات التي كانت لدى الطرف الآخر.

وقد ساعد ذلك الكويتيين على الوصول الى نتيجة حسنة وان لم تكن حاسمة. فقد انتزعوا اعترافاً مدوناً في محضر متفق عليه ينص على:

(١) اعتراف الجمهورية العراقية باستقلال دولة الكويت وسيادتها التامة بحدودها المبينة بكتاب رئيس الوزراء العراقي بتاريخ ١٩٣٢/٧/٢١ والذي وافق عليه حاكم الكويت بكتابه المؤرخ في ١٩٣٢/٨/١٠ .

(٢) تعمل الحكومتان على توطيد العلاقات الأخوية بين البلدين الشقيقين.

(٣) تعمل الحكومتان على اقامة تعاون ثقافي وتجاري واقتصادي بين البلدين.

(٤) تحقيقاً لذلك يتم فوراً تبادل التمثيل الدبلوماسي بين البلدين على مستوى السفراء.

محضر متفق عليه بين الجمهورية العراقية ودولة الكويت ١٠ تشرين أول عام ١٩٦٣ بغداد)[١] .

وكان استلام قرض كويتي أو منحة على الأصح مثار طعون طالما ألح اليها صدام حسين في صراعه ضد القادة الحزبيين الذين سبقوه.

وبسبب تلك الصراعات وتطورات سريعة لاحقة لم تُتح فرصة لأحمد حسن البكر بالحصول على مصادقة رفاقه على محضر اجتماعه مع الوفد الكويتي. لكن عدم التصديق على المحضر لم يكن له أي مفعول سلبي على الكويت التي استثمرت المتغيرات الجديدة في العراق فبادرت بتجديد طلبها للانضمام الى الأمم المتحدة ووافق مجلس الأمن في مايس ١٩٦٣ على اعتبارها العضو ١١١ في المنظمة الدولية.

(١) الكويت وجوداً وحدوداً، مصدر سابق، ص.١٠٧

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جورج براون.. سر الضمّ الأخير

محاولة صدّام حسين



الانسحاب من شرق القناة

في ١٩٦٨/١/١٧ أعلن وزير الخارجية البريطاني في حكومة حزب العمال جورج براون قرار بريطانيا الانسحاب من شرق القناة أي من منطقة الخليج العربي بعد مئة وخمسين عاماً من دخولها الى الخليج ومسؤوليتها عن أمن المنطقة.

لم يحظ مشروع الانسحاب البريطاني بدراسات عربية على مستوى أكاديمي أو على مستوى استراتيجيات الدول المعنية في المنطقة وقد أغفله كتاب كبار معنيون بشؤون المنطقة مثلما أغفله كتاب السياسة اليومية.

وفي دراسة أوضاع المنطقة السياسية والعسكرية والاقتصادية تتشكل عوامل تفرض على بريطانيا من وجهة نظر مصالحها البقاء لا الانسحاب من المنطقة.

فهي ـ المنطقة ـ ليست خاضعة لصراع على النفوذ واذا كان هناك من يلوّح بالطموح الأميركي للسيادة على منطقة الخليج منذ انكسار حركة مصدق الوطنية في ايران عام ١٩٥١ فان بريطانيا لم تكن يوماً ما غريماً سهل الانقياد بحيث تتنازل طوعاً للولايات المتحدة الأميركية عن قرن ونصف القرن من النفوذ و٥٧٪ من احتياط النفط. ولم تكن منطقة شرقي القناة تشكل استنزافاً للخزانة البريطانية لعدم ظهور حركة تحرر وطني الا في جيوب أمكن السيطرة عليها، والمنطقة التي ستنسحب عنها بريطانيا تحتفظ بأهمية استراتيجية على صعيد عسكري على مشارف خطوط الصراع القريبة من الاتحاد السوفياتي. والإمارات الخليجية التي سيعلن استقلالها بعد الانسحاب البريطاني لم تكن قادرة على ادارة شؤون الخليج وملء الفراغ البريطاني.

الى جانب كل هذا فان ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ضربت المصالح البريطانية في العمق ولم يعد حلف بغداد الذي تحول الى ماسمي بالمعاهدة المركزية بعد انسحاب العراق منه ذا أهمية سياسية أو عسكرية. وكانت الجمهورية العربية

المتحدة بزعامة الرئيس عبد الناصر توجه اهتماماتها نحو الخليج وتغذي المنطقة بمدد ثوري لا ينقطع.

فكيف تنسحب بريطانيا عن مصالح حيوية ومنطقة استراتيجية وتتنازل عن نفوذها المعمر الممتد مابين ١٨٢٠ الى ١٩٧١؟

هل يكفي ترديد الخطاب الاعلامي غير الدقيق عن هروب بريطانيا من المنطقة بعد فشلها في حرب السويس ١٩٥٦ وتأميم القناة وسقوط ايدن بحيث انكفأت تلك السياسة الحية والمراوغة كما تنكفيء الأرملة على وجهها؟.

وهل سيكون منطقياً ومقبولاً عند محللي السياسة الدولية أن يجري الانسحاب البريطاني دون أن يترك وراءه مشروعاً بديلاً يحقق لبريطانيا وجوداً أوسع وحرية أشمل بترتيبات تشمل القضايا المركزية الاولى والمتمثلة في:

١ . ترتيب أمن الخليج، لملء الفراغ.

٢ . الترتيبات النفطية.

٣ . العلاقة مع الإمارات ومحميات الخليج التي سيعلن استقلالها قبل الانسحاب!!

تطورات مابعد الاعلان عن الانسحاب

مايدعونا الى الاعتقاد بوجود مشروع بريطاني بديل، أن أحداثاً وتطورات كبيرة بدأت تتشكل على خارطة المنطقة السياسية.

صدر قرار الانسحاب البريطاني في ١٩٦٨/١/١٧ .

وفي ١٩٦٨/٧/١٧ حدث أول تغيير سياسي في المنطقة وقد يكون أول فعل للمشروع البديل عندما استلمت مجموعة صغيرة متورطة بمشكلات مع العراقيين في تجربة سابقة السلطة في انقلاب سهل للغاية استسلم فيه الرئيس غير المنتخب عبد الرحمن عارف للرئيس الجديد غير المنتخب أحمد حسن البكر الذي تزعم المجموعة التكريتية والجناح اليميني المنشق عن حزب البعث المرتبط بقيادة ميشيل عفلق.

لنضع هذا الحدث فقط أمام تساؤل ولنرافق تطوراته الدرامية الصاخبة مابين يوم الانقلاب الذي جاء بعد ستة أشهر فقط من اعلان جورج براون الانسحاب البريطاني ويوم اجتياح الكويت في الثاني من آب ١٩٩٠ .

ان تحليلات مسوّقة عراقياً كانت تبشر بأن انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨ سيضع العراق في مواجهة (امبراطور الخليج الفارسي وسيكون العراق نقطة توازن وقوة أساسية في قضية الأمن الخليجي وكبح جماح الشاه وأطماعه في الخليج. "

لكن ألا يمكن أن يكون توقيت الانقلاب بعد ستة أشهر من قرار الانسحاب لتشكيل مثلث للتفاهم ضمن مشروع سري لجورج براون نفسه ستشكل أضلاعه لاحقاً من الشاه محمد رضا بهلوي وصدام حسين والملك حسين فيما يقوم جورج براون بدور المايسترو السري؟

لقد تبنى الشاه محمد رضا بهلوي منذ الأيام الاولى لاعلان الانسحاب البريطاني برنامجاً متكاملاً تملأ الفراغ فيه ايران طارحاً مجموعة مقترحات واجراءات وأفكار:

١ . اقامة حلف أمني مع الدول العربية المطلة على الخليج كبديل عن الوجود العسكري والأمني البريطاني. ولم توافق السعودية على فكرة الحلف الاقليمي.

٢ . حل مشكلات الجرف القاري وقد أمكن التوصل الى ذلك في سلسلة من الاتفاقات بين ايران والعراق والمملكة العربية السعودية والبحرين وقطر والكويت والإمارات العربية.

٣ . أبدى استعداده لقمع كل حركة قد توجه ضد الأنظمة في الخليج وقد نفذ استعداده بارسال قوات ايرانية الى ظفار والسيطرة على الحدود مع اليمن الديمقراطي ١٩٧٤ .

٤ . بناء قواعد جوية وبحرية ضخمة في بندر عباس وشاه بهار واصفهان وأصبحت ايران أكبر مورد للسلاح في المنطقة.

٥ . اتفق مع وكالة المخابرات الأميركية على انشاء شبكة استخبارات في ايران قادرة على رصد جميع الاتصالات العسكرية والمدنية في الخليج.

٦ . اعلن صراحة عن عدم قبول أي شكل من أشكال الوجود العسكري العربي في الخليج رافضاً لأن يكون لمصر أي دور.

وبتعاون المخابرات الإيرانية الساواك مع الموساد الاسرائيلي والمخابرات المركزية

الاميركية تكون منطقة الخليج العربي في قبضة محكمة على حساب ارادتها المستقلة.

وعبّر الشاه عن دوره بالقول: اننا لا نتولى مسؤوليات اقليمية ووطنية فحسب، بأن نقوم بدور عالمي بصفتنا حراساً وحماة لستين بالمئة من احتياطي نفط العالم.. ان الأمن الأوربي سيصبح مجرد سخرية من دون استقرار وأمن الخليج.. ان أوربا الغربية واليابان والولايات المتحدة تعتبر الخليج جزءاً لا يتجزأ من أمنها ولكنها ليست في وضع يتيح لها الدفاع عن هذا الأمن، ولهذا السبب نفعل ذلك لأجلها[1].

وعلى الصعيد نفسه كان الشاه قد سارع في ١٩ نيسان ١٩٦٩ ، ومن طرف واحد، لإلغاء اتفاقية شط العرب المعقودة بين العراق وايران عام ١٩٣٧ .

وفي ١٩٧١/١١/١٠ احتلت قوات ايرانية ثلاث جزر عربية في مدخل الخليج هي أبو موسى وطنب الصغرى وطنب الكبرى[2]، وقد قوبلت اجراءات الشاه هذه بحملة اعلامية ودبلوماسية من الجانب العراقي، لكن واقع الحال ان تلك الحملة لم تستهدف تغطية صراع حقيقي بين سياسة بغداد وسياسة طهران بقدر ماكانت تغطية على اتفاق آخر كانت خطوطه تحاك بصمت مع تلك الزيارات المكوكية السرية لجورج براون بين بغداد وطهران وعمّان لمتابعة مشروعه ـ بعد سقوط حكومة العمال ـ بصفة مستشار وهي رحلات لا تقل أهمية عن رحلات نظيره كيسنجر الشهيرة على الجانب الآخر من المنطقة العربية.

ان الفرق بين رحلات الوزير البريطاني المتقاعد ورحلات الوزير الأمريكي النشط ان كلاً منهما تعكس سياسة البلد الذي يمثله. لكن براون قد يكون رسولاً امريكياً الى المنطقة ، أو منسقاً بين السياستين البريطانية والامريكية.

كان جورج براون يلتقي في العراق مع صدام حسين فقط وبحضور طارق عزيز فقط حتى ان عضواً في مجلس قيادة الثورة سألني بحضور زميله عن أسباب زيارة براون معتقداً ان الدائرة الصحفية تتسع لمسموعات وتحليلات لا تتسع لها الدائرة

(١) عبد الرحمن محمد النعيمي. الصراع على الخليج العربي. دار الكنوز الأدبية، بيروت ١٩٩٤ ص ١٤٠ مستفيداً من مقال لمجلة الصياد اللبنانية في ١٩٧٣/٥/٢٤ .

(٢) اعلن مسؤول روسي كبير لمراسل الحياة في موسكو يوري تيسوفسكي في ٣٠/٥/ ١٩٩٥ ، والكتاب تحت الطبع، ان ايران احتلت الجزر الثلاث عام ١٩٧١، ليس من دون دعم بريطانيا والغرب.

القيادية في الحزب.

وكانت أروقة الحزب تتهامس بأن الرئيس أحمد حسن البكر سأل نائبه صدام حسين عن سبب زيارات براون فجاءه الجواب بأنه يعمل وسيطاً لشركة بريطانية لإقامة مصنع لطائرات هنتر وكان البكر معجباً بهذا النوع من الطائرات الحربية التي عفا عليها الزمن.

كان حضور طارق عزيز لاجتماعات براون مع صدام حسين تثير حفيظة أعضاء المكتب الخاص لصدام وأعضاء في الحزب والسلطة وكان غانم عبد الجليل عضو مجلس قيادة الثورة ومدير مكتب صدام حسين مهموماً بالبحث عن فرص للعثور على مايلقي الضوء على تلك الزيارات. وقد ذكر في أعقاب اعدامه مع عشرين من زملائه يوم ١٩٧٩/٨/٨ انه سرّب ملفاً خاصاً لصدام حسين الى جهة أخرى ولعلهم يقصدون سورية، ولم يظهر لي بعد خمسة عشر عاماً من معايشة السوريين انهم يحتفظون بمعلومات خاصة عن جورج براون.

مثلث جورج براون

لكني أستطيع أن أقدم شهادة قد تلقي الضوء لا على زيارات جورج براون فحسب بل على ملامح من أهداف مشروعه الذي يجمع صدام حسين والشاه محمد رضا بهلوي والملك حسين عراباً بين محميات الخليج وبغداد وطهران، ولنفترض أن مثلثاً قد تشكلت أضلاعه من هؤلاء الثلاثة بضربة من قلم براون فاذا استرجعنا الأحداث وعرضناها على طاولة البحث من جديد فقد تتوضح لنا خطوط صورة كاملة لمشروع بديل أو مكمّل أو مساعد لمشروع الانسحاب البريطاني من شرق القناة وسيتضح ان الاجراءات والاستعدادات والأفكار والتصريحات التي صدرت عن شاه ايران خلال فترة الانسحاب البريطاني وعرضنا جزءاً منها تبدو كما لو كانت سيناريو متفقاً عليه وكما لو كان براون أعطى للشاه وأخذ منه وأخذ من صدام حسين وأعطاه وكوفىء العراب بما كان يحلم به اذعاناً لصورة مثلث متساوي الفائدة؟

ان العودة الثانية لأحمد حسن البكر وبروز صدام حسين رجلاً ثانياً في انقلاب ١٧

تموز ١٩٦٨ ستشكل لهما أعظم ماستتصوره مخيلة أي منهما من مكاسب وقد لا يكون جورج براون بعيداً عن صفقة السلطة التي تمت بعد ستة أشهر من اعلانه المشروع البريطاني للانسحاب من شرقي القناة.

أما الشاه فعينه على شط العرب وحلمه أن يكون خط التالوك ـ أعمق نقطة في النهر ـ هو الذي يشكل الحد الفاصل بين البلدين وليس الساحل الإيراني لشط العرب كما تقضي بذلك اتفاقية ١٩٣٧ الموقعة بين العراق وايران فألغى الشاه كما أشرنا تلك الاتفاقية من طرف واحد ولم يواجَه قراره الخطير والمتعارض مع مبادىء القانون الدولي الا بتعليقات اذاعية لا أهمية لها.

كان صدام حسين يبحث عن دور محلي لتأكيد زعامته الثانية في صراعه ضد رجال الانقلاب الأقوياء وربما اتفق مع براون على تعزيز دوره من خلال اظهاره للرأي العام العراقي كما لو كان رجل الحل السلمي للقضية الكردية المستعصية فزار صدام حسين وليس حردان التكريتي أو صالح مهدي عماش وكلاهما نائب لرئيس الجمهورية برتبة جنرال مقر الزعيم الكردي في ناحية كَلاله وعرض عليه ورقة بيضاء فاتفق الاثنان فيما بعد على اصدار بيان الحادي عشر من آذار/ مارس ١٩٧٠ لحل المشكلة الكردية سلمياً ومنح الأكراد حكماً ذاتياً. وكان معروفاً ان جورج براون هو الذي صاغ البيان أو أعدّ معظم بنوده.

وبما يشبه تناوب الأدوار جاء دور الشاه فأقدم على احتلال الجزر العربية في ٣٠/ ١٩٧١/١١ وكان عليه أن يذهب الى أبعد من ذلك فيرفع الفيتو الايراني على استقلال الإمارات ويقبل عرضاً باجراء استفتاء شعبي في البحرين التي تطالب بها ايران مما نجم عنه تصويت البحارنة للاستقلال.

أما الملك حسين فقد كانت المقاومة الفلسطينية في منطقة المفرق وجرش تنمو بوتائر تهدد أمن اسرائيل، وقد وجد الفدائيون في الجيش العراقي الذي كان مُعَسكِراً على تلك الجبهة مظلّة لهم، وكان المطلوب سحب الجيش العراقي من الجبهة الشرقية أو وقوفه على الحياد في حالة نشوب قتال بين بدو الجيش الأردني ورجال المقاومة الفلسطينية وهو ماتمّ الاتفاق عليه فخرجت المقاومة الفلسطينية من الأردن بعد مجازر أيلول الأسود عام ١٩٧٠ .

الامبراطور والامام

لم يكن الشاه يتوقع ان يتمكن أولئك المتوحشون الذين كان يخشى استيلاءهم على الضفة المقابلة لمضيق هرمز[1] أن يكتسحوا بثورة شعبية عرش الطاووس فيسقط الشاه وتسقط معه مشاريعه وطموحاته في الخليج العربي.

وكان مفروضاً، لولا وجود اتفاق بين صدام حسين والشاه في مثلث جورج براون، أن يكون سقوط الشاه مكسباً على الصعيد القومي لا يوازيه في الأهمية سوى "زوال اسرائيل من الوجود"! ولم يكن متوقعاً أن يدخل العراق الحرب ضد الحكم الجديد الذي لم يعرف بعد مايشكله من خطر قريب من خطر الشاه على العرب ومستقبلهم في الخليج.

ان مقارنة بين الإمام الخميني والامبراطور محمد رضا بهلوي ستكون ضرورية:

. كان الشاه فارسياً كاملاً ونصف مسلم والإمام الخميني مسلم كامل ونصف فارسي.

. الشاه مع الغرب بدون احتياط، والخميني ضد الغرب بدون احتياط.

. الشاه يعد قوات لاسناد ماقد تتعرض له أنظمة المنطقة من اضطرابات والخميني يَعد المنطقة بثورات ضد الأنظمة القائمة.

. الشاه والخميني كلاهما جبار.. الامبراطور بعرشه وعلاقاته الدولية والخميني بثورته وقدرته على تحريك الشارع ، فأي خلل ستتعرض له المنطقة؟.

عقدة الشاه أن يكون ممثلاً أول لمصالح الغرب وعقدة الخميني هي عقدة صفين حتى ليبدو كل وسيط بينه وبين الشاه ثم بينه وبين صدام حسين كما لو كان هو عمرو بن العاص بعينه.

---

(١) عبد الرحمن النعيمي مصدر سابق ص ١٤٠ نقلاً عن آلان كريش.

ان الشاه والإمام كلاهما يسعى لأن يكون مالك الخليج سوى أن الشاه تحت مظلة فارسية غربية والإمام تحت مظلة صفوية اسلامية.

لكن صراعاً جديداً بعد سقوط الشاه أخذ يطل على اقليم الخليج فالفقه الاسلامي يتصارع هو الآخر على السواحل الشرقية والغربية، ولم يكن هذا الصراع معروفاً في عهد الشاه.

ان الحركات الاسلامية في البلاد العربية والاسلامية وهي سنية على الغالب متأثرة بمناخ الفكر الشيعي الذي يحرض على الثورة والعصيان فيما يميل فقه أهل السنة الى المسالمة حتى مع الحاكم الجائر خشية من الفتنة.

عند هذه النقطة تختصر الأزمة وتعرف أبعاد الصراع الذي سيطول بعد أن تحول من صراع بين أمة وأمة، وجغرافيا وجغرافيا الى صراع فكري داخل الأمة الواحدة والجغرافيا الواحدة والأسرة الواحدة.

وفي السياق نفسه، صدرت عن القيادة الايرانية في الايام الاولى تصريحات غير مدروسة، وعشوائية، وكان بعضها مثيراللإستفزاز كالإدعاء بفارسية الدول العربية المطلة على الخليج ، وتهديد الانظمة القائمة بالثورة، واثارة الاضطرابات فيها، مما أعطى لصدام حسين نفوذاً في المنطقة باعتباره المتصدي الوحيد لتلك السياسة المخيفة.

لكن على صعيد واقعي، ليس بامكان أية سلطة ايرانية ان تجد لها في منطقة الخليج مواقع نفوذ او قوة تهديد فعلي لثلاثة أسباب:

قومية: تتعلق بكون ايران فارسية والمنطقة عربية.

ومذهبية لكون ايران شيعية والمنطقة سنية

وسياسية: ترتبط بكون ايران راديكالية متطرفة والمنطقة الخليجية تميل الى منظومة محافظة.

لكن الخطاب السياسي العراقي استفاد من التهديدات النارية للقادة الايرانيين ومازال مستفيداً منها حتى الآن .

براون يبايع

ان ضلعاً مهماً في مثلث جورج براون قد انكسر، فزار براون في الأسبوع الأول من الثورة الايرانية بغداد والتقى كعادته بصدام حسين في اجتماع مغلق ومعهما طارق عزيز لكن صدام حسين هذه المرة خرق تقليداً محكماً فتحدث عن جورج براون قائلاً في اجتماع اسبوعي:

(شوفوا الانكليز كم هم ملاعين واسمعوا ملاحظاتهم على لسان جورج براون الذي أبلغني باننا اذا شئنا بأن نحقق حلمنا الوحدوي في الوصول الى تطوان فقد أخطأنا وضع قدمنا في المكان المناسب عندما بدأنا بالميثاق الوحدوي مع سورية التي يقول عنها براون انها متورطة في حالة حرب مع اسرائيل وسينجر العراق الى نفس الموقف وانها متورطة في المستنقع اللبناني وسيجعلنا الميثاق الوحدوي طرفاً في المسألة اللبنانية. كما ان سورية والكلام مازال لجورج براون، تعاني من مشكلات مالية واقتصادية. وعلى العراق أن يخصص من ميزانيته جزءاً لتعديل الموازنة السورية. ومعنى هذا ان العراق هو الخاسر في هذا الميثاق. فاذا أردتم البداية الصحيحة في الوصول الى تطوان فابدأوا من الكويت). انتهى كلام براون المنقول على لسان صدام حسين.

وفي اليوم التالي توجه صدام حسين في رحلة على الحدود العراقية ـ الايرانية شملت أيضاً البصرة والحدود الكويتية وفي منطقة على الحدود العراقية الإيرانية طلب من القائد العسكري في تلك المنطقة خارطة عسكرية فأحضرت وكانت قد أعدت في زمن الملك غازي فاعتذر القائد العسكري لعدم وجود خرائط جديدة.

وعندما عُرضت الخارطة على الطاولة سأله صدام حسين: أية منطقة هشة عسكرياً يمكن الدخول بسهولة منها الى ايران فأشار القائد الحزبي باصبعه الذي التقى باصبع صدام في نقطة معينة على الخارطة.

وفي تموز من العام نفسه أُعلن عن تنازل أحمد حسن البكر عن رئاسة مجلس قيادة الثورة ورئاسة الجمهورية والأمانة القطرية للحزب لصدام حسين الذي بدأ مرحلة حكمه بما يوحي تماماً أنه يترجم الملاحظات البريطانية لجورج براون. اذ يبدو أنه اتفق معه على ازاحة أحمد حسن البكر الذي لم يعد يصلح لمرحلة المواجهة الجديدة في الخليج بعد سقوط الشاه والغاء الميثاق الوحدوي مع سورية وشن الحرب على ايران اعتقاداً انها ستكون سريعة وسيسقط الحكم الثوري الجديد وسيأتي نظام ايراني يقوده زعماء عسكريون ومدنيون يعيشون ضيوفاً على صدام حسين الذي سيصبح لا شرطي الخليج فحسب بل زعيم المنطقة غير المنازع وستكون الكويت من بعض غنائم الانتصار على الثورة الايرانية.

على هذا السيناريو الذي عشت جانباً منه اعتمدت في كتابة العديد من الدراسات والتحليلات التي تتوقع اجتياحاً عراقياً للكويت حال توقف الحرب العراقية الايرانية الى جانب ماتوفر في أرشيفي الكويتي من تصورات لم يغب عنها مشروع خالد المسعود واحتمالات التغيير بالانقلاب وليس بالاجتياح فحسب.

ان عبارة وردت على لسان طارق عزيز تشير الى ماذهب اليه في ربط اجتياح الكويت بمشروع جورج براون اذ يقول ان مقدمات قرار الثاني من آب استمرت على مدى عشر سنوات سبقته[1].

أو هي تشير على الأقل الى ربط ضم الكويت بالحرب العراقية . الإيرانية مما يعزز اعتقادنا أن تلك الحرب كانت مقدمة لضم الكويت على قاعدة المكافأة التي تحدث صدام حسين عنها كثيراً.

ففي لقائه مع ايرل كلاسبي لا يتردد عن الاعتراف بأنه من درجة أدنى من الدرجة الاميركية التي ترفض التضحية بأكثر من عشرة آلاف قتيل في المعركة الواحدة. ويضيف: هل هذه هي مكافأة العراق[2].

ولعل مثلث براون أخيراً قد يقنع المولعين بتحليل موقف الملك حسين المؤيد لضم الكويت بالكف أو التوقف عن مواصلة تلك التحليلات مادام الملك حسين ضلعاً في ذلك المثلث وشريكاً لصدام حسين في حربه ضد ايران وما تلاها من

(١) سعد البزاز. حرب تلد أخرى ص ٣٢٧ .

(٢) حرب الخليج الملفات السرية ـ مصدر سابق ـ ص ٧١ .



• صدام حسين يسأل: أية منطقة هشة عسكرياً يمكن الدخول بسهولة منها الى ايران.
• اتخذت الصورة على الحدود العراقية الإيرانية بتاريخ ١٩٧٩/٢/١٤ .

عواقب مرسومة.

من هنا يأتي رهاننا على عدم حصول مايتمناه الكثير من رؤية عمّان بعيدة عن سياسة بغداد.

لقد نفذت أول خطوة من المشروع وأعلنت في الثاني والعشرين من أيلول سبتمبر ١٩٨٠ الحرب العراقية الإيرانية بعد أن ألغي الميثاق الوحدوي مع سورية باحدى وعشرين ضحية!.

ومابين عام الحرب، وعام الاجتياح، أجرى صدام حسين عدداً من اختبارات الضم الناجحة!..

اختبارات للضّم

محاولة صدّام حسين



سقوط نظرية المفاجأة:

هل صحيح مايتحدث به عرب وكويتيون متورطون أو معجبون ببرامج المنظمة السرية وآخرون حسنو النية أن الثاني من آب كان مفاجأة صاعقة ضربت مراكز الأعصاب ومضارب البدو ومواقع الوعي فغاب بعضهم في اللاوعي ولم يتبينوا الا بعد لأي أن المعشوق قد أزال مسالح العشاق وتركهم هائمين على رمال الخفجي وحفر الباطن.

لم تزل نظرية الصاعقة المفاجئة تطغى على غيرها في الحديث عن يوم الاجتياح ربما لنفي المسؤولية عمن لم يستشعر عن قرب خطراً أقرب أو لتبرير مرحلة التحالف الخليجي مع بغداد في الفترة مابين عامي ١٩٨٠ . ١٩٩٠ ولا يجد أتباع هذه النظرية صعوبة في جدل القناعة والاقناع مادام معروف عن قرار صدام حسين انه عشوائي ومرتجل.

قد يكون هذا صحيحاً الى حد لكنه ليس صحيحاً في كل الحدود وقد لا يطرد قياساً عاماً ولا يصح بالتالي أن يكون الثاني من آب ضرباً من ضروب الانفجار وفجراً من فجور الانفعال.

ان سياسة صدام حسين الكويتية متئدة متأنية مبرمجة والرجل أضاء على خلاف أسلوبه المعتم أنواراً ليست خافتة وأجرى اختبارات مبكرة على مدى ربع قرن لكن الكويتيين كانوا يتصرفون وكأن تلك الاختبارات لم تكن تستهدفهم مادامت ممدودة على أرض أخرى وفوق شعوب أخرى، رغم أن العديد من اختبارات الضم جاست رمالهم لاسيما في السبعينات.

ففي السنوات الاولى لركوب الحزب الحاكم ظهر السلطة العراقية كانت حركة صدام حسين خارج حدوده محكومة برجل محلي هو أحمد حسن البكر المتعهد الأول بالاعتراف الكويتي ورجل عربي هو جمال عبد الناصر الذي أرسل قواته الى

الكويت لمواجهة محاولة الضم الثانية عام ١٩٦١ وبرجل اقليمي هو الشاه محمد رضا بهلوي التي كشفت صفحات من هذا الكتاب جوانب من الوشائج السرية باعتباره ضلعاً في مثلث جورج براون.

ومات عبد الناصر أولاً فبدأت زعامة عربية في الجوار الغربي للعراق تشق طريقها فيأخذ الرئيسِ السوري حافظ الأسد مكانه العربي، لكن صدام حسين حاول وسعى وعَمِلَ بجد على تسويق رؤية عربية تجعل العلاقة مع الرئيس السوري سلماً وحرباً ايجاباً وسلباً مجرد نتاج لعلاقة حزبية وشدد في خطابه على طبيعة الصراع النوعي لكي لا يخرج الرئيس الأسد الى محيطه العربي خروج عبد الناصر.

الى هذا.. لم يكن مستحيلاً عليه رغم أنه محاط بأكثر من رجل أن يضع صوىً على خارطة الضم.

كانت اولى الصوى متأثرة بالعلاقات الناشئة التي امتدت خيوطها الى معارضين كويتيين فحمل التحريك الأول للمسألة الكويتية المخضرمة مايشير الى مبادىء سياسية لا علاقة لها بالأرض أو بالجزر وجعل صدام حسين شرط ترسيم الحدود مع الكويتيين مرتبطاً بمدى ماسيتخذونه من مبادرات على صعيد وطني وقومي، ولم تكن الحكومة الكويتية قد وضعت في الحسبان أن هذا الشرط كان من شروط المعارضة الكويتية التي كانت وصاياها للجانب العراقي تشدد على الربط بين الترسيم كورقة ضغط لصالحها، والمبادرات الوطنية والقومية وهي تعبير فضفاض. أما الخطوة أو الاختبار الذي أخذ بعداً أوسع، فقد تمثل في مشروع حمله الى الكويتيين وزير الخارجية العراقي مرتضى سعيد عبد الباقي[1] في زيارته للكويت أوائل شهر أيار ١٩٧٢ ويتناول[2]:

١ . التنسيق السياسي بين الكويت والعراق.

٢ . استخدام رأس المال الكويتي في العراق.

---

(١) اسمه قبل أن يستوزر هو مرتضى الحديثي، جرى اعتقاله وقتله في السجن عام ١٩٨١ للتفاصيل عنه راجع كتابنا: العراق: دولة المنظمة السرية ص ١٨١ .

(٢) ترسيم الحدود الكويتية العراقية. اشراف د. عبد الله يوسف غنيم. مركز البحوث والدراسات الكويتية ط٣ ـ ١٩٩٤ ص ٦٦ ـ ٦٧ .

٣ . السماح بتنقل الأيدي العاملة العراقية في الكويت.

٤ . تعاون دفاعي مشترك.

٥ . ايجاد مناطق استراتيجية للعراق في الكويت.

ان فقرات من هذا المشروع لو تعامل الكويتيون معها بروح ايجابية لكان من الممكن أن توقف شيئاً من جنوح الضم على الأقل بالنسبة لمن كان سيؤيده من المواطنين العرب دون أن أدعي أن صدام حسين كان سيكتفي بهذا القدر أو ذاك باعتباره من أبرز دعاة الضم الكلي.

أما ثاني الصوى فكانت هذه المرة على الأرض مخفراً للشرطة يدعى الصامتة اذ اجتاحت قوات عراقية في العشرين من نيسان ١٩٧٣ مركزين من مراكز الحدود احدهما الصامتة فقتل شرطي كويتي وتحول يوم تشييعه الى مظاهرة شعبية. لكن القوات العراقية انسحبت لاحقاً، وتفسر المصادر الكويتية عملية الصامتة بكونها رد فعل على فشل المشروع العراقي وتفسر الانسحاب من المواقع التي احتلتها القوات العراقية بحصول العراق على قرض كويتي كبير.

لكننا نعتقد ان حادثة الصامتة لم تكن رد فعل لذلك المشروع اذ المعروف أن ردود الأفعال العراقية لا تظهر عادة بعد هذه المدة الطويلة وانما هي مثال على السياسة المبرمجة التي اتبعها صدام حسين في المسألة الكويتية ولم يكن القرض سبباً في الانسحاب بقدر ماكان تعبيراً عن سياسة التقدم والانثناء التي أشرنا اليها قبل قليل.

وفي عام ١٩٧٥ وبعد توقيع صدام حسين على اتفاقية الجزائر وتنازله عن نصف شط العرب لايران عرضت حكومة بغداد على الكويتيين تأجير جزيرة بوبيان فرفض الكويتيون العرض.

ربما استبشرت الكويت بانفراد صدام حسين بزعامة السلطة والحزب في العراق والغاء الميثاق الوحدوي مع سوريا وشن الحرب على ايران مما يعني أن الخطر قد غادر حدودها الى داخل الأراضي الإيرانية، ولم يكن واضحاً لديها حتى وقت متأخر ان الحرب العراقية الايرانية لم تكن سوى صفحة في الملف الكويتي وان صدام حسين ومن قدّم له مشورة الحرب لم يكن يستهدف ضم جزء من الأراضي الايرانية أو حتى تحرير شط العرب من مبدأ المناصفة مع ايران.

ان السياسة العراقية مابين عامي ١٩٨٠ . ١٩٩٠ توشك أن تكون بصراعاتها ومسوّغات الصراع وبمشهدها اليومي ومبررات المشهد ميداناً للتدريب على ضم الكويت وهضم مسوّغاته وتسويقها عربياً.

وان جاذبية المشهد العراقي استُخدمت ذاتها لصياغة خطاب الاجتياح ونجح صدام حسين في تشكيل قواعد مستقبلية للضم حتى ليبدو المشهد الذي ينجذب اليه الكويتيون اليوم هو المشهد الذي سيذبحون به لاحقاً.

كان القتيل المنتظر سعيداً تحت خيمة الخلاص الأخير مع البطل الذي أبعد الخطر عن شقيقه الأصغر الى جاره الأكبر!

وعندما تستعرض سلسلة من المشاهد والاحداث والمواقف التي انجذب اليها الكويتيون والخليجيون، نقدر تماماً رد فعل سلبي ناجماً عن الخضوع لنظرية تنزيه الذات، وهي من النظريات السائدة بمنطقة الخليج كما هي سائدة في الانظمة الراديكالية.

بينما لا تراعي شروط البحث العلمي تلك الأمزجة مثلما يراعيها الاعلاميون والدبلوماسيون، وقد يتجاهل هذا الكتاب تلك القاعدة ، ولا يُلزم مباحثه وفصوله بتنزيه الذات، كويتية كانت أم عراقية أم خليجية.

مبدأ كسر الاتجاه

كان الوطنيون العراقيون يسقطون على الأنظمة السابقة مثالب السياسات القهرية لا تلك التي يقرأون عن بعضها في الصحافة السرية بل أيضاً عمّا يتسع خيالهم لقبول الأساطير وما يتحدث به الرواة على المنابر.

ومن يطالع النتاج الفكري للأدبيات الوطنية العراقية سيلتقي بتصور أخذ مداه عند معظم المفكرين والسياسيين والأدباء ممزوجاً بشعور وقناعة ان أسوأ من الحكومة التي يعارضونها قد لا تظهر مرة ثانية.

وللانصاف فان واقع الحال لم يكن على الصور البلاغية التي عرضها الشعراء

ولا كان مطابقاً بنسب عالية مع ماتتحدث عنه المنشورات السرية مع وقوع القمع وسوء الإدارة واستغلال النفوذ واحتكار فئة صغيرة للسلطة في معظم تلك العهود السابقة.

أما صدام حسين فلأنه عمل في المعارضة السرية وقرأ المناشير وعرف طرق التشهير السياسي فقد تحصن منها باللجوء الى مبدأ الاسقاط وكسر الاتجاه، ولعله أمعن في توسيع دائرة العمل بكسر الاتجاه فهو بدلاً من أن يكون هدفاً لانتقادات شعبية محلية وعربية لتسليمه الايرانيين نصف شط العرب وأن يعرض على محاكمات سياسية وثقافية واعلامية بسبب هذا التفريط اصطنع لمنتقديه وأتباعه على السواء هدفاً قد تستملحه العيون وأي هدف أروع من اعادة الأرض الوطنية المسلوبة بآبارها العملاقة ومصارفها وخزائنها وحتى صحفها ومطابعها وعربات أقسم صدام أن يجعل سعر الأميركية منها بسعر النعجة في بغداد!..

وبأقل من ساعات أطلَّ صدام حسين المتنازل عن الأرض والمياه العراقية وكأنه البطل الذي يدخل الحروب لتوسيع الأرض الوطنية والمياه الاقليمية فيكون للعرب بدلاً من النصف النهري المفقود في اتفاقية الجزائر ممرات مائية بين وربه وبوبيان وميناء الأحمدي.

كان الالتفاف على الكويت ثاني محاولة كبيرة في سياسة كسر الاتجاه بعد المحاولة الكبرى والتي أيدتها مؤسسة الاعلام العربي الخليجي بتحويل مجرى الصراع العربي الاسرائيلي الى صراع عربي فارسي خلافاً لتقاليد وأعراف العمل العربي بل وخروجاً على أدبيات الحزب الحاكم وقواعده السياسية التي كانت تغري الأجيال بأن قضية فلسطين ليست قضية مركزية بل هي القضية المركزية وأن كل محاولة لجعل الصراع العربي الصهيوني ثانوياً هي محاولة من صنع الرجعية العربية وقوى الاستعمار والصهيونية العالمية. لكن الحزب الحاكم (بقيادته التاريخية) المستوطنة في بغداد وبأمينها العام ونوابه وأمينها القطري وفروعه يستحدثون صراعاً جديداً ضد دولة مجاورة لكي يصبح صراع العرب الأول على حساب القضية المركزية.

وكما استخدمت سياسة كسر الاتجاه من الصراع العربي الاسرائيلي الى صراع عربي فارسي يمكن أن تستخدم ذات السياسة في تحويل مجرى النضال الوطني

العراقي من كفاح دامي طويل من أجل الحياة الدستورية واقامة نظام متعدد وتوزيع عادل للثروة القومية والغاء أو تقليص المؤسسات الاستخبارية والأمنية ومن دعوة وطنية عامة لأن يصبح العراق عراقياً محكوماً بأهله وابعاد سلطة القرية التي لا ماضٍ مشرف لها ولا حاضر سعيد الى اتهام حكومة اخرى وزعامة أخرى واقتصاد آخرَ بمسؤولية ماحدث ويحدث للعراقيين.

هكذا يكسر مجرى النضال ويصبح الشيخ جابر الأحمد وليس صدام حسين والشيخ سعد العبد الله وليس عزت الدوري هدفاً لنضالنا الوطني.

في سياسة كسر الاتجاه تصير عائلة آل صباح وليس عائلة تكريتية نازلة من القرى المعزولة سبباً من أسباب الشقاء والشتات والحرب والدمار.

كم كان التاويون الصينيون قبل أكثر من ألفين وخمسمئة سنة صادقين:

الكلمات الجميلة ليست صادقة

الأخيار يتجادلون. والذين يتجادلون ليسوا أخياراً.

الذين لا يعرفون ليسوا متعلمين. والمتعلمون لا يعرفون"[1].

مبدأ الغاء التوقيع

خلال ربع القرن الماضي شهدت طاولات التوقيع صدام حسين وهو يخط بقلم على اتفاقات ومعاهدات محلية وعربية واقليمية.

وعند حاكم مثله وعلى نمطه الديكتاتوري لا يجري التوقيع بصمت وان كان قد زاول التوقيع السري على اتفاقات ستظهر في حينها.

ولأنه زعيم منظمة سرية أو (شعبية) فان خروج مظاهرات تهتف للتوقيع سيكون واجباً وطنياً على قاعدة اشراك الجماهير، وعدسات التلفزيون شاهدة.

وهكذا خرجت مظاهرات صاخبة بعد توقيع صدام حسين على بيان ١١ آذار

(١) للفيلسوف لاوتسه. راجع كتاب التاو لهادي العلوي ص ٧٩ دار الكنوز الأدبية.

١٩٧٠ مع الزعيم الكردي مصطفى البارزاني. وأقيمت احتفالات جبهوية بعد توقيع ميثاق الجبهة الوطنية مع الحزب الشيوعي العراقي في عام ١٩٧٣ ، وكانت مثل هذه المظاهرات قد خرجت بصخب أعلى بعد توقيع صدام حسين مع الشاه محمد رضا بهلوي على اتفاقية الجزائر ١٩٧٥ ، وفي عام ١٩٧٨ ظهر صدام حسين أكثر حماساً لتوقيع العراق مع سورية على الميثاق الوحدوي.

وفي شباط ١٩٨٩ وقّع صدام حسين مع الرئيس حسني مبارك والملك حسين والرئيس علي عبد الله صالح على اتفاق مجلس التعاون العربي، وأعقبه بعد خمسة أسابيع في التوقيع مع الملك فهد على ميثاق عدم اعتداء بين البلدين في آذار ١٩٨٩ .

وكما ينعقد حفل خاص للتوقيع، ينعقد حفل أوسع ليوم الغاء التوقيع. وقد تسحب ورقة التوقيع الأصلية مع شهودها من الزعماء ورجال الدولة وتمزق علناً كما حدث في اتفاقية الجزائر. أو يكتفى بتدبير عمل سيكون من نتائجه الغاء التوقيع عملياً كما حدث مع اتفاقية آذار في محاولة اغتيال الطرف الكردي الموقّع.

أو يلغى التوقيع باعدام عدد من أتباع الشريك الآخر في الاتفاقية كما حدث في اعدام أكثر من عشرين عضواً منتمياً الى الحزب الشيوعي العراقي الحليف.

واستخدمت الطريقة الأخيرة ذاتها في اعدام حزبيين بارزين اتهموا بالترويج للميثاق الوحدوي مع سورية.

ان الغاء التوقيع مبدأ في سياسة صدام حسين.

فاذا كان بامكان هذا الرجل أن يلغي نفسه وتوقيعه ولم يمض أكثر من عام أو عامين أو خمسة أعوام بعد على حفل التوقيع فما يمنع الرجل من أن يلغي توقيع رجل غيره وان كان من حزبه وقد مضى على التوقيع ٢٧ عاماً، هي المدة التي انصرمت منذ أن وقع الأمين القطري للحزب ورئيس وزراء العراق اللواء أحمد حسن البكر في الرابع من تشرين الأول عام ١٩٦٣ اعترافه بالكويت الى جانب توقيع رئيس الوزراء الكويتي الشيخ صباح السالم الصباح.

من مفارقات التوقيع أن أحمد حسن البكر التكريتي انفرد بهذا الاعتراف عن جميع رؤساء الوزارات الملكية والجمهورية، وأن ينفرد صدام حسين التكريتي بالتوقيع على اتفاقية التنازل عن نصف شط العرب للشاه الفارسي فيما لم يجرؤ على ذلك أي رئيس وزراء أو مسؤول عراقي في العهدين الملكي والجمهوري وان

يكون مبدأ الغاء التوقيع سبباً يستخدمه صدام حسين لاعلان الحرب على ايران لمدة ثماني سنوات تنتهي بعودته الى التوقيع، وأن يتم اجتياح الكويت وتعلن الحرب وتدمّر الثروة البشرية والقومية للانسان العربي في القطرين وتنتشر أشلاء الجنود طعاماً للسباع قبل أن يعود للتوقيع على الاعتراف الكويتي.

الكويتيون سياسة واعلاماً ومؤسسات ووجدانات مختلفة اتفقوا على حق الرئيس العراقي بالغاء توقيعه على اتفاقية الجزائر تمهيداً لدخول الحرب ضد الايرانيين الذين كانوا يحتفلون بالشهور الاولى لسقوط الشاه كماأيد مبدأ الغاء التوقيع دول ومنظمات عربية أخرى ولم يكن أي منهم غافلاً عن النتائج التي ستترتب على الغاء اتفاقية حساسة كاتفاقية الجزائر بل لعل مؤيدي سياسة الرئيس العراقي كانوا يشتركون معه بانتظار النتائج الطيبة لالغاء الاتفاقية تمهيداً أو تبريراً لحرب تستهدف الغاء ثورة وسلطة وتاريخ.

وعندما استخدم صدام حسين المبدأ نفسه في الغاء توقيع رفيقه السابق وشريكه في السلطة وقريبه في القرية الرئيس أحمد حسن البكر على وثيقة الاعتراف الكويتي الموقعة في الرابع من تشرين الأول ١٩٦٣ ، كان من الطبيعي أن تظهر على الأرض الكويتية نتائج مماثلة لتلك التي كان منتظراً أن تحدث في ايران فاكتشفوا أن مبدأ الغاء التوقيع كارثة قد تقود الى الغاء دولة وشعب وليس سلطة فحسب. فلماذا يستغرب الكويتيون مما حدث وكيف يجوز لهم الحديث عن الغزو المفاجىء والصاعق وهم الى ماقبل يومين من الاجتياح كانوا مسجلين في لائحة الاسناد والتأييد لمبدأ الغاء التوقيع؟.

ان حق الاستغراب وحق اللوم والاستياء والسخط قد يكون من نصيب أولئك الذين عارضوا اتفاقية الجزائر وعارضوا الغاءها مقدمة لدخول الحرب.

مبدأ اشعال الحرائق

في الأيام الاولى للحرب العراقية . الإيرانية صوبت قذيفة عراقية من الجانب الأيمن لشط العرب مستودعات النفط العملاقة في مصافي عبادان الايرانية، ولم

يحاول الايرانيون اطفاء الحرائق حتى انصهرت صهاريج الصلب عن آخرها.

كان مشهد النيران المشتعلة في المستودعات الايرانية يُثير شعوراً بالارتياح والشماتة في الجانب الآخر، وكأن نجاحاً عسكرياً قد تحقق فيما لم تتطلب هذه العملية البسيطة أكثر من قذيفة مدفع لمدى أقل من كيلومتر واحد. ولم تُخفِ أجهزة الاعلام الرسمية التي تعكس بدقة سايكولوجية صدام حسين فرحتها الغامرة فظهرت عبارة على شاشة التلفزيون.. نيران عبادان تضيء شط العرب.. وكانت هذه الجملة تتكرر في كل يوم طيلة اشتعال الحرائق في عبادان ولعل أكثر من عمود في صحف عربية لاسيما في الخليج قد خصص مكاناً لهذه العبارة المبهجة.

ان عسكريين قد درسوا عند انشاء تلك المستودعات الضخمة ومعامل التكرير في عبادان احتمال تعرضها لخطر عسكري من الجانب العراقي المقابل لها في الضفة الغربية للشط لكنهم ردّوا بأن ذلك لن يحدث مادامت آبار النفط ومستودعاته العراقية هي الأخرى على مرمى المدفعية في منطقة الشعيبة في البصرة. وعند العسكريين ان تقارب الأهداف الاستراتيجية المهمة بين الجانبين كفيل بحمايتها وابعاد الخطر عنها.

ان لمصافي عبادان هذه دوراً في تاريخ الصراع العربي - الإسرائيلي ولها اسهامات مشهودة في امداد آليات الحرب الاسرائيلية بالوقود سواء في حرب ١٩٥٦ أم حرب ١٩٦٧ ، لكن دورها في حرب تشرين ١٩٧٣ كان من أخطر الأدوار التي نهض بها الشاه محمد رضا بهلوي في سياسته المعادية للعرب، اذ ان يعوض أسواق النفط بمضاعفة انتاجه في الوقت الذي رفع العرب شعار النفط سلاحاً في المعركة.

واستمرت الامدادات السرية من النفط الايراني المكرر الى اسرائيل حتى قيام الثورة الايرانية وسقوطه في عام ١٩٧٨ .

ان الملفت للانتباه أن الأحزاب والمنظمات القومية والثورية التي ظهرت في العراق أو التي تعاونت معه فضلاً عن بدء العمل الفلسطيني مطلع السبعينات لم تفكر في "عملية تخريبية" ضد منشآت عبادان انتقاماً للخسائر العربية في تلك الحروب أو تأديباً للشاه المساند لإسرائيل علماً ان شروط العملية متوفرة فغابات النخيل الكثيفة وعدم خضوع المنطقة الى رقابة شديدة وسهولة الوصول الى الهدف

العسكري تجعل من احتمال قيام عمل انتقامي ضد مصافي عبادان أمراً في متناول اليد لاسيما وان الفدائيين الفلسطينيين كانوا يبحثون عن أهداف لهم في دكاكين السياحة اليونانية والنايجيرية لتخريبها.

ان أحداً من تلك المنظمات والقوى لم تفكر بهذا الهدف المكشوف طيلة أربعين عاماً حتى اذا توقفت مصافي عبادان بعد سقوط الشاه عن امداد اسرائيل بالنفط صوبت نحوها قذائف حارقة فأضاءت نيران عبادان شط العرب.

ومادام الرئيس العراقي قد جرب فكرة اشعال الحرائق في مستودعات النفط واستمتع بمشهد النيران على مياه الشط، فلماذا لا يكرر التجربة وقد دخل الى الكويت فيشعل الحرائق في آبار النفط لكي تضيء نيران الأحمدي مياه الخليج.

ولماذا لم تكن حرائق عبادان انذاراً لحرائق عربية مادام لهيب الرئيس لا ينطفىء الا بلهيب الآبار؟

هوية الخصم

هل نجح صدام حسين في صناعة هويات يمنحها مرة لخصومه ومرة لحلفائه سواء كان الطرف الآخر مستعداً فعلاً لحمل هذه الهوية أم متبرأً منها؟.. فقد اعتاد الرجل على توزيع بطاقات الهوية لدول وشعوب ومؤسسات ثم لا يلبث أن يوظف هوية الخصم لتجميع شرائح اجتماعية وتيارات سياسية ماكان لها أن تتفق على سياسته لكنها ستتفق على مناوأة الخصم بسبب هويته التي أبرزها وفصلها وجسمها اعلامه الصاخب.

فالذين يحاربهم ليسوا ايرانيين وانما هم فرس عندما يكون المخاطب قومياً عربياً متحمساً. وهم شيعة عندما يكون المخاطب من المعنيين بشؤون الملل والنحل.

وان معارضيه في الداخل هم ليسوا شعباً من العرب والأكراد والسنة والشيعة انما هم شيعة وأكراد.

وبالهوية الشيعية للخصم حاول أن يجسم صورة البطل السني وبالهوية الفارسية للخصم ارتدى صدام حسين ثياب البطل القومي العربي.

يقول باحث كويتي[1]:

دفعت الحرب العراقية . الايرانية بالبعد الطائفي الى المقدمة، وانعكس ذلك بشكل بارز على الانتخابات الكويتية، فعندما أعلنت ايران نفسها كدولة شيعية ترتب على ذلك أن أخذ العديد من أوساط السنة بالكويت ينظرون للعراق كحامي للسنة. حيث أنه حالما يخسر العراق الحرب فانه سيتحول بالضرورة الى دولة شيعية، وبالتالي يكون ابتلاع وسقوط الكويت في هذا الاتجاه سهلاً. فلذا كان من لا يعطي دعمه الكامل للعراق بدون تحفظ كان يقف مع ايران في الصف نفسه، مما أدى الى شن هجوم عنيف ضد مجموعة المعارضة التقليدية وخسرت بسببه الانتخابات، لعدم تأييدها لصدام حسين في حربه ضد ايران.

ومن الانصاف، أن خطاب المعارضة العراقية لم يكن قاسياً، بل لم يكن متناسباً مع قسوة الخطاب الكويتي ضدها. وسبب ذلك أن المعارضة العراقية، كانت تقدر تماماً مأزق الحكومة الكويتية في الحرب العراقية الايرانية، وعدم قدرتها على الوقوف بوجه السياسة العراقية. لكن ذلك لا يعني أن تستسلم السياسة الكويتية لمفردات السياسة العراقية، وتنوب عنها في مقاتلة الغير. ويتحمس الاعلام الكويتي للقرار العراقي، بما يفوق أحياناً حماسة المؤسسات الحزبية والاعلامية في العراق.

وفي سياق أقرب الى العتاب والحذر، كنتُ شخصياً أوجه رسائلي الصحفية وكتاباتي الى المسؤولين الكويتيين.

ففي ١٧/ حزيران (يونيو)/ ١٩٨٥ ، وفي أعقاب حملة شرسة للاعلام الكويتي والأمن الكويتي ضد العراقيين المقيمين في الكويت، ممن وضعت عليهم أجهزة الأمن في السفارة العراقية اشارات حمراء، وجهتُ في عمود صحفي بعنوان: "الكويت الى أين" مايشبه الرسالة، والتي على قصرها تختصر نظرتنا الى المأزق

(١) د. غانم النجار، مدخل للتطور السياسي في الكويت ١٩٩٤ دار قرطاس للنشر والتوزيع، الكويت، ص ١١٣ .

الكويتي قائلاً:

"بعد محاولة اغتيال أمير الكويت، استشرست أقلام تغذيها الصفقات التجارية لنظام صدام، وتحولت العقلانية الكويتية الى حالة من فقدان التوازن المنطقي والسياسي، مما قد يثير اشكالات أمنية جديدة لهذا البلد، وفقاً لمخطط صدام في وضع الكويت داخل حلقة النار... والمطلوب من الحكومة الكويتية أن تستعيد عقلانيتها، لمعالجة وضعها الأمني بعيداً عن محاولة توريط جديدة لها. ونحن نعتقد أن أهم انجاز أمني يحمي الكويت، هو ابتعادها عن مخطط صدام، وليس عن طريق اجراءات فاشيستية وعنصرية وطائفية يراد اتخاذها ضد المواطنين، أو المقيمين في الكويت.

ان سلامة الكويت ليست في مخطط أمني معين، لأن مثل هذا المخطط لن يبعد أية دولة عن أن تقع في الفخ، وانما في الخروج من الإطار الذي وضعت السياسة الكويتية نفسها فيه، والذي أدى الى هذا التدهور الأمني. وان أية معالجة، انما تبدأ بالمقدمات وليس بالنتائج، والذي يظهر أن حكومة الكويت مشغولة بمعالجة النتائج دون وعي الأسباب. وهو ماسبق أن حذرنا من مخاطر السقوط فيه في افتتاحيتنا في العدد ٣١ الصادر في ١١ آذار (مارس) ١٩٨٥ والمعنونة (هجمة الكويت الخامسة)[1].

ومن المؤسف أن تجري عمليات مطاردة المعارضين العراقيين تحت لافتة طائفية لا تتأخر عن كشف هويتها التي لا تتصل بوعي قومي أو وطني، ولم يكن من الصعب على سفير كويتي، أن يكتب في جريدة كويتية مقالاً بعنوان (معركتنا ضد الشيعة فارموا بهم الى قعر البحر).

وكانت المعارضة العراقية قد أشارت الى هذا المقال الذي كتبه الاستاذ أحمد عبد الله حسين وقال فيه:

"ان المشكلة الحالية التي تواجه الحكومات العربية تأتي من مصدر واحد، هم الشيعة. وقد آن الأوان لتوجيه ضربة قاصمة لهم ورميهم في البحر أو وراء

(١) جريدة التيار الجديد ، ١٧ حزيران ١٩٨٥ ، العدد ٣٧ ، المقال المشار اليه (هجمة الكويت الخامسة) وستجده في ملحق هذا الكتاب

الحدود. "

وأضاف في مقال نشرته له جريدة الأنباء الكويتية أن الشيعة في البلاد العربية يشكلون الخطر الأساس على الأمة، فعلى الشعب العربي الاستعداد لدخول المعركة الحقيقية ضدهم.

هذا ولم يظهر رد فعل من الخارجية الكويتية ازاء هذه التصريحات، مما قد يعني أنها تعبر عن وجهة نظر رسمية، باعتبار المتحدث من السفراء البارزين في وزارة الخارجية الكويتية[1].

ومن المفيد مادمنا غارقين في "البحر الشيعي" الإشارة الى أن رغبة المرحوم عبد الله حسين، "لو نُفذت" فسيكون العراق بلد الأقلية العربية. اذ يشغل الشيعة العرب ٧٥ بالمائة من مجموع الشعب العربي في العراق[2]، ويشغل الأكراد ٢٠ بالمائة، والتركمان والأقليات الأخرى ٥ بالمائة. وبهذا سنسلم العراق بعد أن يخلو من الشيعة، الى أغلبية غير عربية.

والى ذلك كله، فقد ثبت خطأ هذا الاستنتاج. وظهر للكويتيين أن المعركة لم تكن كذلك، وان الثاني من آب قد أوصد الأفواه الطائفية بالزفت المحروق في ميناء الأحمدي.

من جانب آخر فلم يوضح السفير الأديب المرحوم عبد الله أحمد حسين آلية مشروعه للإبادة الجماعية للشيعة في البلاد العربية وفي المنطقة التي تعرضت مرتين خلال خمسمائة عام لمشروع الإبادة الطائفية.

كانت الاولى على يد جلاد متمرس، هو الشاه اسماعيل صفوي الذي أوعز في الأعوام الأخيرة من القرن الخامس عشر الميلادي الى أتباعه، بقتل كل سني في ايران، مالم يعلن تشيعه، ويسب الشيخين، الخليفة الأول والخليفة الثاني علناً. فارتكبت واحدة من أكبر المجازر الطائفية في التاريخ.

وحدثت الثانية بعد خمسة عشر عاماً على الاولى، عندما أحصى السلطان سليم الأول الذي يلقب ياووز - وهو أحد ألقاب الجلادين - اعداد الشيعة في

(١) التيار الجديد، ١٩٨٨/٨/١٧.

(٢) من مجموع عرب العراق، وأن ٢٥ ٪ هم عرب سنة.

تركيا، ولما قيل له، انهم يبلغون سبعين ألفاً، أرسل سبعين ألف مسلح، لكي يقتل كل واحد، منهم واحداً من الشيعة. فانتهت العملية بقتل نصف العدد فيما فرّ الآخرون الى الصحراء والجبال.

لم يذكر السفير الكويتي كيفية ابادة عشرة ملايين عربي يعيشون في جواره العراقي، وهم من قبائل أسد وكعب وتميم المتمرسة في القتال؟! وهل ستنتظر تلك الملايين حافلات السفير لتأخذهم من هناك الى قعر البحر؟

وعلى أية حال، فالصراع لم يكن طائفياً، ولا عنصرياً، بقدر ماكان تعبيراً عن مشكلة كبيرة واجهت السياسة الاميركية والغربية في الخليج بعد الانسحاب البريطاني، وسقوط الشاه، وظهور تيارات متطرفة في مواجهة الغرب.

ان القتل الطائفي ظاهرة غير عربية، وهي عندما تحدث على أرض عربية، فانها لابد أن تكون فعلاً من الخارج الأجنبي، وتركياً في التاريخ.. وغربياً في الحاضر.

ربما لأن العروبة كانت مستقرة في الوجدان الشعبي بدرجة أمتن وأرسخ من الولاءات الأخرى. ولم يحدث الخلل الا عندما تحولت العروبة الى مشروع قومي سلوي، استطاع، بقوة السلطة والرغبة في احتكارها أن يستدير بفوهة "النضال القومي" من مواجهة تحديات العصر الامريكي الصهيوني المشترك، الى بؤرة صراع آخر، وان يسوق موقفه الى بعض العرب خارج العراق، فبرزت اتجاهات طائفية حادة، لكنها ظلت محصورة بنطاق ضيق.

وحول سُنية صدام حسين، ناقش مندوبون عن الأحزاب والحركات السياسية المعارضة، وبتياراتها الاسلامية والقومية والكردية والماركسية والليبرالية في اجتماع عُقد في أيار ١٩٩٢ بدمشق للجنة العمل المشترك، هذه المسألة فأصدروا التوضيحات التالية:

١ . ان الحملة التي شنها صدام ضد الشيعة، لا تعني انه يمارسها من موقع كونه سني المذهب، "باعتباره يفتقر الى الولاءات الاجتماعية والدينية".

٢ . ان هذه اللعبة خطرة، لأنها قد تنطلي على بعض الجماهير السنية حتى تشكل غطاءً سياسياً للنظام.

٣ . كما انها قد توحي للادارة العسكرية السنية، انها ستبقى على غيّها

بالتوجس الطائفي، والتزام جانب الحفاظ على صدام حسين.

٤ . قد تنطلي هذه الادعاءات على بعض الحركات الاسلامية في العالم الاسلامي، والتي تورطت في تأييد صدام حسين في غزو الكويت مما يجعلها على موقفها المتعنت السابق.

٥ . قد تداعب الادعاءات الطائفية لصدام حسين مكامن الرضا في مؤسسات اقليمية تتوجس من الشيعة.

٦ . وتستثير المخاوف الدولية من الحالة الشيعية.

ويقول التقرير الصادر عن الاجتماع ان تشخيص هذه الحالة ذات الدوافع الطائفية من قبل النظام وما يترتب عليها من آثار قريبة وبعيدة الأمد على طبيعة الشعب العراقي، ومحاولة حث الخطى، لكبح جماح الفتنة الطائفية، لا يعني بالضرورة أن تتحول لجنة العمل المشترك، وهي تنظيم ائتلافي للمعارضة العراقية، الى المنحى الطائفي، كرد فعل وانما تعني موضوعياً انها ليست حاجة ضرورية ملحة طفحت على السطح السياسي العراقي، استمراراً لنفس الظاهرة التي مورست ضد أبناء شعبنا الأكراد في الشمال، أو أية ابادة تتعرض لها أية شريحة اجتماعية.

ان الانجذاب السني نحو صدام حسين هو تعبير عن نجاحه في استثارة الهوية الطائفية ضد الخصم. وسينجح مرة ثانية عندما يستدير الى الكويت مستخدماً مبدأ هوية الخصم لاثارة صراع يستقطب فيه أجزاء كبرى من الشارع العربي والاسلامي المناوىء لهوية خصمه الكويتي - الخليجي مثلما استقطب السنة العرب والمسلمين ضد الشيعة من العرب والايرانيين. لكن هوية الخصم تتسع لمديات أقصى مما هو طائفي وصراع الطبقات أنبل وأشمل فاذا مانجح الرجل في استثارة الصراع الطائفي المنبوذ وكسب الخليج وسنة الهند وباكستان والأردن والسودان فأي مدى شاسع من التأييد للبطل الفقير الذي يخوض معركة بقاء ضد الأثرياء من أجل اعادة توزيع الثروة العربية؟

وتتقبل هوية الخصم الكويتي والخليجي المزيد من الاضافات والتفاصيل الممزوجة بالصحيح والكذب عن سلوك أثرياء النفط. ولم يتورع صدام حسين عن تبني خطاب يثير نوازع الحقد والحسد والنقمة ضد أثرياء النفط في دول الخليج،

ففي ندائه يوم ١٩٩٠/٨/١٠ أي بعد يومين من الاجتياح يقول صدام حسين:

وهكذا أصبح تحرير الكويت ووحدتها مع أمها العراق هو معركة العرب ككل. انها معركة التحرر من الجوع والعوز والاطلالة على حياة عزيزة مرفهة بعيدة عن الذل والمسكنة قريبة من الله وأحكامه بل في أحكام الله في تطابق تام..

انها المدخل ليحترم الأجنبي حقوق العرب وأن يستجيب لها في كل مكان. انها المدخل الذي يساهم مساهمة عظيمة في تقوية الأرضية التي يقف عليها شعب الجارة وما يناضل ويجاهد من أجله الفلسطينيون والعرب.

وينحدر في خطابه لاستثارة الشارع العربي ضد دول الخليج الى مستويات تشكل سوابق خطيرة عندما تخرج عبارات كالتالية على لسان رئيس دولة اذ يقول صدام حسين في الخطاب نفسه:

"وثوروا على من يقبل أن يتعرض أمراء البترول للنساء العرب بالسوء ويدفعونهن الى الفحشاء. قولوا للسماسرة من الحكام وهم يمارسون دورهم هذا في خدمة الأجنبي أو يمارسون السمسرة في خدمة أمراء البترول على نساء العرب.. وقولوا للخونة ان لا مكان لهم على أرض العرب بعد أن فرطوا بحقوق الشعوب وأهانوا الكرامة والشرف. أحرقوا الأرض تحت أقدام المعتدين الغزاة الذين يريدون بأهلكم شراً ليعم شرهم الوطن العربي بعد ذلك وليسكت الى حين صوت الحق في الأمة العربية.. بعد أن يمنوا النفس خاب فألهم باسكات صوتكم في العراق.."

وفي اذاعة بغداد الرسمية يبث الخبر التالي:

ان وزارة الدفاع (البنتاغون) قامت بارسال مئات من النساء المصريات لتلبية رغبات الجنود الأميركان[1].

وتنشر صحف بغداد ان مئات الكنائس شيدت بالسعودية من قبل الأميركان، وتقول جريدة الثورة العراقية ان مسؤولين في الخليج مصابون بالايدز[2].

وفي شهر تشرين الثاني ١٩٩٠ استدعى برزان التكريتي عدداً من الشرطة السرية

(١) اذاعة بغداد، نشرات الاخبار /آب ١٩٩٠ .

(٢) عدد ١٠ آب ١٩٩٠

الى جنيف لالتقاط معلومات وصور عما أشيع أن أميراً خليجياً سيقتني من شركة سوليس ماسة يزيد وزنها على المئة قيراط وكان قصدهم هو الحصول على أكبر قدر ممكن من المعلومات كي ينشروها في الصحافة العالمية ويبينوا أن النزاع في الخليج هو في الواقع نضال بين البلدان الغنية والعراق.

وكان عملاء للمخابرات العراقية يرصدون عن قرب أخبار ملاعب القمار لاسيما كازينو كارلتون في مدينة كان الفرنسية، والتقطوا خبراً مثيراً لا يعرف مدى صحته عن لاعب روليت خليجي خسر في ليلة واحدة ثمانية مليون فرنك فرنسي[1].

وتبنى مثقفون واعلاميون عرب نظرية الصراع الطبقي التي يقودها صدام حسين على مبدأ هوية الخصم اذ يكرس محمد حسنين هيكل في كتابه حرب الخليج هذه النظرية قائلاً ان أطراف العالم العربي تعيش في غنى لم يسبق له مثيل بينما المراكز الحضارية الكبرى في نفس العالم العربي تئن تحت وطأة الحاجة ولم يكن هذا الأمر قابلاً للاستمرار دون مشاكل بين شعوب تنتمي الى شعوب واحدة.

ان محمد حسنين هيكل يدعم مفهوماً سوّقه العراق في وقت مبكر حول علاقة النفط بالفقر اذ المعروف أن الثراء ينفجر في أي أرض تنفجر فيها آبار النفط وان النفط والفقر لا يلتقيان فاذا التقيا فلابد من خلل في السياسة الاقتصادية أو مس في الذمم المالية للمسؤولين وعلى هذا كان مفروضاً أن يجري انتقاد الدول النفطية التي أفقرت شعوبها ومنعت عنها أسباب التحضر والرفاه وليس كما يفعل الاستاذ هيكل في نقد الدول النفطية بسبب ظهور الرفاه والرخاء الى حد الاسراف على معالمها ومجتمعها وطريقة حياتها.

ولا ينبغي الحديث عن اسراف دول النفط في الانفاق والاهدار متجاوزين أوضاعاً مماثلة ان لم تكن أكثر ايغالاً في نهب وتبديد الثروة النفطية العراقية.

ان حسين كامل مجيد زوج ابنة صدام يعتبر المفتاح في كل مشتريات الدولة من السلاح فيقتطع من كل صفقة عمولة محددة، وفي عام ١٩٨٧ ارتفعت عمولته من شراء ١٢٠ صاروخاً من نوع سكود صيني الى ٦٠ مليون دولار[2].

(١) رولان باكاز. الأوراق السرية لحرب الخليج ترجمة د. محمد مخلوف ١٩٩١ ص ٧٩ .

(٢) بيير سالنجر و اريك لوران، ترجمة عزمي مخلوف. دار سفنكس، القاهرة، ص ٤١ ، حرب الخليج الملفات السرية.

والى جانب الخطاب الطبقي والأخلاقي لمطاردة الخصم في هويته يمكن كما فعل صدام حسين أن تتوسع دائرة الهوية الخليجية الى الاتجاهات السياسية والعودة لثنائية الرجعي والتقدمي وثنائية العملاء والوطنيين وقد استفاد الخطاب العراقي من اطلاق صواريخ على اسرائيل ايذاناً منه بتحديد هوية المعركة واضافة الصراع العربي الاسرائيلي الذي تخلي عنه لصالح صراعه العربي الفارسي.

ومثلما سلط خطاب التشهير على هوية الخصم شرع صدام حسين يستفيد من هوية العراق الحضارية والثقافية عبر محطاته السومرية والبابلية والعباسية فحشر الخصم الكويتي بدائرة ضيقة فيما تحولت جاذبية العراق لصالح صدام حسين الذي ورث وضعاً ممتازاً وسمعة عالية القيمة للثقافة العراقية، فمن أحب السياب صار يدافع عن مدينة السياب ومن أحب الجواهري تخيل أنها معركة الجواهري المثيرة في دواوينه ومن تعلق بمظفر النواب أوشك أن يتعلق بالجانب العراقي.

ان كل مافي السلطة والمعارضة كان يصب في صالح صدام حسين من ثورة العشرين حتى ثورة ١٤ تموز، ومن لم تغره ثقافة العراقيين فقد أغراه شارع أبي نواس وليالي شط العرب.

ان الشروط القاسية لأنظمة الاقامة وحتى للحصول على اذن زيارة وعدم وجود تسهيلات أو حتى تعامل بالمثل للعاملين العرب في الكويت وطريقة التعامل اليومي للكويتيين مع من يسمونهم بالوافدين العرب ومعاناتهم الاجتماعية والنفسية بسبب عدم تمكن معظمهم من استدعاء عوائلهم الى الكويت قد ترك تأثيراً سلبياً في نفوس معظم العاملين العرب في الكويت.

ان العربي الذي يخرج من دول الخليج بعد أن يمر بسلسلة من عدم احترام انسانيته في المنافذ البرية والجوية[1] يتحول بعد ساعة من مغادرة الكويت على

(١) ان مثل هذه المضايقات قد تواجه ضيوف الدولة الرسميين ايضاً، ففي شهر كانون الأول الماضي ١٩٩٤ وكنت في طريقي لمغادرة الكويت في المطار بصحبة موظف من وزارة الخارجية، طلب ضابط الجوازات في المطار نسخة من إذن الزيارة فأجبته بأني مدعو من الديوان الأميري وأنت تعرف اسمي وشخصي ومعي موظف خارجية بعد أن تخلف المسؤول الأول الذي كان مفروضاً أن يكون هو الآخر في توديعي في المطار فقال الضابط: أنا لا أعرف الديوان الأميري وستبقى محجوزاً في هذه الغرفة سواء أقلعت الطائرة أم لم تقلع. لكن صدفة خدمتنا فعثرت على ورقة الزيارة بين أوراق الحقيبة، فقلت له ليس العيب فيك أو في أمثالك. وإنما بأمثال من يقبلون طريقتكم في التعامل من المقيمين والزوار.

الحدود العراقية الى مواطن عراقي يقيم بلا دفتر اقامة ويمتلك داراً أسوة بالعراقيين ويفتتح محلا بما لديه من مدخرات وقد يتزوج من عراقية دون صعوبة فيحظى باحترام قانوني من جهة وقومي من جهة أخرى.

أما أبناؤه الممنوعون من حق التعليم الجامعي في الكويت ودول الخليج فلا يقبلون في الجامعات العراقية فحسب وانما يسجلون في لوائح البعثات العربية ليتمتعوا بحق السكن المجاني والمعونة الشهرية.

فكيف يمكن لهذا العربي أن لا يُستثار بنداء يصدر من العراق ضد دولة خليجية؟

كان متوقعاً بعد نكسة الاجتياح أن تأخذ أنظمة الإقامة الكويتية بأفكار ومقترحات عرضها سياسيون ومفكرون كويتيون لمنح المواطن العربي حقاً من بعض الحقوق التي تمنحها أنظمة الاقامة العراقية والسورية والأردنية الى حد احتراماً لطريقة التعامل بالمثل على الأقل.

فقد عالج البرنامج الاصلاحي لكتلة الشباب الوطني الكويتي هذه المشكلة بروح عربية مماثلة للواقع العربي في العراق وسورية والأردن اذ نصت الفقرة الخامسة من البرنامج على السماح المطلق للعرب بزيارة الكويت وعدم منع أي عربي من ذلك مهما كانت الأحوال.

وفي منتصف السبعينات أهابت وثيقة تجمع الأحرار الديمقراطيين التي نشرها الدكتور عبد الله النفيسي في كتابه الكويت والرأي الآخر[1] بالمواطنين الكويتيين أن يعملوا على التخلص من نزعاتهم الاقليمية وأن يكونوا أكثر انفتاحاً وتعاطفاً مع اخوتهم العرب بحيث تبرز صورة هذا الانفتاح والتعاطف في السلوك العام للمواطنين بما يشف عن رغبة صادقة في الاندماج والتزاوج والمشاركة في العمل واشعار العرب بأنهم يعيشون حقاً في بلدهم وبين أهلهم وطالبت وثيقة تجمع الأحرار الديمقراطيين الدولة بفتح مدارس الكويت لأبناء العرب في كافة المراحل وشمولهم بالتعليم الالزامي وأن تكون نظم التوظف العامة والخاصة قد ساوت بالحقوق والواجبات فيما بين المواطنين الكويتيين والاخوة العرب وطالبت الوثيقة

(١) المصدر السابق ، ص ١٩٨ .

يشمول العرب بالعلاج المجاني وعدم منع الاشقاء العرب من السكن في مناطق السكن النموذجية والتصريح لهم بحق التملك.

ان روح هذه الوثيقة لم تتكرر ولم تظهر اشارة من اشاراتها في النتاج الفكري والسياسي في ذروة التحالف مع سياسة صدام حسين تحت لافتة المصير العربي المشترك.

الصراع العربي الفارسي[1]

مساحة الصراع العربي الفارسي تاريخياً وميدانياً، أضيق من حجم الكتابات التي صدرت عنه. في المدرسة القومية العراقية وامتداداتها، فيما هو موضوع شبه مهمل في المدرسة القومية الشامية، أكبر المدارس وأعرقها، وفي المدرسة القومية المصرية حتى بعد ظهور عبد الناصر واصطدامه بسياسة الشاه، فقد أمسك عبد الناصر بحركة الصراع دون أن يترك نهاياته سائبة الى عقود وقرون في التاريخ لكي

(١) وضعت في عام ١٩٧٩ كتاباً عن هذا الصراع وكنت قد نشرت اول دراسة عنه في تموز عام ١٩٦٠ على ضوء منهج التفسير القومي للمدرسة العراقية التي كنت انتمي اليها وفيما كان الكتاب على وشك الصدور حدثت تطورات نقل السلطة من الرئيس أحمد حسن البكر إلى الرئيس صدام حسين الذي افتعل وجود مؤامرة سورية فخرجنا على أثرها من الحزب والسلطة وصدر الكتاب باسم حسن السوداني.

وعندما عثرتُ على نسخة منه شعرتُ كأني ألتقي بأحد أبنائي المفقودين، فعرضت النسخة على دار الكنوز الأدبية في بيروت لإعادة نشر الكتاب باسم مؤلفه الحقيقي وكما هو باعتباره نموذجاً للكتابة على مناهج المدرسة العراقية في مقابلته مع كتابي الصادر عام ١٩٨٨ بعنوان (التأثيرات التركية في المشروع القومي العربي). وكل منهما يمثل مرحلة ويلقي الأخير الضوء عند مقارنته بكتابي ذاك الموسوم (دماء على نهر الكرخا) ، على التحولات الفكرية والمنهجية منذ اعتكافي على نقد المشروع القومي خلال الستة عشر عاماًالماضية.

الكتاب يدعو إلى فصل التأثيرات الفارسية عن طقوس ظهرت في المجتمع العربي الشيعي، شأنه شأن شقيقه، التأثيرات التركية في المشروع القومي العربي الذي يدعو إلى فصل ماهو تركي عن هذا المشروع.

لا يتأسس موقع صراع جديد بديلاً للصراع العربي ضد الصهيونية.

ان نزاعاً لاشك كان سيحدث، وقد حدث، بين أمة غالبة هي العربية، وأخرى مغلوبة هي الأمة الفارسية في أعقاب الفتوحات الاسلامية. وان المنطقة كانت حتماً ستصبح في تلك الأيام مسرحاً للتفاضل بين الأمم والشعوب، لكن الصراع الحقيقي أخذ مداه الدموي الكامل بعد ظهور الدولة الصفوية في مطلع القرن السادس عشر الميلادي على المذهب الجعفري، في مواجهة الدولة العثمانية القائمة على المذهب الحنفي.

ان معظم فقرات الخطاب العراقي عن ذلك الصراع انما يستمد من تلك الفترة من الحروب التي كانت بغداد مسرحاً لها طيلة أربعة قرون.

كان لكل فريق منهما جلادوه المتمرسون وسلاطينه الجبابرة ورغبة غير محدودة في ابادة الطرف الآخر، لكن آخر المعارك لم تحدث منذ أكثر من مائة وخمسين عاماً، انقرضت خلالها الدولتان الصفوية والعثمانية، فظهرت في بلاد فارس دولة ايران الجديدة. وفي بلاد الرافدين المملكة العراقية. ولم يكن الخلاف بينهما يرقى الى مستوى الصراع فعقدا معاهدة ١٩٣٧ لتسوية مشكلات الحدود والملاحة في شط العرب.

ان أغنى فترة بأسباب الخلاف ترتبط بمصير الشاه محمد رضا بهلوي الذي أعدّ العدة لملء الفراغ الأمني في الخليج بعد انسحاب بريطانيا من شرق القناة في مطلع السبعينات. وكان المفروض، وفقاً لمنطق وفرضيات السلطة العراقية، أن تشهد تلك الفترة صراعاً حقيقياً ضد محاولات الشاه السيطرة لا على مياه الخليج، وانما على مفردات في سياسة الدول العربية المطلّة على الخليج، الى حد انه منع تسمية وكالة أنباء شكلتها بعض دول الخليج بحمل اسم الخليج العربي فحذف مايُشير الى العرب.

وعلى صعيد التعاون مع اسرائيل، كان واضحاً ان ايران أفسحت فرصاً للنفوذ الاسرائيلي تقترب من فرص مماثلة تتمتع بها اسرائيل في الولايات المتحدة الاميركية وبعض الدول الغربية.

في هذه الفترة أنهى صدام حسين مشكلاته مع ايران، وأُلغي مصطلح الصراع العربي الفارسي. حتى سقوط الشاه عام ١٩٧٨ وتأسيس الجمهورية الاسلامية

الايرانية بقيادة الامام الخميني، والغاء صدام حسين بعد أقل من ثمانية أسابيع من انفراده بالسلطة، اتفاقية الجزائر التي كان قد منح الشاه بموجبها نصف شط العرب.

وبالغاء اتفاقية الجزائر عام ١٩٧٥ ، ونشوب الحرب العراقية الايرانية، تجددت الدعوة العراقية الى صراع عربي فارسي، يستقطب نوعين من المشاعر في الخليج..

ان مكان الصراع هو الخليج.

والبطل العربي للصراع هو العراق.

فيما تمثل ايران دور البطل الفارسي.

ومادامت دول الخليج ودول عربية أخرى قد أقرت بوجود الصراع وبايعت العراق بطلاً قومياً للصراع فعليها والحالة هذه أن تؤدي التزاماتها وفقاً لشروط المصير العربي المشترك والحرص على ألا يخرج العراق خاسراً في تلك الحرب.

أما رد الفعل الخليجي فكان يميل الى عدم الاسهام المباشر في الحرب والاكتفاء بالمعونات المالية وتسهيل انتقال السلاح من الموانىء الخليجية الى العراق، على قاعدة (منا المال ومنكم الرجال). وهو منطق مقبول الى حد في ظروف ليست مشابهة. ذلك ان البطل القومي المبايع خليجياً وعربياً، محصور في منطقة حرب بحرية لا تمتد الى خمسين كيلومتراً في كل الأحوال، بينما يتمتع الطرف الفارسي بساحل يمتد الى ١٣٠٠ كيلومتر. وسيكون من الانصاف والانسجام مع وجود حالة صراع عربي فارسي، أن توفر للبطل العربي سواحل كافية يستطيع من خلالها صد الخطر الفارسي وحماية دول الخليج من الأطماع الايرانية!.

ومن الطبيعي أن يبدأ العراق بالتفكير الجدي باستخدام الساحل الكويتي المتصل بالساحل العراقي وأن يطالب بمصادرة أو تأجير جزيرتي وربة وبوبيان.

وبالنتيجة فان من روّج للصراع العربي الفارسي ودعا لمواجهة الخطر الايراني فسيكون مسؤولاً أخلاقياً وقومياً عن توفير أسباب النجاح للجانب العربي الذي يخوض أشرس معارك التاريخ ضد الفرس. الا أن دول الخليج لم تتحرك الى المشارف التي وضعها الرئيس العراقي في ذهنه.

ففي الذكرى السادسة عشر لانقلاب ١٧ تموز.. قال صدام حسين: كيف سيصبح حال ايران في البحر وعلى سواحله، اذا انتقل سلاح الطيران العراقي

بطلب من الأشقاء في الخليج العربي الى أية دولة من الدول العربية المطلة عليه.

وفي محاولة واضحة لتوريط دول الخليج عسكرياً الى جانبه، يقول صدام حسين في الذكرى السادسة عشر لانقلاب ١٧ تموز: ان طاقات الدول العربية غير محدودة، وتستطيع توجيه ضربات قاتلة الى الأساطيل التجارية والعسكرية لايران في الخليج وفي بحر عمان، وان الطائرات العراقية وطائرات دول الخليج العربية، تستطيع تدمير ايران وتركيعها.

وقد اقترب الموقف الكويتي كثيراً من الموقف العراقي في التهديد من تحويل الحرب الى عربية ايرانية.. فبعد أن قامت ايران بقصف الناقلات الكويتية هدد سفير الكويت في واشنطن الشيخ سعود ناصر الصباح بأن أي مواجهة عسكرية مع دول الخليج العربية، ستحول النزاع العراقي الإيراني الى حرب عربية ايرانية شاملة[1].

ويقول كاتب تقدمي عربي سني الأصل، وهو عبد الرحمن النعيمي: "وكانت الحرب التي شنها النظام العراقي ضد الجمهورية الاسلامية الايرانية، أخطر سلوك مارسه أي نظام عربي لفرض ارادته على جيرانه. ووقفت الأنظمة الخليجية الى جانب العراق، في الوقت الذي أرادت أن تتقي خطر هذه الحرب، بعدم المشاركة العسكرية من جهة، وتشكيل مجلس التعاون الخليجي بين الدول الست من جهة، وقد مارس النظام العراقي ضغوطاً كبيرة على هذه الأنظمة لتشكيل جبهة واحدة لمواجهة ايران، من العراق الى عمان[1].

وتلك كانت واحدة من المفارقات النادرة في التاريخ، فحيث تسعى أطراف الخليج الى تدوير فوهات المدافع، واتجاه الصواريخ الى ماتعتبره مركز الفتنة ومنبع الخطر، فتربح مرتين عند وضع الوحشين في قفص القادسية. فالذي حدث أن من أوكلت اليه مهمة الدفاع عن أمن الخليج العربي، أصبح هو الخطر الذي لم يتعرض الخليج منذ القرن التاسع عشر الى مثله.

---

(١) عبد الرحمن محمد النعيمي، الصراع على الخليج العربي، ص ١٤٢ ، دار الكنوز الأدبية/ بيروت ١٩٩٤ . انظر كذلك د. عبد العزيز محمد المنصور / التطور السياسي في قطر.

(١) عبد الرحمن النعيمي ، الصراع على الخليج العربي ، دار الكنوز الأدبية، ١٩٩٤، ص ١٤٢ .

الصراع على تجريد المعالم

في خطاب الضم والتأثير المضاد لهوية الخصم تبدو الكويت شركة كبرى لانتاج النفط من الحقل الى ميناء الأحمدي وسيرد على من يضع عنواناً عن معالم التجربة الكويتية بما لا يسر وسيسأل عن تلك المعالم وما اذا كانت تستلهم الهرم الفرعوني أم المسلة البابلية أم الملوية العباسية أم هي جامع ابن مروان في دمشق الشام سيسأل كاتب هذا العنوان عن دليله وما اذا كانت الكويت انشودة مطر للسياب أم دجلة الخير للجواهري أم كانت وادياً من وديان عبقر ما بين ابن الملوح وجرير.

لا شك أن الكويت ليست من هذه المعالم لكنها وعلى تواضع حجمها وحداثة تجربتها تكاد تنشق عن النسيج السياسي الاقليمي والعربي الى حد فتصنع كومة سياسية وكومة نيابية وكومة اعلامية على ماها اليابسة وقد تعطي هذه الأكوام خطوطاً مضيئة في عتمة الجوار فهي سياسة حذرة تستمد أصولها من منومة محافظة. لا تؤيد باندفاع ولا تجادل الا بمفردات يطغى فيها الوقار طبيعياً أم مصنوعاً على شفاه المسؤول السياسي وأملت عليها تلك المنظومة اتخاذ سياسة الحيدة بين الصراعات والميل الى القيام بدور الوسيط والابتعاد عما يثير حساسية.

وعلى الصعيد الاقتصادي أخذت الكويت بنظام السوق المفتوحة وقد ساعد نظام المنافسة الحرة وعدم فرض ضرائب على الدخول والتساهل في الرسوم الكمركية على تواضع الاسعار الى مستويات دنيا ولعب مناخ الخليج المعروف بارتفاع درجتي الحرارة والرطوبة وافتقاره الى طبيعة خضراء دوراً في تسهيل اسباب الرفاه داخل البيت تعويضاً عن خارجه وصار معروفاً أن الأجهزة التي قد لا يلتقي بها المواطن العراقي الا عند رجال الصف الأول في الحزب والسلطة أو

عند تجار الصفقات هي مما يُعد من مبذولات منازل العمال الفقراء وغرف الخدم الخاصة بدول الخليج[1].

قد يمكن القول أن السوق المفتوحة كانت احدى معالم الكويت وكان الجانب العراقي في عهد الرئيس صدام حسين ومنذ السبعينات يتابع نمو هذه السوق لا سيما ما يتعلق منها بأخبار العملة العراقية لرواج فكرة عراقية عن وجود صلة بين سعر الدينار العراقي في أسواق الكويت ومحاولات التآمر على السلطة واعتبار ارتفاع سعر الدينار العراقي مؤشراً على وجود طلب عليه ونفسر هذا الطلب على أنه تسييل كميات من العملة الى العراق وتوزيعها على مناهضي السلطة لأحداث تغيير فيها.

على الرغم من أن القاعدة التي استندت عليها تلك المخاوف في ارتفاع وانخفاض العملة كانت صحيحة بقدر صلتها بقانون العرض والطلب فان سلطة بغداد لم تضع أسباباً أخرى لانخفاض الدينار الذي كان من جانب آخر يؤزم الوضع النفسي لصدام حسين فينفعل خوفاً من احتمالات التغيير مثلما ينفعل لارتفاع قيمة العملة الكويتية فيهدأ معلقاً:

دينار العملاء دائماً قوي ودينار الوطنيين على قدر حالهم لكن انتظروا

(١) في طقس تتجاوز درجة الحرارة حافات الخمسين تمنع الدولة توفير أجهزة التكييف وقد يجد القادرون على اقتنائها في حالة الحصول عليها صعوبة في تشغيلها لعدم قدرة الطاقة الكهربائية على تشغيل المكيفات مالم يتم استبدالها بنظام (الأوجه الثلاثة) وهو ما ليس متوفراً لعامة الناس. ومن غريب ما اطلعت عليه خبر نشرته مجلة النيوزويك الأميركية في أحد أعدادها الصادرة في آذار/مارس ١٩٧٥ حول صفقة كبرى لشراء حافلات من شركة ليلاند المدرجة في القائمة السوداء لإدارة المقاطعة العربية، إذ عرضت رشوة على معاون مدير شركة الحافلات العراقية والذي يعمل باتفاق مع طه ياسين رمضان الجزراوي وتم دفع ما يعادل ضعف سعرها المعروض من بلدية نيويورك ومن دولة في شرق أسيا، فاستلمت الصفقة وكان شرط المفاوض العراقي أن يتم نزع أجهزة التكييف والإذاعة من تلك الحافلات . اخذوا العمولة وعاقبوا الناس بسلب راحتهم!

كنت قد رفعت إلى صدام حسين ملفاً بهذه القضية وقد أرفقت نسخة معه من مجلة (نيوزيوك) مع تعليق قريب من المعنى المشار اليه فاحتفظ بالملف ولم يظهر رد فعل أو إجراء ما حتى إذا غادرتُ العراق فوجئت باسم المسؤول الذي استلم العمولة ووقع الصفقة وقد عين بمرسوم جمهوري وزيراً للصناعة، وهو المهندس عبد التواب.

فسأجعل الدينار الكويتي ربع دينار عراقي [1].

أما أبرز معلمين يتنافران مع السياسة العراقية ويسعى الرئيس العراقي لتجريدهما من مقومات الحياة والديمومة والعطاء باعتبارهما ركني الديمقراطية الكويتية فهما البرلمان (مجلس الأمة) والاعلام شبه الليبرالي.

واذ لا نتوقف عند محاولات صدام حسين الدفع باتجاه تقويض التجربة البرلمانية في الكويت ومد خيوط مع المعارضة في السبعينات ومع السلطة في الثمانينات ودخوله طرفاً في صندوق الاقتراع للتأثير على نزاهته فقد لا نتجاوز الخلاف الايديولوجي الصارخ بين نظام بغداد القائم والنظام البرلماني الذي يراد له أن يستمر في الكويت، لكن جهد صدام في تجريد الكويت من المعلم البرلماني لم يصادف نفس النجاح في عملية تجريدها من معالم الاعلام الليبرالي. ربما لأن قوة المنتخب تبنى على ضوء علاقته السليمة مع الناخب. وكان المفروض أن ينسحب هذا المبدأ على الصحافة ايضاً فتكون قوة الجريدة مبنية على ضوء علاقتها النزيهة مع القارئ.

مصادرة الاعلام الخليجي

مع النظر الى جوانب الضعف في سياسة صدام حسين لا سيما أمام قوة قادرة على اضعاف مركزه في السلطة فان من أبرز جوانب القوة في سياسته أنه يُملي على حلفائه بطريقة وأخرى منظومته الفكرية ونظرية عمله وأسلوبه في ادارة الصراع والى حد تصورات حزبية - طفيفة أو أساسية - وصياغات تسمح بأن يطغى خطابه السياسي على من يتحالف معه من الحركات السياسية

(١) أشرت إلى هذا التعليق في مقالي الموسوم: الكويت هل هي محفظة نقود في جيب صدام والمنشور بجريدة الجهاد في ١٩٨٣/٤/٤ ورسمت فيه صورة للاجتياح القادم والذي حدث فعلاً بعد سبع سنوات من نشر المقال. وفي اثناء احتلال الكويت وربط الدينار الكويتي بالعراقي وانخفاض سعره إلى أدنى من الحد الذي وعد به صدام حسين نشرت رثائية للدينار الكويتي في جريدة صوت الكويت الصادرة في لندن آنذاك ١٩٩٠/١١/٢٤ .

والمؤسسات والشخصيات المستقلة والدول.[(١)]

فهو يفرض باتفاقية مصادق عليها قواعد الحزب الصارمة، كاحتكار قيادة المجتمع والدولة وعدم السماح لغير أتباعه بالعمل في القوات المسلحة واشراكهم في مناسباته دون اشتراكه في مناسباتهم على، حلفائه في الجبهة الوطنية.

وتتحول جريدة أو مجلة ليبرالية ممّولة الى ما يشبهُ نسخة من جريدة الثورة [(٢)].

ويتابع الملحقون الاعلاميون في السفارات العراقية بدقة متناهية صياغات حزبية خاصة يصرون على استخدامها في اعلام الدول الصديقة وتصبح الاحتفالات العراقية ذات الطابع الحزبي المحدود أو الشخصي الضيق احتفالات شبه رسمية يتبنى تغطيتها اعلام الدول المتحالفة معه.

وهكذا احتفلت صحف الخليج بيوم الحصاد العالمي وهو ليس يوماً من أيام العراقيين القدماء الذين كانوا يحتفلون في مواسم الربيع ببناء اهرامات القمح وانما

(١) ويستثمر صدام حسين فترات التحالف لتغذية وتطوير عناصر معارضة لحلفائه.

يقول رولاند جاكار في كتابه "الأوراق السرية لحرب الخليج" ص ٢٢:

(إن صدام حسين قال لدى استقباله لأبي عمار وأبي إياد أثناء أزمة الكويت أن دول الخليج ستهتز بقوة بواسطة اعمال ارهابية وانه يوجد في السعودية منذ عدة اشهر مخابئ للسلاح الذي تم ادخاله عبر جزيرة سوقطرة في اليمن).

وباعتقادنا فإن السلاح يمكن أن يهرب مع موكب الرئيس عندما يزور دولة وتقدم الحقائب على أنها هدايا رئاسية.

(٢) كان الصحفي اللبناني علي بلوط يدير لحساب العراق مجلة الدستور في لندن. فشكا لي أن مدير المركز الثقافي في لندن ناجي الحديثي يريد أن يجعل من مجلته نسخة من جريدة الثورة وأن تتصدى بعنف ثوري ضد من يخالف سلطة بغداد الرأي. فعدت إلى بغداد وعرضت الأمر على صدام حسين بحضور عدنان الحمداني وأبديت تعاطفي مع موقف بلوط. فجاء الجواب من صدام حسين وهو يؤشر لعدنان الحمداني ابلغ الرفيق سعدون يعني سعدون شاكر مدير المخابرات لمعالجة امره أي تصفيته أو شيء مما تفعله ادارة سعدون شاكر. فتوجهت نحو صدام ملتمساً أن يراعي موقفي فالرجل لم يكن يفكر بالخروج إلى موقف معادٍ.

وقد علمت فيما بعد أن السلطة حجزت زوجة بلوط رافضة دفع نفقات الفندق الذي تقيم فيه بدعوة من وزارة الإعلام.

هو يوم أعلن فيه بيان عسكري عراقي عن قتل ١٥ الف و٢٥٨ مسلماً ايرانياً وكأنهم قدموا الرقم هدية الى فرنسا بمناسبة زيارة كلود شيسن وزير العلاقات الخارجية الفرنسية أثناء ابلاغ صدام حسين رسالة شفوية من الرئيس فرانسوا ميتران [1].

وبنوع من التآكل كان الإعلام الكويتي يفقد جوانب أساسية من معماريته الليبرالية لحساب اعلام الطرف الحليف وصياغاته وهواجسه وخصوماته السياسية. ويشكل ذلك التطور السلبي مأزقاً لفلسفة الإعلام الكويتي فقد استحال بسبب طغيان الطرف الآخر عليه الى اعلام نصف ثوري ونصف ليبرالي... ليس ثورياً لافتقاره الىالعراقة الثورية وليس ليبرالياً لافتقاره لشروط الحياد الليبرالي والقاريء لا يفضل التعامل مع نصف الثوري للتعرف على الموقف الثوري ولا مع نصف الليبرالي لمعرفة الموقف المحايد وصارت بعض الصحف الخليجية والكويتية مخلوقاً مركباً نصفه الأعلى من جريدة الثورة ونصفه الأسفل من جريدة النهار.

وقد أوغلت سياسة بغداد الإعلامية في سلب وتجريد الإعلام الكويتي من مكوناته الليبرالية وفرضت عليه بشكل وآخر حق الاعجاب بما يعجب بغداد وحق السخط بما سخطت عليه ولم يطالب الإعلام الكويتي المجني عليه بحق التعامل بالمثل فلا يجرؤ كاتب عراقي أن يعرب عن شيء من حق الإعجاب بمشهد حضاري في دول الخليج الحليفة، ولم يظهر عمود صحفي يثني على زعيم خليجي مقابل أعمدة الثناء اليومي الملتهب بمشاعر الولاء لصدام حسين.

وبالإجمال فقد نجح الجانب العراقي بتوظيف اعلام الخليج بمهمة القتال بالنيابة، وتلك أكثر المراحل قسوة وتجريداً للإرادة الصحفية الحرة.

كان صدام حسين في الاجتماعات الحزبية الخاصة يقدم بعض الصحف

(١) جريدة الثورة العراقية، ١٤/شباط/١٩٨٣ ، كنت بعد اجتياح الكويت قد عرضت على شاشة التلفزيون الفرنسي القناةالثانية نسخة من جريدة الثورة التي يحتل رقم الضحايا عنوانها الأول وإلى جانبه صورة صدام حسين لدى اجتماعه بكلود شيسن اشرت فيه إلى مسؤولية فرنسا الأخلاقية والانسانية والدينية في شماتتها بقتل أكثر من ١٥ الف مسلم عدا قتلى الجانب العراقي الذين لم يأتِ عليهم البيان العسكري.

اللبنانية وبعض الصحف الكويتية كمثال على خطر الإعلام الليبرالي على الدولة وكدليل على عدم نزاهته وقدرته على الخدمة المعاكسة لاتجاهاته الفلسفية ويعزو ذلك الى كون مؤسسات الإعلام الليبرالي مرتبطة بمصالح تجارية وكونها مستعدة لقبول صفقات الدعم السري سواء المباشر أم عن طريق منح أصحاب الصحف مقاولات في التصدير والتوريد التجاري وعقد الصفقات [١].

تحويل المثقف الى اعلامي:

وسيكون ادعى للدهشة أن يخضع لقواعد الاعلام الدكتاتوري ونظامه الموحد خارج أرض الحزب اساتذة اكاديميون وعلماء اجتماع وتراثيون بطريقة تجريف المثقفين وسوقهم الى معابر الإعلام الموجه وتهديم شرفات جميلة ومصانة طالما اعتكف فيها المثقف العربي قيّماً ومقيّماً يتعالى بنزاهته ووقاره وحياده وأكاديميته العالية عن التورط في أعمال صحفية ممولة تجعل منه يوماً بعد آخر مجرد دولاب في عربة الحزب والثورة فيسحق الشارع خبباً وهرولة وينسحق به قعدداً فتضيع خطوطه وملامحه وتمحى معالمه فلا يبقى منه سوى آلة تدور على نفسها.

(١) في اجتماع دوري موسع لمكتب الاعلام سأل صدام حسين، وكان إذ ذاك نائبالرئيس مجلس قيادة الثورة، السيد عبدالجبار محسن عن سبب عدم ظهور كتابات له في جريدة الثورة، فأجابه بأن رئيس التحرير ، وأشار الى عبدالله الحديثي،الذي يحجب نشر مقالاته. فتصدى له الحديثي الذي يعاني من عقد نفسية معروفة بالقول ان الرفيق عبدالجبار محسن ليبرالي من مدرسة الرفيق حسن العلوي، الذي يفضل أي خبر أو سبق صحفي على مصلحة الحزب والدولة ، مما جعل مجلة ألف باء منتشرة. فاحتج صدام حسين على ما اعتبره تهمة أن يوصف أحد البعثيين بالليبرالية وطلب الى الدكتور سعدون حمادي أن يقدم موجزاً للمجتمعين عن الليبرالية. حتى اذا انتهى الأخير، عقب صدام حسين قائلاً إنه لايسمح بأن يوصف أي رفيق بأنه ليبرالي. وتطرق الى التنديد بالإعلام الليبرالي في لبنان والكويت، ودافع عن من وجهت اليه تهمة . فاستأذنت بالحديث قائلاً إذا كانت الجريدة الفاشلة عقائدية والمجلة الناجحة خارجة على قواعد العقيدة فمعنى هذا أن الرفيق المتحدث قدجعل الفشل عقيدة .

وعندما يتحول الأكاديمي والمؤرخ والجغرافي الى اعلامي فان اسماء في أعالي التاريخ ستنزل من عليائها وتتدهور سمعة أكثر الأسماء في تاريخ الفتح العربي اشراقاً عندما يتم السطو على معركة القادسية واختطافها من أحضان سعد بن أبي وقاص مما عطل الخيال العربي النشط عن تصور واستشراف تلك القادسية الفاصلة والتي كانت من نتائجها بعد دخول بلاد فارس في الإسلام ليس اتساع الدولة الاسلامية وترامي اطرافها الى تلك التخوم البعيدة بل أيضاً في الأضافات العبقرية لمسلمي تلك التخوم وبروزهم غير المنازع في علوم الفقه والحديث والتفسير والنحو واللغة فصار العرب على ميلهم للتعصب تابعين طوعاً واعجاباً لإمام أعظم هو أبو حنيفة الفارسي وامام أول في النحو العربي هو سيبويه الفارسي كما أصغى المسلمون الأوائل بدهشة واعجاب الى عبد الله بن ذكوان امام الحديث عند أهل الحديث وهو ابن شقيق أبي لؤلؤة الفارسي قاتل الخليفة الثاني عمر بن الخطاب.

ولم يكن مقبولاً لا في علم التاريخ ولا في فقه الأديان ولا في أطالس الجغرافيا أن يعيد الحزب الحاكم في العراق بزعامة مرشده الروحي الاستاذ ميشيل عفلق وتلميذيه الدكتور الياس فرح والرئيس صدام حسين ذلك البلد الى عهد المجوسية فيسلب الإسلام عن زعيم أول المذاهب الإسلامية النعمان بن ثابت ويسلب علم النحو العربي من استاذه الأول سيبويه وعبد الله بن ذكوان الى دين عمه.

أما أهل فارس فكانوا حسب منطق الخطاب الرسمي لسلطة بغداد واتباعها من العرب ينتظرون صواريخ العباس والحسين لكي يدخلوا بعد ضربهم بها الى عالم الإسلام ويشاركوا في مآتم العزاء ومواكب البكاء على الحسين والعباس وباقي أهل الطف!.

ان صدام حسين من خلال هذه الصورة التي يختلط فيها الزيف بالزلفى والتزوير بالانتحال يتحمل مسؤوليته في تدمير الصورة الجميلة المرسومة في الذهن العربي لقادسية الفتح الرائع وتمريغها في صياغات الخطاب المبتذل.

ان هزلاً كهذا أُريد له أن يتحول الى واحدة من ألصق حقائق السياسة اليومية بالتاريخ والتي ظلت مؤسسة الإعلام الخليجي ومؤسسات عربية أخرى تستمري تكرار واجترار مفرداتها ومصطلحاتها لمدة تقرب من عشر سنوات.

وقد ساهم في تكريس هذا الهزل السياسي والتزوير التاريخي والانتحال الفاضح للحق التاريخي وشخصيات التاريخ وأحداثه جهد اعلامي وسياسي اسطوري وبدور كبير مؤسسة الإعلام الكويتية الناجحة التي أذكت حق صدام حسين في تقمص الشخصية التاريخية لسعد بن أبي وقاص وانتحال القادسية بواحدة من أوسع الحملات الإعلامية في التاريخ البشري.

ففي احصائية باستخدام الحاسوب سجلت في دفتر يومياتي أرقاماً فلكية لساعات وعدد نشرات الأخبار والصور التي بثتها الإذاعة والتلفزيون ونشرتها الصحافة في دول مجلس التعاون الخليجي لصالح صدام حسين وترسيخ صورة القادسية وحقه في انتحال الحق التاريخي.

جدول الكم الإعلامي لدول مجلس التعاون الخليجي
من الخدمة الإعلامية لصدام حسين

١ . الصحف

عدد الصحف اليومية	مدة التحالف	معدل نسخ الصحيفة في اليوم
٢٠	٣٦٥٠ يوماً	١٥,٠٠٠

فاذا افترضنا أن كل نسخة قد تضمنت خبراً واحداً عن صدام حسين ولكل عشرة أعداد صورة واحدة وعمود صحفي واحدي فان الرقم سيكون فلكياً ما يقارب الـ ٢,٥ مليار.

٢ . التلفزيون

عدد المحطات	عدد القنوات	نشرات الأخبار	مدة التحالف
٦	٢ لكل محطة	٣ لكل قناة	٣٦٥٠

عدد الصور التلفزيزنية لصدام حسين في محطات دول الخليج ١٣١ ألف و٤٠٠ صورة.

٣ . الإذاعة

عدد الاذاعات	نشرات الأخبار	مدة التحالف
١٠	٤	٣٦٥٠

ذكر اسم صدام حسين ايجابياً في اذاعات مجلس التعاون خلال فترة التحالف ١٤٦ الف مرة.

من الطبيعي أن تكون أجهزة المتلقي العربي الخليجي قد شحنت بهذا الكم الاسطوري من تعليقات الصحف وأخبار الانتصار وتثمين القرار وتصوير البطولة وصور صدام حسين التي يقضي الخليجيون معها سهراتهم الليلية أو كما يقول الدكتور غازي القصيبي فان استقبالات الرئيس العراقي كانت مشهداً ليلياً في كل محطة تلفزيون خليجية [١].

وتركت نسباً من التأثير تصغر أو تكبر حسب الاستعداد الذهني والنفسي للمتلقي وصولاً الى تشكيل قناعات شبه موحدة لدى القراء والمستمعين والمشاهدين العرب في الخليج، بأن حرب صدام حسين ضد ايران كانت مطلوبة لصيانة استقلال العراق. واجراءاته اليومية ضد المعارضين هي كالحرب دفاعاً عن النفس. وان المسؤوليات التي ينهض بها هذا الرجل ترقى به الى مدارج البطولة القومية.

فكيف سيتسنى سحب هذا التراكم الكمي من شحن الصدور وشحذ الهمم وتحفيز النفوس لنصرة صدام حسين لتقديم رؤية مختلفة ومتناقضة تماماً مع أهداف حملة الترويج الإعلامي تلك؟.

ربما اهتزت مشاعر المواطن الخليجي لمشاهد حرق الآبار والجثث والمكتبات والقبة السماوية واغتصاب النساء واطلاق الصواريخ على المدن. فتشكل موقف شعبي مغاير. لكن هذا التطور لا بد أن يكون قد زعزع ثقة المتلقي العربي في الخليج باعلامه الذي كان يكذب عليه ويزيف الحقائق ويروج للجريمة والعدوان

(١) د. غازي عبد الرحمن القصيبي، أزمة الخليج محاولة للفهم، دار الساقي ، لندن ، ١٩٩١ ص ٩٤ .

واهدار الأموال وقتل الأبرياء.

أما العرب الذين كانوا قد تلقوا قدراً مماثلاً من الشحنات الإعلامية في السودان والأردن وتونس وليبيا واليمن والذين كانوا بعيدين عن مشاهد الاجتياح وأزيز الصواريخ فليس متوقعاً أن يغيروا من قناعاتهم الإيجابية ازاء صورة صدام حسين ولهذا كانوا معه في غزو الكويت مثلما كانوا معه في حربه ضد ايران وفي تشريده أكثر من مليون عراقي الى دول الشتات.

ان التحولات السياسية الدرامية لن تحدث بايماءة من مخرج ولا تتغير القناعات التي رسخها ذلك الكم الهائل من ساعات البث التلفزيوني والاذاعي واعداد الصحف والمجلات على مدى عشر سنوات بالسهولة التي يتمناها الكويتيون والخليجيون.

لكن رؤية المثقف العربي الخليجي اذ تقترب معنا في تشخيص اخفاق الإعلام الخليجي في الوصول الى الجماهير فانها تبتعد عن تشخيص السبب الذي نعزوه الى ذلك التراكم الكمي الهائل من النشاط الإعلامي لمؤسسة الخليج والتي تصب في صالح صدام حسين اذ لم يكن من السّهل احداث انعطاف كامل في أجهزة المتلقي العربي أو الإسلامي.

ان الدكتور غازي القصيبي يشكو من اخفاق الإعلام الخليجي في الوصول الى الجماهير على مدى العالم الإسلامي الكبير وأثر هذا الاخفاق الواضح في دول مثل الباكستان والهند وأندونيسيا وماليزيا، ومن وقوف الجماعات الاسلامية في هذه الدول مع الرئيس العراقي رغم الروابط القوية المتعددة التي كانت تربطها بدول الخليج الى أن بدأت دول الخليج في المراحل الأخيرة من الأزمة تتحرك اعلامياً في العالم الإسلامي، وقد أظهر تحركها على الفور أثره ولكن كل ما تمّ في هذا المجال جاء متأخراً ومحدود الفعالية [١].

لكن الدكتور القصيبي اذ يُقر أن النجاح الذي حققه الإعلام العراقي على الساحة العربية لم يكن يعتمد على تفوق ذاتي في التقنية او الكوادر البشرية بقدر ما كان يعتمد على رغبة الجمهور في الاستماع الى ما يقوله، فانه لم يتوقف عند الظروف والعوامل التي وفرها الإعلام الخليجي على مدى عشر سنوات لبناء

(١) د. غازي القصيبي ،المصدر السابق ، ص ٩٦ .

وتوسيع قاعدة جماهيرية من المستمعين الى ما يقوله الإعلام العراقي في بغداد ويُعيد انتاجه وتسويقه الإعلام الخليجي.

وكمثال على سيطرة السفارة العراقية في الكويت على مؤسسة الإعلام الكويتي يمكن مطالعة التحقيق الذي نشرته مجلة (المجلة) الواسعة الانتشار في عددها ٧٨٦ الصادر في الخامس من آذار/مارس ١٩٩٥ حول الوثائق العراقية التي عُثر عليها في غرفة المستشار الإعلامي في السفارة. وتعقب المجلة بعد أن تستعرض عدداً من الوثائق قائلة أن سؤالاً ظل يطرح نفسه طوال الوقت وسيبقى جوابه حائراً حتى تظهر أوراق اخرى.. لماذا كان احتلال الكويت وهل كان العراق بحاجة الى ذلك.؟

يبدو السؤال مشروعاً لأن الأوراق التي عرضناها ـ والكلام لمحرر المجلة ـ كشفت الكثير من الحقائق لعل أهمها أن العراق باحتلاله الكويت أعلن خروجه منها وتحريرها من تلك الحكومة غير المرئية التي تحدث عنها مسؤول كويتي بصراحة لكن الأمر سيحتاج الى صراحات أخرى لإظهار الحقيقة الغائبة.

ويقول فيصل القناعي أمين سر جمعية الصحفيين الكويتية وأحد أبرز الصحفيين في جريدة السياسة أن المستشار الاعلامي في السفارة العراقية استطاع أن يُشكل شبكة كبيرة من المتعاونين أو المتعاطفين والمؤيدين للعراق وكنا نطلق على ذلك المستشار في يوم من الأيام لقب رئيس تحرير الظل لمعظم الصحف الكويتية والمجلات وكان هو الذي يحدد في بعض الأحيان ترويسات الصحف وعناوينها الرئيسية ويحدد ماذا يكتب معظم كتاب المقالات. ويضيف القناعي المعروف أنه يكتب ويتحدث بلا قناع أن المستشار الإعلامي هذا كان يُغري الصحفيين بالهدايا والخمور والحفلات والدعوات الى بغداد والى مهرجان المربد.

على صعيد شخصي كنت أتابع بألم محبوس هامات الثقافة المتينة تتباطح على أرصفة الصحافة. فهمست في أذن من أثق به ملمحاً الى خطر التحول من دور المثقف في صومعة العلم والكبرياء ورد الحاجة الى الوقوف وراء المنصات والمنابر. وكنت قد وعدته باثارة اقصى ما يمكن أن تسمح لي به سلامتي الشخصية عندما نشرت في يوميتي بجريدة السياسة مقالاً عن الإعلام الذي يأكل الثقافة

والمثقفين [١]. وأجريت مقارنة بين الثقافة والإعلام. وكل منهما يعاكس الآخر ويناقضه.

فالإعلام تفريغ وتصريف وتحريض على تحريض وتعريض على تعريض فكأنه يولد من ظهر التخاصم، والثقافة خزن وامتلاء ومعالجة ودفع بالتي كانت هي الأحسن ودعوة للتراحم والتفاهم الانساني. ربما لأن الثقافة سلم والاعلام حرب فينزوي المثقفون الكبار في أيام الحروب وينتفخ الاعلاميون الصغار كباراً، ولهذا تعرف البشرية من القطب الى القطب ومن الطفولة الى الكهولة اسم وزير اعلام المانيا في الحرب العالمية الثانية ولا تعرف اسم وزير الثقافة.

كان ذلك المقال صرخة لم تلتقطها سواحل الخليج المتخم بروح العداء وضغائن الحرب.

وكان الإعلام الكويتي حزب السلطة العراقية وأكبر مراكز (النقل) وليس فقط أحد أجهزتها الدعائية. ومع هذا الحزب حزبها السري الذي أوشك أن يكون في عقد التحالف أول تنظيم حزبي غير شرعي يسمح له بالعمل في الكويت على مسمع من أجهزة السمع ومكاتب المراقبة.

وكمراقب سياسي كنت أشعر أثناء وجودي في العراق أو في الكويت أن خدمات غير اعلامية كانت تقدم للجانب العراقي، وعلى عادتي في توثيق مثل هذه الحالات استثمرت قصة اثنين من موظفي الخارجية الرومانية اللذين استخدمتهما المخابرات الأمريكية فتركتهما في واشنطن يعيشان براتب شهري شحيح وكتبت في يوميتي بالسياسة مركزاً في العنوان على مبدأ مشترك لجميع دول العالم أنها لا تحترم عملاءها. وكنت أدور حول هدف لم أطرحه بحياء أو حذر فعرضت تعريضاً مباشراً بهؤلاء الأغنياء الذين يتحولون عند الطرف الآخر كما لو كانوا موظفين صغاراً.

وعندما غادرت الكويت نشرت في صحف المعارضة توقعاتي عن احتمال أن تكون الكويت أول محطة لثاني تجربة بعد انتهاء الحرب مع ايران. وفي عرض الاسباب اشرت الى هؤلاء الذين يحرضون صدام حسين ضد حكومتهم وهم سفراء وصحفيون ورجال اعمال [٢]. ولم اكتف بهذه التحذيرات فقد ارسلت الى

(١) السياسة الكويتية ـ العدد الصادر في ٢٧/تشرين الأول/١٩٨١ .

(٢) التيار الجديد ـ لندن ١١/مارس/ ١٩٨٥ .

الشيخ صباح الأحمد رسالة بخط يدي باعتباره وزيراً للاعلام بالوكالة من مقر اقامتي في نيقوسيا مؤرخة في ١٩٨٤/٢/١٣ عرضت فيها تصوراتي لمستقبل الكويت مؤكداً على أن اعلامكم هو الذي سيقود بلادكم الى الهاوية واستشهدت ببعض الاسماء التي تكتب لا بقناعة قومية كما تظنون بل بأسلوب الصفقة وحددت بعض الاسماء التي تقدم خدمات غير اعلامية ضد مصلحة بلادها محدداً توقعاتي بالاجتياح.

ان مؤسسة الاعلام الكويتي تورطت باستثمارات خاصة في العراق. واعتمدت في نشاطها التجاري على العراق كأفضل زبون. وطغت مصالحها مع بغداد على مصالحها مع الكويت. وهذا سر غير مكتوم ولعله سر الجموح القديم والانتظار الجديد لعودة تلك الاستثمارات الى ايامها الزاهرة.

ومن هنا فان ظهور كتابات تنضح بروح العداء ضد المعارضة العراقية في بعض الصحف الكويتية سيكون أمراً لا يثير الدهشة على ضوء تلك العلاقة وامتداداتها المستقبلية.

وعلى اية حال فان الإعلام يصنع أبطالاً من نوعه فيستريح المنتصر على أريكة البيان وقواعد اللغة لا على قواعد مادية محسوسة.

ومن اية زاوية تطل على البطل الإعلامي ستلتقيه مهما طال الزمن بطلاً مجازياً. وأغلب الظن أن صحفيي الخليج قد توصلوا بعد عشر سنوات من العمل في مختبرات هذه الصناعة الى نتيجة مماثلة.

ان الاجتياح هيأ لصدام حسين فرصة البر بوعده وتدمير السوق الكويتية والدينار الكويتي واثقال الاقتصاد الكويتي بالديون. لكنه وهو في عقد التحالف استطاع أن ينجح في ايجاد تغييرات اساسية في المنظومة السياسية للكويت ودول الخليج والتي ظهرت خلال الحرب العراقية ـ الإيرانية وكأنها مأخوذة بالتجربة الثورية لصدام حسين فخرجت من منطقة الحياد ومنطق الحياد الى الجلوس على مقاعد الصف الثوري الرديف مستلهمة ذات المصطلحات مستخدمة ذات الخطاب وهي تقلد أو تتدرب على تقليد مراحل التجربة العراقية فتتبنى سياسة اجتماعية حادة وتدخل طرفاً في النزاع الاقليمي فيما تضفي على القرار العراقي شفافية رومانسية فيصبح صدام حسين الحاكم الذي هو دائماً على صواب.

استخدام الأمن الكويتي:

بعد أن انتهى صدام حسين من حياكة الشبكة السرية لرجاله و(نسائه) في الكويت اعتدل على كرسيه في اجتماع اعلامي خاص قائلاً:

ان وضعنا الأمني في الكويت متين متانة الوضع الأمني لمبنى المجلس الوطني [(١)]، وأضاف أنه يستطيع أن يعرض على الحاضرين قائمة افطار الشيخ جابر لهذا اليوم.

وفي اثناء الحرب العراقية . الإيرانية أعلن وزير الداخلية الكويتي أن بلاده والعراق هما الآن في استراتيجية أمنية واحدة [(٢)].

وعلى صعيد ميداني ظهرت أجهزة الأمن الكويتي كما لو كانت تتدرب على حجلة عراقية، قبل أن تشرع في القيام بمهمات القمع النيابية، عندما أخضعت زائريها ومقيميها العراقيين الى لائحة الاستجواب العراقي، شأنها شأن الأردن حالياً.

لكن ما يثير الإعتراض أن نقرأ في مصدر كويتي أعده ستة مؤلفين باشراف الدكتور عبد الله يوسف الغنيم وهو عالم جليل تحليلاً (لعوامل الاجتياح العراقي تتصل بالنظام العراقي نفسه الذي أراد التخلص من المناوئين لنظامه حيث يقيم في الكويت عدد كبير من رموز المعارضة ضد النظام وقد استطاعت أجهزة النظام تحديد أماكن اقامتهم ومحال عملهم وتمّ القبض عليهم فور دخول القوات العراقية

(١) هو مبنى البرلمان الذي أسس في العهد الملكي وانتهي من بنائه بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ، وقد اتخذ مقراً لرئاسة مجلس الوزراء ثم مكتباً لنائب رئيس مجلس قيادة الثورة صدام حسين آنذاك.

(٢) ناقشت وزير الداخلية الكويتي في مقالة موسعة نُشرت بجريدة الجهاد في خريف ١٩٨٣ .

للكويت وذلك طبقاً لما أعلنته منظمة العفو الدولية من أنها تلقت تقارير عن مطاردة العراقيين المقيمين في الكويت من معارضي النظام ويعتقد أن عدداً كبيراً قد حوكم واعدم) [١].

وعلى مبلغ علمي لم يكن ممكناً لمعارض عراقي أن يقيم في الكويت قبل الاجتياح، إلا اذا اقتنعنا بأن رموز المعارضة العراقية يمكن لهم أن يقيموا حالياً في عمان مثلاً. أما ما تشير اليه منظمة العفو الدولية فانه يتصل على أغلب الظن بسجناء عراقيين في السجون الكويتية تم القاء القبض على بعضهم واعدامهم اثناء الاجتياح ولم يكن ممكناً لمعارض عراقي ممن تحدد الشبكة السرية في الكويت مكان عمله واقامته ان يواصل حياته لبضعة أيام.

ان معلومات المعارضة التي نشرت في منتصف الثمانينات تشير الى حالات اعتقال لمعارضين عراقيين في الكويت أدت الى وفاة بعضهم بسبب تعرضهم للتعذيب.

فقد نقلت صحيفة (التيار الجديد) في الصفحة الأولى من عددها رقم ٤٣ السنة الثانية الصادر في ٣٠/ك٢/١٩٨٥ وتحت عنوان (أول عراقي يستشهد جراء التعذيب الكويتي) خبراً جاء فيه:

"استشهد في مستشفى الصباح، وعلى أثر التعذيب الوحشي الذي تعرض له من قبل افراد في مديرية أمن الدولة (المخابرات العامة) المواطن العراقي المدعو (فاضل عبود محمد)، الذي تم اعتقاله صباح يوم ١٨/١١/١٩٨٥ ، ودون أي مسوغ قانوني. وقد تكتمت السلطات الكويتية تكتماً كاملاً حول هذا الموضوع ولم تسمح لأي جهة بالاطلاع على القضية وملابساتها، ومن الجدير ذكره أن الشهيد من أهالي البصرة ومن مواليد ١٩٤٦ ويعمل موظفاً بسيطاً في وزارة التربية الكويتية. وقد تحدث الى مراسلنا في الكويت عدد من زملائه حول اسباب اعتقاله فقالوا: انه وقبل يوم من اعتقاله تقدم الى السفارة العراقية بطلب تمديد جواز سفره وفي اليوم التالي اقتاده رجال أمن الدولة الى المقر في منطقة الشرق وهناك طلبوا منه الاعتراف بتعاطفه مع الحركة الاسلامية؟ وطبقاً لشهود عيان فانه قد مورست

(١) العدوان العراقي على الكويت ـ الحقيقة والمأساة، مركز البحوث والدراسات الكويتية، ١٩٩٤ ، ص ٧٩ ـ ٨٠ .

ضده عمليات تعذيب وحشية وبشعة انهار على أثرها وادخل الى المستشفى ، حيث فارق الحياة بعد ايام قليلة متأثراً بجراحه.

ويذكر أن هذه هي المرة الأولى التي يقتل فيها مواطن عراقي على ايدي الأجهزة الأمنية الكويتية، حيث سبق وأن توفي في تموز الماضي خمسة مواطنين ايرانيين وعدد من الهنود في عمليات مماثلة.

ونقلاً عن صحيفة (التيار الجديد) (العدد ٤٥) الصادر في ١٩٨٦/١/٢٧ نعت منظمة حقوق الإنسان في العراق - في المنفى - وفاة مواطن عراقي في الكويت بسبب التعذيب.

فقد وصلت الى المنظمة أخبار تفيد بأن المواطن العراقي السيد فاضل عبود محمد قد توفي يوم ١٩٨٥/١٢/٦ في المستشفى الأميري في الجناح الثامن، وذكرت هذه الأنباء بأنه قد اعتقل يوم ١٩٨٥/١١/١٧ بدون اذن من المحكمة، ويقال بأن سبب الوفاة كان نتيجة التعذيب الشديد الذي تعرض له هذا الشخص، وقد ذكر كذلك بأنه أصيب بالعمى بعد اعتقاله.

ان السيد فاضل عبود محمد من مواليد عام ١٩٤٦ وهو من مدينة البصرة بالعراق وعمل موظفاً في وزارة التربية الكويتية.

ان منظمة حقوق الإنسان في العراق تأمل من الحكومة الكويتية أن تعلن للرأي العام عن اسباب اعتقال ووفاة الشخص المذكور، وان تحاسب المسببين لهذا الحادث وتقدمهم الى محاكم قانونية.

والصحيح أن المواطن العراقي فاضل عبود محمد لم يكن أول ضحية اذ يُشار في لوائح العفو الدولية، الى وفاة العراقي رعد كاظم المستخدم في وزارة التربية الكويتية باعتبارها من الحالات الخاصة المتسمة بالكثير من القسوة، فقد اعتقل رعد كاظم في عام ١٩٨٤ من قبل أمن الدولة، فأبلغ معتقليه أنه يعاني من قصور كلوي. ولم يكن يتوقع أن تكون ملاحظته هذه سبباً فيما تعرض له. اذ شهر أحد رجال الأمن عصا كهربائية تستخدم في انتزاع الاعترافات عند هيئات التحقيق، ووضعها على خاصرة الموقوف الذي دخل في غيبوبة نقل على أثرها إلى مستشفى مبارك الكبير، حيث توفي بعد يومين، ودُفن في مكان ظل مجهولاً على عائلته حتى اليوم.

وكان زميل المغدور، قد زارني في منزلي بدمشق في اليوم الثاني من عيد الأضحى المبارك ١٤١٥ ـ ١٩٩٥ ، وتحدث عن تفاصيل اضافية، وأفاد بأنه بعد أن امضى أكثر من عشرين عاماً في الكويت، تعرض لاستجواب أمني حول سبب عدم زيارته للعراق. ولم يقتنع الأمن الكويتي بالأعذار التي عرضها، مصراً على أن السبب يتصل أو يوحي بأن هذا الرجل محتج على سياسة بغداد، أو معارض لها، فأمر بمغادرة الكويت سلماً، وحدثني هذا الرجل نفسه، وهو في الخامسة والخمسين من عمره، أن مشعل الأحمد المسؤول عن الأمن الكويتي حمل كتاباً من وزارة الداخلية الكويتية تطلب فيه اتخاذ اجراءات ضد شخصية كويتية من أصل عراقي، بناء على توصية من الرئيس صدام حسين قائلاً للشخص المعني بالكتاب، وهو من آل القزويني، انه يرفض تنفيذ ما جاء في هذا الكتاب. وأن الحكومة العراقية لم تعد تكتفي بأن نطارد من يشتبه بهم من العراقيين، فأخذت تتدخل بشؤوننا الى حد استجواب الكويتيين أمثالكم.

ويضيف هذا الشاهد، أن الأحمد وفر حماية خاصة للشخص الذي طلبت الحكومة العراقية معاقبته.

وهذه من الحالات النادرة، والتي لو عممت في حينها لاختزل الكويتيون الكثير من التضحيات.

وساهمت الى جانب الأمن الكويتي، دول عربية أخرى متحالفة مع بغداد، بتسليم من يشتبه بأنهم معارضون عراقيون الى الحكومة العراقية.

ففي الرابع من آب ١٩٨٨ سلمت الداخلية المصرية، ثلاثة طلاب عراقيين متزوجين من مصريات ويقيمون في القاهرة منذ أكثر من عشر سنوات، الى مسؤول الأمن في السفارة العراقية في القاهرة، وجرى تسفيرهم مكبلين الى بغداد.

وكان كل من صادق صالح مهدي الطالب في معهد الدراسات العربية في القاهرة، وأحمد محمد مهدي الطالب في كلية الحقوق، وزميلهما فيصل محمود السعدي قد أُعتقلا منذ أيار/مايو من ذلك العام وفي العاشر من تموز ١٩٨٨ أفرجت محكمة مصرية برئاسة المستشار رجاء العربي عنهم بعد الحكم ببراءتهم، لكنهم اقتيدوا وباتفاق بين الأمن المصري والسفارة العراقية الى مكتب وزير الداخلية اللواء زكي بدر الذي سلم للقنصل العراقي الموجود في مكتبه آنذاك

العراقيين الثلاثة. ولم يُعرف حتى الآن شيء عن مصيرهم [١].

وتطرفت أجهزة الأمن الكويتي في مطاردة ليس معارضي النظام العراقي فحسب وانما اولئك الذين تتهمهم سلطة بغداد بتخلفهم عن الخدمة العسكرية ورفضهم الذهاب الى جبهة الحرب العراقية . الايرانية فألقت القبض على عدد منهم وقادتهم الى أمن البصرة حيث جرى اعدامهم هناك ومن بين هؤلاء السيد صبحي جبير المحسناوي من أهالي ناحية الوركاء قضاء الرميثة ومهنته تاجر وقد أقتيد مع شقيقه الصغير الذي أعدم هو الآخر وعمره ١٧ عاماً، والسيد مدلول ناجي حسين من عشيرة الظوالم ناحية الوركاء . قضاء الرميثة.

وأُعدم من أهالي السماوة علي عبد الحسن. ولأن المواطن العراقي لفتة نعمة سوادي، ويعمل في محل ميكانيك، لم يراجع السفارة العراقية فقد أوعز مسؤول المخابرات فيها الى مسؤولي الأمن الكويتي بالقاء القبض عليه وتسفيره الى بغداد حيث أعدم هناك.

وكانت فرقة من الشباب العراقي المعارض قد شُكلت بعد اجتياح الكويت لمطاردة مسؤولين في الأمن الكويتي، اتهموا باعمال التعذيب أو في تسفير العراقيين المعارضين لتصفيتهم في بغداد، وقد علمتُ في حينها أن ضابطاً كويتياً يدعى ماجد الماجد كان على وشك أن يكون أول هدف لعملية اغتيال تقوم بها تلك الفرقة، لكن تسرب خبر هذه الفرقة وبلوغه الى اسماع علماء دين عراقيين مقيمين في الشام جعلهم يسارعون للإفتاء بتحريم القيام بأعمال من شأنها ايذاء مسلمين يعيشون في المنفى مبعدين عن بلادهم بالقوة واعتبار كل كويتي مهما كانت طبيعة عمله السابق مظلوماً لا يجوز أن يقع عليه الظلم.

وأثناء لقاء في شهر كانون الأول ١٩٩٤ بمكتب الشيخ ناصر المحمد، وزير الديوان الأميري، وبحضوره، سألني الأستاذ ضاري العثمان المستشار في الديوان الأميري، أن كنت آمن على نفسي في الكويت، أو في بلد عربي خليجي، من احتمال تعرضي لاغتيال مثلاً. فأجبته!

ان من يتصدى لمثل مهمتي، فلن يتوقف كثيراً عند سؤال كهذا، باعتبار

(١) عن تقرير لمنظمة العفو الدولية. راجع جريدة التيار الجديد ١٩٨٨/٨/١٧ .

معارضي نظام كنظام صدام حسين، هم من الناس الذين يكتبون ليموتوا، وليس هم من فريق آخر ربما التقيتم بهم كثيراً. . . فريق من يكتب ليعيش. . فاذا اتفقنا عند هذه الملاحظة، فاسمح لي بأن استطرد للجواب على سؤالكم.

ان جزءاً من استراتيجية الأمن العراقي كانت مبنية، في محيطها الخليجي، وبعض الدول العربية كالأردن والمغرب، على:

١ . استخدام المؤسسات الأمنية في تلك الدول ذراعاً ضارباً وخطاً دفاعياً متقدماً، ساعد على تضييق حركة المعارض العراقي. وفي بعض الأحيان يجري الاستجواب في منافذ الحدود عن هوية العراقي، وما اذا كان مع السلطة كي يسمح له بدخول الكويت، أم كان خارجها ليظل خارج الكويت. وهذه الحالة ما زالت قائمة في المنافذ الاردنية حتى هذا اليوم.

من جانب آخر، فقد ساعد على اتساع دائرة الاغتيال السياسي السهل، أن الأمن الكويتي لا يواصل اجراء التحقيق في حوادث كانت الكويت مسرحاً لها، أو أنه لا ينشر ما توصل اليه المحققون من نتائج، رغم أن الاغتيالات العراقية طالت شخصيات كبيرة كالسيد مروان التكريتي نائب رئيس الجمهورية، والدكتور جاسم المشهداني قطب المعارضة المعروف، والسيد علي ياسين ممثل منظمة التحرير الفلسطينية.

واذا كان عسيراً على الأمن الكويتي مواجهة حوادث الاغتيال على أرضه، فكان ممكناً تسريب معلومات للاعلام الخارجي، وجر اذن سلطة الاغتيال على الأقل والظهور بمظهر من لا يتستر على جرائم كهذه.

٢ . استخدام المال العربي بما يجعل صدام حسين قادراً على رصد أية ميزانية أمنية، فيما هو اليوم مكبل بما لديه من قدرة مالية، وليس بقدرة الخليج الهائلة.

٣ . كان الاعلام العربي يوفر الغطاء اللازم لعمليات التصفية التي حدث بعضها على ارضكم. ففي اغتيال المعارض العراقي الدكتور جاسم المشهداني في شارع فهد السالم شتاء عام ١٩٨١ لجأت بعض الصحف الكويتية في اليوم التالي ولتبرير عملية الاغتيال، الى راديو ميليشيات الكتائب اللبنانية واعتمدت تعقيبه على العملية، في حالة نادرة، لأن اعلام المليشيات لا يشكل مرجعاً معترفاً به.

٤ . وفي تفاصيل اضافية اخرى، فان السيارات المفخخة التي كانت المخابرات

العراقية توزعها على جوارها العربي والاسلامي ، كانت تحمل لوحات كويتية، او ترسل الى تلك الدول باوراق رسمية تجهزها نوادي السيارات الكويتية او ترسل تلك النوادي بالعدد المطلوب من (التربتكت) موقعة ومصادقاًعليها. ويترك للاجهزة العراقية ملأها بالمعلومات والاسماء والارقام مستفيدة من كون العائدية الكويتية لاتشكل عند الاخرين شكوكاً بالارهاب فتمضي السيارات الى اهدافها بسهولة.

ويذكر ان الحكومةالعراقية قد أشارت في بيان رسمي صدر يوم الخامس من نيسان ١٩٨٠ حول اغتيال عبدالكريم الشيخلي وزير الخارجية الاسبق الى فرار منفذي العملية بسيارة تحمل رقماًكويتياً.

ومعروف ان الشيخلي كان عضواًسابقاًفي منظمة الاغتيال التي يرأسها صدام حسين ، وقد أشرف على وضع خطة اغتيال الفريق حردان التكريتي في الكويت، وتخلص صدام منه باغتياله في حي الاعظمية ببغداد في ٤ نيسان ١٩٨٠ .

٥ . تعتمد آلية الحماية الشخصية للرئيس العراقي على التسلسل التالي:

☆٣٠ ألف عسكري مدربين تدريباً خاصاً يشكلون قوات الطواريء لحماية الريس من احتمالات تمرد الحرس الجمهوري.

☆ قوات الحرس الجمهوري التي تتشكل من ١٢ فرقة لحماية الرئيس من احتمالات تمرد تقوم بها وحدات الجيش العراقي.

☆ القوات المسلحة التي تشمل الجيش العراقي والبوليس والمليشيا الحزبية، لحماية الريس من احتمالات ثورة ينهض بها الشعب العراقي.

ان هذه الآلية قد تحول دون قيام انقلاب عسكري، ودون قيام ثورة شعبية ، لكنها لاتمنع احتمال الاغتيال الشخصي الذي قد يحدث من قبل أحد افراد حاشية الرئيس . وأمام هذا الاحتمال ، فانه يستخدم نظرية تجويف المحيط والتي تقضي بغارات مفاجئة من الاقالة والعزل والنقل التي يكون ضحاياها رجال الحاشية وهؤلاء يتعرضون الى عمليات تصفية جسدية مستمرة.

جدول بالاختراقات العراقية للامن الكويتي
وصمت الجانب الكويتي او التستر على الفاعلين

اغتيال حردان التكريتي نائب رئيس الجمهورية في ٣١/ ٣/ ١٩٧٢

اغتيال علي ياسين مدير مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في ١٥/ ٦/ ١٩٧٨

محاولة فاشلة لاغتيال بديله عوني طاش في ٢١/ ٦/ ١٩٨٠

محاولة تفجير منزل رئيس الوزراء الكويتي في ٧/ ٤/ ١٩٧٢

اغتيال المعارض العراقي الدكتور جاسم المشهداني في ٨/ ٢/ ١٩٨١

تفجير مكتب الخطوط السورية في ١/ ٧/ ١٩٧٦

تفجير المنطقة الصناعية بالشويخ في ٢٥/ ٦/ ١٩٧٦

تفجير واحراق مجمع مناقيش لمستودعات النفط في ٢٧/ ٥/ ١٩٧٨

تعرضت الخطوط الكويتية لاختطاف ٥ طائرات وهي اعلى نسبة اختطاف بين الطائرات المدنية في شركة واحدة.

تعرضت صحيفتان يوميتان لتفجيرهما (الرأي العام والانباء)

وبعد قيام الثورة الايرانية اصبحت الساحة الكويتية ميداناً مفضلاً لتخريب عراقي - ايراني في وقت واحد.

فقد تعرض عدد من الدبلوماسيين الكويتيين الى الاغتيال في نيودلهي وكراتشي ومدريد، وجرت محاولات اغتيال منها:

☆ محاولة اغتيال احمد الجار الله صاحب جريدة السياسة في ٢/ ٢/ ١٩٨٥

☆ محاولة اغتيال امير الكويت الشيخ جابر الأحمد في ٢٥ /٥/ ١٩٨٥

☆ وفجرت منازل وشركات ايرانية . كما اغتيل دبلوماسي عراقي مع

ابنه في السفارة العراقية في الكويت. وكان وزير الخارجية الايراني، صادق قطب زادة، قد تعرض لمحاولة اغتيال اثناء زيارته للكويت. وتم اختطاف عدد من العراقيين ونقلهم الى بغداد.

في هذه الاحداث لم يتحرك الامن الكويتي، ولم نعرف "هوية" الفاعلين.

(للمزيد من التفاصيل يراجع الكتاب القيم للدكتور عبدالرضا على اسيري الموسوم، الكويت في السياسة العراقية المعاصرة.)

وما دام الأمن الكويتي الآن خارج النفوذ العراقي وكذا الاعلام. وحيث لم تعد أبواب المصارف مفتوحة لصدام حسين، فان احتمال تعرض المعارض العراقي الى خطر سيكون أقل حتماً في بلادكم.

وفي كل الأحوال، فان من يتولى مهمة التصدي الإعلامي والسياسي لسلطة فاقدة لشروطها، فعليه أن يتوقع الكثير مما يصدر عن دولة بلا شروط!

ان صدام حسين حقق من خلال الأمن الكويتي أحلامه في توسيع جغرافيا الدم. قبل أن تتهيأ له فرصة الاجتياح ليتحقق كامل حلمه الكبير في رؤية جغرافيا الكويت مصبوغة بلون النجيع.



الضم على الطريقة الأمريكيّة

محاولة صدّام حسين



ثوابت الضم

بعد جولة داخل مالا يقل عن مئة كتاب ودراسة معنية باستقصاء اسباب الاجتياح ودوافعه، أوشك الرقم أن يزحف الى الدافع العاشر.

وعندما تتعدد وجهات النظر وتتعدد معها دوافع حدث سياسي، فان ذلك لا يرتبط بقصور الباحث عن الامساك بالسبب الحقيقي، كما يرتبط بخلل في أصل قرار الاجتياح، انعكاساً لخلل متوقع في صاحب القرار، وعدم التزامه بثوابت تشكل للباحثين مرجعية مأمونة صادقة.

وبالقدر الذي يتصل بالثاني من آب، فان صاحب القرار سيكون أمام فحص متعدد الجوانب قبل كتابة التقرير الصحيح عن السبب الرئيسي للاجتياح.

نحن نميل في تقسيم الدوافع الى مركزية تشكل احدى ثوابت السلطة، وثانوية تتصل بردود فعل آنية، وطموحات شخصية.

أما ثوابت الضم فهي:

١ . توسيع ديموغرافيا السلطة لتصحيح المعادلة السكانية، وايصالها الى نسب مقبولة، تقلل من حجم الاحتكار الفئوي الفاضح والموروث منذ الاتفاق العرفي ما بين المندوب السامي البريطاني برسي كوكس والشيخ عبد الرحمن النقيب .

٢ . التوسيع البسماركي استناداً الى برنامج التثقيف الذي تبناه الاستاذ ساطع الحصري، وأعجب به زعماء السياسة العراقية أمثال ياسين الهاشمي ورشيد عالي الكيلاني والملك غازي ومعظم العسكريين.

واذ نتشبث بهذين الثابتين، فلأن دعاة الضم الأوائل لم يعيشوا في عصر انفجار الثروة النفطية الهائلة في الكويت، لإلصاق اسباب الطمع بالثروة، ولأن ظروف الثقافة الرائجة، واتجاهات الفكرالسياسي، كانت في تلك الفترة، شبه محتكرة للتيار البسماركي، غير أن ما يطرح من اسباب الضم الأخرى، سيكون قابلاً للأخذ به

بعد ظهور النفط في الكويت، وظهور قادة عراقيين يعانون من مشكلات داخلية، وانقسامات سياسية. وآخرين فاجأتهم مشكلات لم يكونوا قادرين على التعامل معها، فخرجوا بأزماتهم الى الحدود، فنشأت الاسباب الثانوية لغزو الكويت في الثاني من آب ١٩٩٠ ، وهي اسباب معلنة جرى التركيز عليها، وأخرى سرية يجري التعتيم عليها، وثالثة تتصل بسايكلوجية صدام حسين:

أولاً . السبب الاقتصادي وعليه شبه اتفاق في معظم ما كتب عن أزمة الكويت استناداً الى الاتهامات العراقية للكويت والامارات بانهما يتآمران في الأوبك على العراق، وما ظهر من شكوى الرئيس العراقي لعدد من الدبلوماسيين الأميركان والزوار الأجانب في مسألة الحاجة الى ايفاء ديون حربه ضد ايران. ويجد الكتاب الأجانب في السبب الاقتصادي بعض ما يرتاحون اليه من اسباب فبالغوا في التركيز عليه.

ثانياً . ان صدام حسين، وحده، كان يعلم جيداً، أنه لم يخرج من الحرب العراقية . الإيرانية منتصراً ذلك أن حرباً تستمر ثماني سنوات فانما تعني أن طرفاً لم ينتصر على الآخر، وأنهما يخضعان لبرنامج موت بطيء يسمى عادة بحرب الاستنزاف. ولأن صدام حسين مولع بالبطولة، حالماً بأيام الفتوحات، ليسد عقدته باعتباره الرئيس العراقي الوحيد من خارج المؤسسة العسكرية فلعله سيدخل الكويت، لا كما دخل ايران . متنزهاً حاصلاً على البطولة السهلة بعد الفشل الصعب في الحرب العراقية . الايرانية.

ثالثاً . ومن يعرف صدام حسين يعترف انه لا يحمل مشاعر طيبة ازاء القادة الكويتيين بشكل خاص، وكانت تعاليمه الصارمة تلزم قادة الحزب والسلطة الذين يلتقون بنظرائهم الكويتيين، أن يتصرفوا بما يشعر الكويتي أنه في درجة أدنى.

ومناط ذلك يعود الى حوادث ملموسة، فقد غادر وزير التربية العراقي أواخر السبعينات الى الكويت، بزيارة رسمية، فلم يجد في المطار نظيره الكويتي الذي بعث وكيل الوزارة مندوباً عنه خلافاً لقواعد البروتوكول.

وقدمت صورة منشورة في صحف كويتية للسيد عزت الدوري عضو مجلس قيادة الثورة وزير الداخلية آنذاك، وهو يجلس القرفصاء خائفاً أو كالمرعوب الى

جانب الشيخ سعد العبد الله على أريكة واحدة، فاستشاط صدام غضباً وأوعز في الحال لأي عراقي يوفد بمهمة الى الكويت، أن يجلس بطريقة مهينة لنظيره الكويتي. وقد حدثني أمير عربي، أن صدام حسين انفرد به أكثر من ساعتين كان محور حديثه يدور حول انتقاداته للقادة الكويتيين، والى الشعب الكويتي الى حد.

فقد سأل صدام ضيفه: عن اتعس العرب؟ وأكثرهم خروجاً على قواعد العروبة وأصولها؟ فاعتذر الأمير عن أن يكون طرفاً في شتيمة كهذه، لكن صدام حسين عاد ليقول له:

اذا لم تكن تعرفهم فهم الكويتيون، وكانت دهشة الأمير قوية. فالكويتيون في تلك الفترة مجندون بعواطفهم وصحفهم وشعرائهم وتبرعاتهم لخدمة صدام حسين.

وحين يحمل سياسي عربي في أعلى مراكز السلطة مشاعر حقد كهذه، فقد تأتي اللحظة التي يعبر فيها عملياً عما يفرغ به خزين الأحقاد. فتدخل نظرية تفريغ الحقد طرفاً في تفسير طريقة الدخول العراقي الى الكويت.

رابعاً. وقد يفسر الاجتياح عندما يربط بالسبب السابق على انه محاولة لتوسيع جغرافيا الدم وكأنه بالاجتياح وبالدماء المطلولة هدراً بلا سبب سيرضي نزعة في أعماقه ورغبة من رغباته.

الحق.. خارج التاريخ

لم يسهم هذا الكتاب باضافة صفحات أخرى للهرم الورقي المبني على قاعدة الحق التاريخي أو ما يسمى بالحجية التاريخية حيث أسرف كل من الفريقين في الاستشهاد والاستدلال على أن الحق التاريخي معه وليس عليه.

ان الجانب العراقي هو الذي أثار مبدأ الحق التاريخي في الكويت مستنداً الى كون الشيخ مبارك الصباح قائمقاماً والكويت قائمقامية والبصرة هي المتصرفية.

قبل اجتياح الكويت صدرت في بغداد مجموعة من الكتب عن مركز دراسات

الخليج في البصرة وعن جامعة بغداد، ولضباط ووزراء متقاعدين وهي تشير بطريقة وأخرى الى عائدية الكويت للعراق.

والى جانب مبدأ الحق التاريخي فقد طُرح مبدأ الحق القومي وظهر العراق وكأنه يقوم بحركة تصحيح لاعوجاجات التاريخ باعتبار الوطن العربي واحداً لكنه خضع للتجزئة الاستعمارية.

ان استخدام مبدأ الحق القومي ينبغي أن يكون شاملاً في عدم الاعتراف بدولة التجزئة لكن دولةالتجزئة مجازة قومياً منذ أن أقام الأمير فيصل بن الحسين أول دولة انفصالية في سورية، وتبعه شقيقه عبد الله باقامة امارة شرقي الأردن.

وباعتقادنا فان دراسات الحق التاريخي والحق القومي لا ينبغي أن تستأثر باهتمام بالغ بعد ظهور حق جديد هو الحق الوطني، فيموت الجندي العربي شهيداً تحت علمه العراقي أو المصري أو السوري وأصبح لمفهوم الوطن القطري (دولة التجزئة) من القدسية الميدانية أكثر مما لعموم الوطن العربي ولكل دولة تجزئة نشيد وطني وحدود وطنية وتراب وطني حتى أوشكت اية اشارة لإلغاء معلم من معالم التجزئة الوطنية بمثابة الغاء لإنسانية المواطن في تلك الدولة.

ومن هنا أرى أنه تتوقف مراكز البحث العلمي والأكاديمي عن الاستغراق في المحاججات التاريخية وأن ينصرف الجهد حول الحق الوطني مع بقاء الحق القومي في عالم المثال والحلم الجميل.

من المفارقات أن يعلن الزعيم عبد الكريم قاسم في مؤتمره الصحفي في حزيران ١٩٦١ عن عائدية الكويت الى العراق مستخدماً الحجية التاريخية والحق القومي وقد استمعت الى تفاصيل المؤتمر من راديو ترانسستور سُمح لنا بادخاله الى معتقل عسكري قريب من الحدود العراقية . الايرانية كنا نمضي فيه مدة غير محدودة من الاعتقال ولما لم تصل تعليمات حزبية الى مسؤولنا داخل المعسكر فقد سألني ما اذا كان ممكناً تجميع افكار من الذاكرة وتقديم محاضرة ثقافية دون أن تكون معبرة عن وجهة نظر الحزب والقائها في احدى قاعدات المعتقل الفسيحة فعكفت على كتابة محاضرة حول مطالبة عبد الكريم قاسم بالكويت والقيتها في المعتقل متمتعاً بحرية لا يتمتع بها من هم خارج اسوار المعتقل فقد كان عبد الكريم قاسم يعتبر وضع السياسي رهن الاعتقال هو أكبر اجراء لنزع الحرية عنه فلا

يجوز الضغط على منزوعي الحرية بنزع المزيد منها وهم في السجن والمعتقل.

وفي عام ١٩٨٣ أودعت معظم فقرات تلك المحاضرة مع ما استجد من تطورات في كتابي الموسوم عبد الكريم قاسم رؤية بعد العشرين وختمت الفصل برسالة الى الكويتيين انهم قد يحتاجون هذه الرؤية عند أية مطالبة جديدة بالكويت من قبل العراق.

وهذه فقرات اساسية من تلك الرؤية مستنسخة من صفحات ذلك الكتاب الذي مضى على صدوره اثنا عشر عاماً، ومضى على القاء المحاضرة اربع وثلاثون سنة!.

ان التاريخ كحقيقة مبدأ قد يكون اساساً معتمداً في القانون الدولي لكنه لا يصلح مرجعاً في اصدار قرار على قضية حدودية في المنطقة العربية. فالعرب ليسوا كالأوروبيين أمم شتى على دول مختلفة يستعان بالتاريخ على تحديد هوية مساحة من الأرض أو دولة على ضوئه.

ان التاريخ كحقيقة قابل للاستخدام في القانون الدولي بين مجموع الحدود العربية مع جيرانها غير العرب لكنه حين يستخدم لمعرفة عائدية جزء عن جزء فانه يبدو باطلاً باقرار واعتراف جميع الأطراف العربية والتي تتفق في مناهجها الدراسية وبرامجها الثقافية على أن العرب أمة واحدة وأن الوطن العربي كل لا يتجزأ وأن الاستعمار العالمي هو الذي أوجد حالة التجزئة وأقام دولاً عربية بدلاً من الدولة الواحدة، وبهذا المنطق يكون قيام الدولة في الكويت عملاً مرفوضاً في المثل القومي وفي التاريخ رفضاً مساوياً لبطلان قيام دولة في الأردن ودولة في العراق ودولة في تونس.

ان الدليل التاريخي بعائدية الكويت يمكن أن يستخدم ذاته للتدليل على عائدية الأردن ولبنان لسورية.

لكن الاعتراف تم بهذه الدول من قبل المشروع القومي العربي نفسه وبوضعها الراهن واعتبارها ضمن العمل بالممكن على أن يظل التاريخ في دائرة الطموح.

وحيث أقيمت جامعة الدول العربية لتثبيت هذا الواقع السياسي وهو مخالف للحقيقة التاريخية وحيث أن العراق أقر ميثاق الجامعة العربية وتصرف خلال السنوات التي سبقت مطالبته بالكويت، فان الوضع الاستثنائي لقيام الحكومات

العربية أصبح حقيقة سياسية منفصلة عن الحق القومي السابق وعن كل وضع سابق لإقرار الشكل العراقي بعد قيام دولته وأن ما يبقى خارجاً عن هذا الشكل يبقى ملكاً للحقيقة التاريخية أي أن المطالبة بالكويت تصبح فعلاً خارج الحق الاقليمي رغم ذلك فان حق الكويتيين في اقامة دولة لهم اسوة بالاردنيين والعراقيين وغيرهم قد لا يتيسر الدفاع عنه لو اخفقوا في ادارة الدولة وتخبطوا في متاهات قد تضعف الحجة في حق اقامة الدولة التي توصل اليها الكويتيون.

بينما الملاحظ أن الكويتيين أنجزوا لهم الدستور الدائم وانتهجوا سياسة خارجية لا تكسب لهم نفرة العالم وتعاملوا في الداخل بطريقة جعلت الكويتي سيداً على أمره فحفظت الدولة كرامة مواطنيها ولم تلجأ الى العنف والانتقام في مواجهة الاشكالات الاجتماعية والسياسية، وأنجزت مستوى حضارياً فرض معالمه على الصحراء القاحلة الى جانب توزيع ذكي للدخل القومي وقدره على الخروج بنتائج متجانسة في عملية بناء ساهمت فيها شعوب تنتمي الى اثنتين وثمانين جنسية ولم يتعرضوا لنكسات دموية ولم يفقدوا توازنهم السياسي فأصبحت الكويت مكاناً مطلوباً بل محسوداً للعراقيين الذين عانوا خلال الثلاثين عاماً الماضية من تدهور في العلاقات الانسانية وتمزق في البنية الاجتماعية وتعرضت نخبهم المثقفة الى عمليات النفي والتشرد [1].

لكن أهم مرجعين في الحجية التاريخية لم يصدر عن مركز كويتي.

ان الأول وضعه كاتب مصري هو الدكتور يواقيم رزق مرقص بعنوان (الحق التاريخي وأزمة الخليج العربي) عن مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام ١٩٩١ والثاني لمعارض عراقي هو الباحث محمد علي عابدين المقيم في كوة علمية من كوى مدينة قُم في ايران وعنوانه (الحجية التاريخية لاحتلال الكويت) عن دار المصطفى ١٩٩٣ .

ومن غريب الصدف أن يلتقي الكتابان بعدد واحد من الصفحات (١٣٤ صفحة لكل منهما) من الحجم المتوسط وأن يلتقيا في حياد علمي قد لا يتوافر لسواهما وأن يكون كل منهما شبه مهمل في الاهتمام الاعلامي الرسمي

(١) المصدرالسابق - ص ٥٧ - ٦٠ .

للكويتيين ربما لأن الدكتور يواقيم رزق مرقص والاستاذ الباحث محمد علي عابدين لم يعرفا الطريق التي سار عليها الآخرون.

ان كتاب يواقيم رزق مرقص يُغني بصفحاته اليسيرة عن اقتناء مراجع ثقيلة الوزن عريضة المنكبين وكذا هو الحجية التاريخية لمحمد علي عابدين.

نظرية تفريغ القوة

لكننا نضع سبباً هو تفريغ القوة على رأس جميع الأسباب الثانوية والمباشرة لعملية الغزو، ويرتبط بمشروع جورج براون في جذوره الأولى وترشيح صدام حسين لتحرك سريع بعد سقوط الشاه، ومعروف أن الرئيس العراقي يتمسك بمبدأ المكافأة كثمن سياسي في أداء دور للآخر، ولعله جرب هذه القاعدة عندما كوفيء بتقديم سلطة مشتركة سهلة في ١٧ تموز ١٩٦٨ استعداداً لدور سيكون خطيراً بعد انسحاب بريطانيا من الخليج وظهور محاولات الشاه لملء الفراغ وسقوط الأخير غير المتوقع[١].

وصدام حسين كوفيء ايضاً بانفراده بالسلطة عام ١٩٧٩ مقابل خروجه من مشروع الوحدة مع سورية الذي كان سيشكل اضخم تحدٍ استراتيجي لمواجهة اسرائيل ممتداً من دمشق الى طهران بعد خروج مصر من ساحة الصراع العربي الاسرائيلي. وسيطالب صدام حسين بالمكافأة الكبرى عندما سيشن حرب المليوني قتيل وسيعرض لاحقاً على السفيرة الأميركية ايرل كلاسبي تبرمه من أن أمريكا لا تحمي أصدقاءها ويقول: أؤكد لكم أن الإيرانيين لو كانوا قد سيطروا على المنطقة لكان من المستحيل ايقافهم الا بالسلاح النووي، هل هذه هي مكافأة العراق بعد ان ساهم في تأمين المنطقة وقام بحمايتها من خطر لا مثيل له[٢].

(١) راجع تفاصيل اخرى عن هذا الموضوع في كتابنا - دولة الاستعارة القومية من فيصل الأول إلى صدام حسين - دار الزوراء لندن - ١٩٩٣ .

(٢) من مقابلة صدام للسفيرة الأميركية في ٢٥ تموز ١٩٩٠ .

وبهذه اللغة الحاسمة والواضحة يعلن الرئيس العراقي أسباب حربه الحقيقية ضد ايران والتي لم تكن (دفاعاً عن الأمة العربية من الأطماع الفارسية) بل لعله أخرج قادسية صدام من دائرة الصراع العربي الفارسي الى ما نسميه بحرب النيابة. وأعلن الى جانب ذلك تأكيده على مبدأ المكافأة. ولم يتأخر عن الاعلان بعد أيام من الاجتياح مستغرباً من تلك الضجة قائلاً: انها مكافأتي، وكان صدام قد اعتاد اظهار استغرابه من أي انزعاج غربي ازاء تصرفاته لأنه لا يستطيع أن يفهم لماذا ينتقده الغرب الذي طالما تقبل تصرفاته بصدر رحب [١].

ان صدام حسين بذكائه الذي لا ينكر كان دائماً يستشرف ما وراء العروض السخية لأي موفد غربي، وكان يفهم أن علاقته مع براون خاضعة لمبدأ القبول بتبادل المهمات غير المجاني، وكان يدرك أن دخول حرب ضد ايران سيستنزف ترسانة السلاح الرهيب الذي تركه الشاه ويرغب الغرب بالتخلص منه وأن أيسر الطرق وأكثرها رواجاً ومنطقية لتفريغ القوة هو استخدام القوة وعندما بدأت الحرب واستمرت مدة غير متوقعة من قبل الجانب العراقي أصبح على الغرب أن يمد حليفه بالسلاح القادر على تدمير سلاح الطرف الآخر. (فبفضل ترحيب الديمقراطيات الغربية به وتواطئها معه انفق العراق في سنة ١٩٨٤ ، ١٤ مليار دولار على شراء الأسلحة أي ما يوازي نصف انتاجه الوطني الخام، وبين ٨٢ . ١٩٨٥ استورد بما يقرب من ٤٣ مليار دولار أسلحة. وكان على امتداد السنوات القليلة الماضية أكبر مستورد للمعدات العسكرية في العالم واحتكر لنفسه ما يقرب من ١٠٪ من السلاح الذي بيع على وجه الأرض) [٢].

وانتهت الحرب وللعراق ٢٥ فرقة مقابل ١٠ فرق سنة ١٩٨٠ ، ومليون جندي في لياقة كاملة للقتال وحوالي ٥٠٠٠ آلاف طائرة و٥٥٠٠ دبابة وهو أكثر مما تملكه الولايات المتحدة الأميركية والمانيا الاتحادية معاً[٣].

لقد تشكلت جدلية السلاح وعادت نظرية تفريغ القوة التي كانت سبباً من

(١) بيير سالنجر، اريك لوران ـ حرب الخليج الملفات السرية، ترجمة: عزمي مخلوف ١٩٩١ ـ القاهرة ص ٤٦ .

(٢) المصدر السابق، ص ٤٣ .

(٣) المصدر السابق، ص ٢٧ .

أسباب الحرب العراقية ـ الإيرانية للتخلص من أسلحة الشاه، فصدام حسين هذه المرة يمتلك اسلحة تفوق ما كان قد تركه الشاه لخلفائه فمن يضمن عدم حدوث تغيير مفاجيء في العراق فيكون هذا السلاح الهائل تحت تصرف سلطة متمردة على القرار الغربي . ومن يضمن ألاّ تدفع هذه القوة صدام حسين نفسه الى التصرف بطريقة مستقلة وقد يهدد اسرائيل لإرضاء الشارع العربي ولعله فعل ذلك فلم يبق امام اصحاب القرار سوى أن يضعوا خياراً واحداً من بين اثنين لصدام حسين وعليه أن يقرر ما اذا كان مستعداً لأن يتنازل عن سلطته أو يتنازل عن سلاحه غير المرغوب [1] به، وهكذا ظهرت ملامح لتطبيقات ترتبط بمبدأ تفريغ القوة حتى يمكن القول أن حرب الكويت هي حرب نزع السلاح أولاً لتستمر السلطة في بغداد ثانياً. ولعلنا عرضنا ما قد يُبطل النظر الى الاجتياح كعملية ضم وطني أو قومي في مقارنته بعملية الضم البسماركي للنمسا ولاقليم السوديت.

أما العامل الاقتصادي أو ما نسميه بالضم المالي فسيظل قاسماً مشتركاً أعظم لمجموعة الكتابات والتحليلات الخاصة بالاجتياح الصادرة عن اليسار أو اليمين العربيين ممن يتعاطف مع يوم الاجتياح ومن أغاظه ذلك اليوم. واذ لا ننفي هذا العامل انما قد نقلل من نفوذه لاعتقادنا أن الرئيس صدام حسين كان قادراً في

(١) في ظاهرة لا تنم على الالتزام الوطني بدء علماء عراقيون يعملون في مجال الذرة بالسطو على ملفات خاصة بأعمالهم، والهروب بها لبيعها إلى دولة غربية. ولم يظهر موقف لفصائل المعارضة العراقية أو تقييم لحالة كهذه، فأُطبق الصمت على فريق فيما نشر أكثر من فريق أخبار هؤلاء بنوع من التعاطف. والحق انهم يتصرفون بمعلومات ليست شخصية ولا تتصل بقواعد العمل ضد السلطة. فالسلاح النووي يختلف عن الكيمياوي والبايلوجي في أنه موجه إلى خارج العراق وبالدرجة الأولى ضد اسرائيل في حالة ظهور سلطة وطنية تُعيد مكان الصراع العربي من خليج البصرة وميناء الأحمدي إلى حيفا ويافا. فيما ستظل ساحة استخدام الأسلحة الكيمياوية والبايلوجية محلية أو اقليمية وضحاياها محليون.

وسيكون ادعى للمهانة وخيانة الواجب الوطني أن يكون المتحدث عن الأسلحة العراقية عسكرياً كبرت أم صغرت رتبته.

إن على المعارضة أن لا تجعل العراق يوماً ما ريشة في مهب الريح التركية والاسرائيلية والايرانية، لا سيما ونحن نواجه تصريحات لمسؤولين اتراك عن نياتهم لمصادرة الرافدين من بلدهما القديم، ومحاولة ترسيم جديدة للحدود بحيث تصبح الموصل جزءاً من تركيا..!.

أي وقت لو شاء على اجراء (مقاصة) مصرفية بالأرقام التي سيتفق عليها دون أن يتكبد نفقات الحرب وعواقب الاجتياح. ولم يكن الاجتياح يستهدف تحقيق ضم بحري لتوسيع الساحل العراقي رغم أنه هدف عززت من نفوذه مشاعر التعاطف معه فرضية الصراع العربي الفارسي التي استساغتها السياسة الخليجية بشكل عام.

ان عروضاً علنية وأخرى سرية في التعامل مع المطاليب العراقية بروح ايجابية شرط الانسحاب من الكويت قبل هبوب العاصفة صدرت عن زعماء قادرين على الإيفاء بالتزاماتهم، وكان الكويتيون سيغضون النظر عن القليل أو الكثير مما كانوا يرفضون الاستماع اليه قبل الاجتياح.

وباعتقاد شبه جازم أن صدام حسين لو كان يستهدف تحصيل حقوق ضائعة ولو كان ما اعلنه من مطاليب وشروط هي حقاً كل مطاليبه وكل نواياه لاستثمر فرصة عدم تدهور علاقته بعد بصديقه القديم الملك فهد لممارسة سياسة بلاده التقليدية وأداء دور الوسيط الأبوي أو الأخوي مع ما يترتب على ذلك من التزامات لكان معظم شروط صدام العلنية ومطاليبه الاعلامية قد تحققت وهو لما يزل في دار الاستراحة قريباً من قبر والدته قبل أن يبني الاجتياح للعراقيين نصف مليون قبر جديد.

ربما تنغلق امام المحلل سبل الخروج بتفسير مقبول لتسارع صدام حسين الى اجتياح الكويت ولم يخصص للحوار سوى خمس ساعات في قضية معمرة تمتد الى أكثر من خمسين عاماً دون أن يولي أي اهتمام يذكر لحلول مقبولة لدى الطرفين، مما يعزز الالتصاق بنظرية تفريغ القوة سبباً للاجتياح، وسيتحول مصطلح تدمير السلاح الى عبارة أخف مثل استهلاك السلاح دفاعاً عن مصالح الأمة والوطن، فيصفق الشارع بدلاً من أن يحتج على سياسة تفريغ القوة، وتدمير مصانع وأجهزة ووسائل كلفت العراقيين خمسة عشر عاماً من ضيق المعيشة والتقشف والحرمان.

وكان أمامهم اسلوبان للتخلص من السلاح أولهما باستخدام التفريغ السلمي بتفجير مدبر لمصانع محدودة في سيناريو تبدو فيه احدى الجهات متورطة في التفجير وكان ميدان التجربة الأولى مجمعاً صناعياً قريباً من بغداد حيث يصنع السلاح الكيميائي وتمت العملية في أيلول ١٩٨٩ بصمت اعلامي، لكن الأقمار الصناعية أظهرت فداحة الكارثة فقد قتل سبعمائة شخص على الأقل واصيب مئات

أخرون بعاهات مستديمة، فادعت الحركة الاسلامية المعارضة انها هي التي دبرت عملية تفجير المجمع الحربي وهو ادعاء لا ينسجم مع قدرة الحركة الاسلامية، ولا مع طبيعة النظام الأمني شبه الاسطوري لحماية امثال تلك المصانع واستحالة الوصول اليها، الا بعد سلسلة لما يقل عن سبعة حواجز تفتيش بشري والكتروني.

ولعل النظام الأمني للمؤسسات الصناعية والصرامة السرية، تجعلان المراقب الإعلامي يتجه بأصابعه الى السلطة بتدبير أية محاولة تخريبية تطال ذلك المجمع أو سواه.

وقد تكشف وثائق في زمن يقصر أو يطول عن سر ارسال صحفي ايراني يحمل الجنسية البريطانية في شباط ١٩٩٠ لإجراء تحريات عن اسباب الانفجار وصلة ذلك السر بسيناريو تدمير السلاح ذاتياً وكان لا بد لبغداد أن تظهر وكأنها هدف لاسرائيل وايران، فالصحفي بازوفت والذي أعدم شنقاً بعد شهر من القاء القبض عليه "ايراني متهم بالتجسس لاسرائيل".

وبسبب الضجة الاعلامية التي أحدثها خبر اعدام بازوفت، باء بالفشل الاسلوب السلمي لتفريغ القوة. مما رجّح استخدام القوة لتفريغ القوة.

ان ثمة دلائل ومؤشرات تدعم القائلين بنظرية تفريغ القوة في تفسير الاجتياح منها:

أولاً - ان صدام حسين رفض بشكل قاطع جميع محاولات التوسط لسحب قواته قبل انتهاء مهلة الانذار التي حددها قرار مجلس الأمن رقم ٦٧٨ قبل ١٥/١/ ١٩٩١ .

ففي الأيام الأولى من الغزو عرض الملك فهد بن عبدالعزيز على صدام حسين ضرورة الانسحاب من الكويت مقابل وعد للنظر فيما يمكن تلبيته من مطاليب لا سيما المالية منها. ولم تخرج رسائل وخطب الرئيس المصري حسني مبارك الموجهة الى صدام حسين عن هذا الإطار.

أما رسالة الرئيس حافظ الأسد التي وجهها شخصياً الى الرئيس صدام حسين في كانون الثاني ١٩٩١ أي قبل ثلاثة أيام من انتهاء الإنذار الموجه للعراق بالانسحاب من الكويت فقد تجاوز فيها جروحاً عميقة مؤكداً أن ما يجمع بين سورية والعراق أكبر وأهم كثيراً من اية خلافات أو مكاسب آنية قد تتراءى لنا

هذا اذا صح أن نقول أننا أمام اية مكاسب، وأضاف ان حرصنا على العراق بأرضه وشعبه وجيشه كحرصنا على أنفسنا ونبه الى أن العراق سيكون في مقدمة الخاسرين من استمرار الوضع كما هو، فرفض صدام حسين هذه المبادرة جملة وتفصيلاً معلناً اصراره على القتال حتى النهاية.

ثانياً- لكنه وهو يرفض هذه المبادرات ويهدد بخوض المعركة التي منحها القاباً بلاغية لم يتحرك عسكرياً بما يوحي أنه جاد في مواجهة الولايات المتحدة الأميركية وحلفائها.

والواقع أن صدام حسين كان قادراً وبسهولة أن يلتهم الوجبات الأميركية التي كانت ترسل الى المنطقة كما لو كانت لقماً سائغة قبل أن تتجمع وتشكل جبهة على ذلك المستوى من الأعداد.

ففي ١٢ آب ١٩٩٠ وكانت أول تجربة للجنرال شوارتزكوف في مواجهة الصحافة قدم الجنرال الأميركي شرحاً مفصلاً كان يكفي الجانب العراقي لو كان جاداً في مقاتلة اميركا للخروج بنتائج عسكرية مذهلة اذ اعترف شوارشكوف أن المطوب نقل القوات والمعدات الأميركية عبر مسافة سبعة آلاف ميل في الجو واثني عشر ألف ميل بالبحر من الساحل الشرقي للولايات المتحدة، في حين أن العدد المستوفي من طائرات (سي ٥) لا يتجاوز ٢٢٩ طائرة.

ويعترف كتاب أميركي (ان شوارتزكوف حين اطلق تحذيراً بأن قواته كافية لردع صدام حسين كان الأخير لديه جيش مؤلف من مليون رجل وآلاف الدبابات وبعض الطائرات المقاتلة في حين لم تكن وحدة الدفاع الجوي الأميركية المكونة من ٢٣٠٠ جندي قد اخذت اماكنها بعد وكذا لم يكن مشاة البحرية وعددهم ١٦ الف و٥٠٠ جندي مستعدين ولم تكن هناك اية مدرعات أو دبابات حربية أميركية يمكن الحديث عنها وكان صدام حسين يعلم تمام العلم أن بمقدوره سحق هذه القوات اذا ما هاجمها فعلاً) [١].

وكان ممكناً للقوات العراقية لو كان القائد العام للقوات المسلحة مخلصاً في

(١) جاك اندرسن/ والي فان ، شوارسكوف، جنرال الخليج الغامض ، ترجمة أحمد عبد الحميد، أميرة محمد ابراهيم. دار الكتاب العربي - ١٩٩٢ - ص١٣٢ .

مواجهة اميركا أن تلحق بالقوات الأميركية خسائر كبرى خلال الاسبوعين اللذين استغرقتهما عمليات تجميع القوات الأميركية وقوات التحالف على قاعدة اللقم السائغة.

فلماذا ترك صدام حسين خصومه يتجمعون وتستكمل عدتهم وعتادهم لتوجيه تلك الضربات الموجعة للجيش العراقي وللمؤسسات المدنية علماً أن صدام حسين هو ليس من ذلك الطراز الذي يترك خصومه دون ملاحقة جرياً على نظريته في الأمن الوقائي والتي تقضي بضرب الخصم وهو في مرحلة حمل النوايا قبل أن تترجم تلك النوايا الى فعل ميداني، ولماذا يستخدم نظريته هذه ضد رفاقه في الحزب فينقضّ عليهم وضد قادة عسكريين عراقيين حذراً من أنهم قد يتآمرون عليه في يوم ما، بينما يترك الأميركان والانكليز والفرنسيين يتنزهون قبل وبعد اعياد الميلاد حول حدوده بانتظار الساعة التي ينقضون فيها على الأهداف العراقية.

الا يعطي موقف صدام حسين هذا مؤشراً واضح القسمات على شكوك بتواطؤ مسبق؟!

ثالثاً ـ وستكون المؤشرات أوضح على وجود شكوى بالتواطؤ لتنفيذ نظرية تفريغ القوة العراقية أن قوات التحالف لم تنهِ المعركة بما كان منتظراً ومتوقعاً في الاجهاز على رأس الأزمة.

رابعاً ـ وستكون مؤشرات التواطؤ أقرب الى الفضيحة عندما تحول الولايات المتحدة الأميركية دون سقوط صدام في انتفاضة آذار الشعبية ١٩٩١ وأن يستمر صدام حسين بالحكم الى يومنا هذا.

خامساً ـ ويؤكد الاعتقاد الجازم بنظرية تفريغ القوة تركيز الولايات المتحدة الأميركية بشكل خاص على قرار مجلس الأمن ٦٧٨ لتدمير القوة العسكرية العراقية فيما هي تتغافل عن قرارات أخرى مثل قرار ٦٨٨ القاضي بمنع الحكومة العراقية من ممارسة القمع ضد مواطنيها.

وقد يدعم وجهة نظرنا في تفريغ القوة، كسبب مباشر للاجتياح أن الأمم المتحدة انتدبت شخصين الأول هو اكيوس لتنفيذ قرار ٦٨٧ ، وما يتعلق بقضية تصفية السلاح. وانتدبت السيد فان دير شتويل المسؤول عن تنفيذ القرار ٦٨٨ ،

المتعلق بمنع الحكومة العراقية من ممارسة القمع ضد المواطنين وقد اعطى مجلس الأمن لاكيوس صلاحية الذهاب الى بغداد في الوقت الذي يختاره، ويدخل الأماكن التي يحدد ضرورة الكشف عن السلاح اهميتها، متى شاء. بينما ترك شتويل دونما صلاحية بحيث أن حكومة بغداد ترفض منحه تاشيرة دخول الى العراق، ولم يتحرك مجلس الأمن، بطريقة تحفظ ماء الوجه، وتذر الرماد في العيون!.

وحدد القرار ٦٨٧ شروط وقف اطلاق النار، ومسألة التعويضات والرقابة على التسلح، واستمرار الحصار، والحدود العراقية الكويتية، ونبذ الارهاب الدولي فوافقت الحكومة العراقية في ٦ نيسان (ابريل) رسمياً على هذا القرار الذي قيد حاضر ومستقبل العراق وامتهن موارده وأخضع سياسته للتعويم [١].

ويرى الدكتور عبد الحسين شعبان المتخصص في القانون الدولي، أن القرار ٦٨٧ هو إخطر قرار في تاريخ الأمم المتحدة. وتعتبر القرارات التي تبعته تنفيذاً واستكمالاً له [٢].

وكان قرار آخر صدر عن مجلس الأمن برقم ٦٩٩ في ١٧/حزيران/١٩٩١ ، قد أولى قضية تدمير الأسلحة ومرافق التصنيع العسكري أهمية خاصة.

ومعروف أن كلفة تدمير السلاح العراقي تدفع من قبل الحكومة العراقية، وتشبه هذه الحالة قرار الرئيس العراقي الذي يفرض على أهالي المحكومين بالإعدام دفع كلفة الرصاصات المستخدمة في تنفيذ الإعدام!.

وهكذا فولي الأمر الدولي، يوعز الى صدام حسين تنفيذ فكرة وقرار طالما اثارا دهشة واستياء العراقيين، في صمت عربي ودولي، حيث يخضع ولي الأمر العراقي عوائل القتلي لدفع ثمن رصاص القتل، ودية خاصة، تقدم للقاتل، وتأتي على شكل تبرع من عائلة الضحية لقادسية صدام حسين، أو تطوع بالقوة لأفراد العائلة، بالذهاب الى جبهات القتال.

لقد تحولت ازمة الكويت بعد خروج القوات العراقية منها الى قضية نزع سلاح

---

(١) د. عبد الحسين شعبان، بانوراما حرب الخليج، دار البراق ـ دمشق ص ١٤ .

(٢) د. عبد الحسين شعبان، المصدر السابق، ص ١٥ .

بحيث لم تعد قرارات مجلس الأمن الأخرى تحتفظ بقوة ونفوذ أو بعناية واهتمام من لدن اصحاب الشأن.

وهكذا برز اعتقاد ان صدام حسين لم يدخل الكويت ليواجه القوى الغربية التي قد تبعده عن السلطة في اجتياح مماثل لما حدث للزعيم النازي هتلر في الحرب العالمية الثانية وانما دخل الكويت لكي يخرج منها ويستمر محمياً في بغداد وقد نفذ بدقة ما كان عليه أن ينفذه بعد انتهاء الحرب العراقية الإيرانية!.

سادساً ـ وفي اسباب الاجتياح تمَّ الترويج لمبرر قد يكون صدام حسين فكر به جدياً للتخلص من المطالبات الشعبية والدولية باجراء اصلاحات سياسية لا سيما بعد سقوط واعدام الزعيم الروماني تشاوشيسكو واضطرار بغداد الى الإعلان عن برنامج الانتقال الى التعددية وقبول معارضة برلمانية وتقليص الصلاحيات المطلقة للرئيس.

واذ كان الإعلام العالمي يركز على جوانب شريرة ودكتاتورية في أسلوب الحكم العراقي بادر صدام حسين لكسر الاتجاه وخلق بؤرة تنافس اعلامي واستقطاب عالمي فلم يعد هناك من يتحدث عن حقوق انسانية او سياسية للشعب العراقي.

سابعاً ـ ويشكل اسلوب الانسحاب العراقي ما ينحدر الى مستوى الفضائح العسكرية. اذ اصدر القائد العام للقوات المسلحة العراقية اوامر الانسحاب بالراديو والتلفزيون فاستلمه الجنود مباشرة خلافاً لخطط الانسحاب المعروفة. اذ تصدر الاوامر بالانسحاب من القائد العام للقوات المسلحة الى رئاسة اركان الجيش ومنها الى قادة الفيالق والفرق حسب سلسلة المراجع حتى آخر وحدة قيادية، بينما تخطى صدام حسين في أوامر الانسحاب كل تلك السلسلة ، فترك الجنود وحداتهم مخلفين وراءهم الاسلحة والاعتدة سالمة كما هي.

ويذكر ان القوات الاميركية حصلت على نماذج من تلك الاسلحة وكميات من المدافع وراجمات الصواريخ والرادارات وشحنتها الى خارج المنطقة.

ثامناً تعمد القائد العام للقوات المسلحة افراغ منطقة نقرة السلمان الحدودية من اية قوات عراقية رغم الحاح القادة العسكريين في تقاريرهم الى القيادة العامة باحتمال ان تدخل قوات التحالف من تلك المنطقة المفتوحة وهو ما حصل بالفعل.

تاسعاً: تم سحب احدى عشرة فرقة من قوات الحرس الجمهوري وهي الافضل في الاعداد والتدريب والتسليح الى اماكن حول بغداد لحماية الرئيس من احتمال اندلاع ثورة شعبية.

ويبقى السؤال الكبير قائماً.. عن سبب عدم حصول مواجهات عسكرية بين القوات العراقية وقوات التحالف تتناسب مع قوة الجيش العراقي ومكانته.

ومن طرائف التفسيرات في تحليل سبب الاجتياح ما جاء في كتاب (لعنة وطن) الذي كتبه الاستاذ كريم بقرادوني الأمين العام للكتائب اللبنانية اذ يقول:

ان الرئيس العراقي مع اطلالة ١٩٩٠ كان يعاني مرارتين، مرارة أميركية بسبب افشاله في لبنان ومرارة عربية بسبب تجاهل حاجاته الاقتصادية[1].

ويضيف بقرادوني في مكان آخر قائلاً: وبتقديري انه لو أعطي الرئيس العراقي بعض الدور في لبنان لما كان دخل الكويت. وبمباشرة صارخة تصدر عن سياسي ليبرالي محترف يقرر الاستاذ بقرادوني:

أن احتلال الكويت فخ أميركي نصبه جورج بوش بعد انتخابه عام ١٩٨٨ ووقع فيه الرئيس العراقي...[2].

يبدو أننا سنتوقف قليلاً عند نظرية الاستدراج الشائعة.

نظرية الاستدراج

هي الأكثر رواجاً في أروقة المثقفين والساسة العرب المهمومين بالبحث عن مبررات مخففة لاحتلال الكويت.

يُلاحظ أن نظرية الاستدراج لم تطرح في الأيام الاولى للاجتياح وانما أخذت طريقها الى معامل التحليل السياسي بعد انسحاب قوات صدام حسين في بدء المعركة البرية وما رافقها من انكسارات عسكرية ونفسية وتدمير مقنن أو عشوائي للقوى

(١) كريم بقرادوني، لعنة وطن ١٩٩٢ ، عبر الشرق للمنشورات ، بيروت ، ص ٢٣٤ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٣١ .

المادية والمعنوية في العراق.

ولعل عارضي هذه النظرية يتفقون معنا في تركيز الحرب على مبدأ تفريغ القوة ويختلفون عنا في تحليل موقف صدام حسين المستهدف في هذه النظرية والمستدرج الى الفخ الأميركي في الكويت للانقضاض على القوة العسكرية الهائلة في العراق.

ان نظرية الاستدراج التي تطرح في معرض الدفاع عن الرئيس العراقي تتعارض مع نزعة الاعتزاز والاعجاب التي طالما عبّر عنها دعاة الاستدراج لزعامة صدام حسين وقدراته. وان صورة صدام حسين ستهتز وزعامته ستفقد عناصرها ومكوناتها للنزول الى حيث يُريد مستدرجوه وانه شخصية يمكن أن يُلعَب عليها. ومثل هذه الشخصية لا يجب أن يوضع تحت امرتها مليون جندي وأكثر من خمسة آلاف دبابة ودولة بعشرين مليون نسمة وان خطر زعيم كهذا سيستمر على شعبه ومنطقته مع السهولة التي يستدرج بها فيبدو منزوع الارادة فاقد المناعة.

وللإنصاف وبحكم معرفتي الشخصية بصدام حسين لا أستطيع أن أتقبل نظرية الاستدراج لاعتقادي أن الرجل أذكى من أن يستدرج الى موقف ايجابياً كان أم سلبياً وكان منذ طفولته معتمداً على نفسه وعلى عصاه ولم يكن يطمئن الى الوسط الذي عاش فيه، ولم يكن هذا الوسط ينظر اليه بعين العطف. لكنه لم يكن طفلاً مستكيناً.

انَّ نشأته العصامية واسلوبه في الحكم تتعارضان مع شروط الاستدراج. واذا كان لي أن اثني على الخصم انصافاً واعترافاً بالحقائق فان صدام حسين استخدم تلك النظرية لاستدراج الآخرين الى سياسته أشخاصاً وأحزاباً ومؤسسات ودولاً، وله سجل مشهود في عمليات الاستدراج الناجحة فقد استدرج الجنرالات ليقودوا الانقلاب في ١٧ تموز ١٩٦٨ . واستدرج الزعامات الكردية المتمنعة، فحظي بثقة الزعيم الكردي صعب المراس مصطفى البارزاني، فوقع معه على اتفاق مشترك[١].

(١) كان الشاعر الكبير محمد مهدي يظن أن احمد حسن البكر هو بطل الاتفاق مع الزعيم الكردي فاثنى على قدرته بجذبه اليه، وكان المفروض أن يوجه الكلام لصدام حسين قائلاً:

جاذبت من صقر الشمال وانه	بالعز امنع من مُطار عُقاب
وسط الجبال كأن صُمَّ صخورها	من بعض ما استصفى من الحُجّاب
مستشرفاً كَبِدَ السماء جبينُه	للنيرات ورجله في الزاب

واستدرج الحزب الشيوعي المدجج بايديولوجيا متعارضة مع سياسة الحزب الحاكم في جبهة واحدة واستدرج ثلاثة أجيال من قادة حزبه فانتهى بهم اصفاراً في بيوتهم أو اشباراً في قبورهم.

واستدرج منطقة الخليج الى منظومته الفكرية والسياسية بكل مابينهما من تعارض.

لكن ذلك لا يعني ان سياسة الاستدراج قد انتهت جميعها بنجاحات مماثلة اذ أخفقت محاولة العمر في استدراج ايران لمواجهة عسكرية مع قوات التحالف في حرب الخليج الثانية عندما لاذت طائرات عراقية بايعاز من صدام حسين بمطارات ايرانية في اعتقاد لم يكن دقيقاً ان الغرض من تلك العملية ابعاد تلك الطائرات عن تعرضها لتدمير القصف الاميركي فيما كان الهدف الحقيقي يدور حول احتمال أن تقصف الطائرات العراقية وهي رابضة في ملاذها الايراني الأمر الذي سيورط الايرانيين في مواجهة عسكرية مع قوات التحالف.

وأغلب الظن انها واحدة من المرات القليلة التي فطنت لها السياسة الايرانية فنسقت مع الولايات المتحدة الاميركية على ابقاء الطائرات العراقية خارج خط النار.

وعندما أقرأ لكتّاب بارزين يأخذون بنظرية الاستدراج أشعر كَم هم مستدرَجون.

ان أبرز من أخذ بنظرية الاستدراج هم:

محمد عابد الجابري في المغرب، وحليم بركات السوري الاميركي الجنسية، وابراهيم علاوي زعيم جناح منشق عن الحزب الشيوعي العراقي، ومركز الدراسات الوحدة العربية الممول من العراق والذي يديره خير الدين حسيب، ومحمد حسنين هيكل، والسياسي اللبناني كريم بقرادوني والكاتب التونسي الطيب البكوش والكاتب اليساري البحريني عبد الرحمن النعيمي. ومعظم كتّاب تونس والمغرب الى جانب عدد من كتّاب السياسة اليومية والصحفيين العرب.

وبالاجمال فان تيار اليسار العربي ومن يتعاطف من اليمين مع سياسة بغداد يميل الى الترويج لنظرية الاستدراج في اجتياح الكويت.

يقول الطيب البكوش[1]:

---

(١) الطيب البكوش، الخليج بين الهيمنة والارتزاق، ص ١٠٦ ، نشر وتوزيع مؤسسات ع. الكريم بن عبد الله.

أما اجتياح الكويت بمثل ذلك الشكل فلا يخلو من عنصر المفاجأة. والذين يذهبون الى أن مرد ذلك هو أن القوات الامريكية كانت تعتزم دخول الكويت في نفس الوقت وأن العراق علم بذلك فسبقها فأغلب الظن أن المعطيات تفنّد هذا الرأي وتؤكد بالعكس ان المناخ قد تهيأ بدفع العراق الى هذه المغامرة دفعاً كما سبق أن رأينا.

ويكتب حليم بركات في يومياته[١]:

عندما أتأمل في العلاقة بين الولايات المتحدة والنظام العراقي، وبصدام حسين على وجه التحديد، أتوصل الى أنها أقرب ماتكون الى لعبة جهنمية استدرجت فيها أمريكا العراق لشن حرب ضد ايران، ثم لاجتياح الكويت. استفادت الولايات المتحدة من رغبته، في ملء الفراغ الذي حدث بعد انهيار نظام الشاه وتحويل العراق الى قوة كبرى في المنطقة ومن نزوعه الى المغامرة فصورت له أن بامكانه أن يشن حرباً سريعة ضد ايران وأن يربح المعركة. ولما تعثرت مغامرته مدته بالعتاد والمعلومات ليس في سبيل تحقيق الانتصار بسرعة، بل من أجل استنزاف البلدين الذين يمكنهما أن يشكلا قوة تهدد دول الخليج.

ويقول عبد الرحمن محمد النعيمي[٢]: ان التجربة السابقة قد برهنت بان النظام العراقي يسهل استدراجه اذا قدمت له اغراءات بمكاسب سريعة وبهذا تم استدراجه الى الفخ الكويتي.

وفي اشارة الى صدام حسين يقول ابراهيم علاوي[٣]:

لم يكن قاسم أول من تورط في هذا الفخ (الكويت) كما لم يكن الأخير.

وفي تبرير الانسحاب بعد حملة الثقة بمواجهة عسكرية حتى النهاية يُلاحظ أن معظم دعاة نظرية الاستدراج يوشكون على الاتفاق وكأنهم ينهلون تعليمات من مصدر واحد على أن حرباً أخرى ستندلع واجتياحاً منتظراً سينهض به صدام

(١) د. حليم بركات، حرب الخليج.. خطوط في الرمل والزمن، ص ٢١٠ - ٢١١. مركز دراسات الوحدة العربية.

(٢) عبد الرحمن محمد النعيمي، الصراع على الخليج العربي، دار الكنوز الأدبية، ١٩٩٤ - ص ١٠٩.

(٣) نجم محمود (ابراهيم علاوي) المقايضة - منشورات الغد ١٩٩١ - لندن ص ٢٩٧.

حسين في وقت مناسب.

يكتب محمد عابد الجابري في ٢٨ شباط ١٩٩١ في جريدة الاتحاد الاشتراكي المغربي متسائلاً عما اذا ماكان قد حصل هو انسحاب أم استئناف واستمرار عن طريق المقاومة في حرب غير تقليدية؟ ويضيف الجابري ومهما يكن فان التاريخ لا يقف ولن يقف.

ويؤيد حليم بركات(١) ان هذه الحرب لا تكون الأخيرة. لكنه يحيلها هذه المرة الى الجانب الاميركي.

أما الطيب البكوش(٢) فقد ذهب الى أبعد من ذلك فهو يقارن صدام حسين في اجتياح الكويت بفتح القسطنطينية الذي لم يتم من الوهلة الاولى وبأنه قد يعيد الكرة في ظروف أخرى.

وفي رؤية لاستدراج معاكس يتساءل رولان جاكار(٣) وهو لم يبتعد استناداً الى سوابق في سياسة صدام حسين عن احتمالات واردة ان الأخير استدرج قوات التحالف لقصف ملجأ العامرية. هل أوقع صدام حسين الحلفاء في فخ شيطاني عندما سبب عن قصد، مجزرة المدنيين التي ذهب ضحيتها ٣٠٠ قتيل، في بغداد يوم ١٢ فبراير/ شباط عندما قصف الطيران المتحالف لملجأ المصفح؟ اذا كان البيت الأبيض يرفض الحديث رسمياً عن تلك الاستراتيجية الرهيبة، فان ضباط الاستخبارات في البنتاغون لا يستبعدون مثل هذه الامكانية.

ربما ان الأجهزة العراقية قد نظمت نشاطاً عسكرياً "مرئياً" حول الملجأ المصفح من أجل جلب انتباه أقمار التجسس الصناعية، وربما ان أوامر قيادية أعطيت من الملجأ المصفح الى القوات العراقية على الجبهة من أجل جلب انتباه الآذان الالكترونية. وربما ان صدام حسين قد أقام عدة مرات في مطلع شهر فبراير/ شباط في ذلك الملجأ. وكان يخرج منه مسبوقاً بسيارات حرسه الشخصي بينما يأخذ هو سيارات الرئاسة "الليموزين" السوداء.

(١) حليم بركات، مصدر سابق، ص ٢٤٣ .

(٢) الطيب البكوش ، مصدر سابق، ص ١٠٧ .

(٣) رولان جاكار ـ الأوراق السرية لحرب الخليج، ترجمة د. محمد مخلوف ـ الناشر: شركة الأرض للنشر المحدودة، ص ٨٦ .

من أمثلة هذه السوابق في عدم احترام الحياة الانسانية للعراقيين ان السلطة أثناء فترة التحضير لشن الحرب على ايران أعلنت عن محاولة اغتيال تعرض لها السيد طارق عزيز أدت الى وفاة عدد من طلاب الجامعة التي حدثت المحاولة عند بابها الخارجية، فحشدت السلطة في اليوم التالي مظاهرات لتشييع الضحايا وحددت خط سير المتظاهرين ومرورهم أمام مبنى لمدرسة ايرانية[1] مهجورة في بغداد منذ سنوات وكلفت عناصر الأمن السري بالصعود الى سطح المبنى واطلاق النار على المشيعين فقتلوا عدداً منهم وان الرئس العراقي صدام حسين أقسم أن يثأر لدماء الضحايا.

في عقد التخادم أم في سلك الخدمة؟

أتعرض بين فترة وأخرى لسؤال قد لا يحتمله كاهلي اذا ماكان صدام حسين يعمل لحساب الولايات المتحدة الأميركية مثلاً أو لدولة أخرى، أي وبالقلم الثوري العريض.. ماذا كان الضام مضموماً؟..

ان الإجابة ربما ستستغرق فترة تتداخل فيها الأحكام والنوايا بالمعلومات والقدرة على الاستنباط والتحلي بالصبر على البحث والاستقصاء. وهنا سأضطر لعرض ماهو شخصي أولاً، فلم أعش قريباً من نزاعاته فهذا شأن رجال آخرين لكني أستطيع الزعم اني عشت قريباً من أحلامه وفهمت في زمن أقصر مما توفر لغيري ماكان على رجل مثلي أن يفهمه وقد كنت فقط مراقباً مفتوح الذاكرة لتخزين المشاهد والآراء ذات الأهمية الخاصة. وليس لأحد في العراق الحالي مهما اعتلى ناصية الموقع أن يدعي أن معلوماته تخترق الجدار المجاور لغرفته المغلقة وتتجاوز مساحة الغرفة الحزبية الصغيرة.

(١) يرتبط العراق وإيران منذ العهد الملكي باتفاقيات ثقافية تجيز لكل منهما انشاء مدارس في البلد الآخر وأنفق الشاه اموالاً وجهوداً لجعل المدارس الإيرانية في العراق بمستوى تربوي متقدم، ولم تكن السلطات العراقية تجرأ على التعرض لها بسوء لكنها سارعت فأغلقتها بعد سقوط الشاه.

ولقد ملأني العجب من جرأة نفر صغير معلق على مشجب خارجي لغرفة في الإدارة الحكومية أو الحزبية على الزعم بأنه يُلم بأحوال الوضع ذلك الالمام الذي يجعله جديراً بالاجابة عن أسئلة مغرقة في الخصوصية أو السرية أو حتى لو كانت أموراً بسيطة من موجودات غرف أخرى في تلك الادارات.

لكن مايساعدني على الاجابة في بعض الجوانب مايتصل بطبيعة اهتماماتي الفكرية والسياسية وما يوفره مضجع الاعلام من فرص للتفكير والتحليل أكثر منها فرصاً للمعلومات، فكيف لي أن أجيب على مثل هذا السؤال المنتفخ الأوداج بالأسرار والحقائق والرغبات والنوايا؟.

واذا ماتعرضت أثناء لقاءاتي المتلفزة وندواتي المباشرة وفي لقاءاتي الثنائية أو العامة لسؤال عن رأيي في حقيقة صدام حسين وطنياً كان أم مرتبطاً فلطالما عرضت ذات السؤال في خلوتي وعند التقاط اشارة أو دليل منه أو له أو عليه.

ولأن صدام حسين لم يكن السياسي العراقي الوحيد الذي تدور حوله اهتماماتي بل قد لا يكون أكثر من كوّة في ذلك الكهف العراقي المليء بالأسماء والأسرار، والذي أتيح لي خلال أكثر من ثلاثين عاماً التوقف قبالته محاولاً التفرس في تلك الوجوه والتعرف على ملامحها مما قد يقربني من الجلوس على منصة متواضعة أصدر من عليها حكماً أو انقض حكماً أو أن ألوذ بالصمت مفتقراً الى أدوات الحكم.

في ذلك الكهف تعيش ثلاثة أسماء سياسية كبيرة فيكاد العراق السياسي يستحيل بها الى ثلاث مدارس.

نوري السعيد كمرحلة قائمة بذاتها وبمساحته الزمنية التي تربو على الأربعين عاماً وعبد الكريم قاسم الذي اقتطع بجهده الشخصي عُشر الزمن الذي اشغله نوري السعيد بيد أنه واياه يتقاسمان العصرين فينسب الملكي الى نوري السعيد والجمهوري الى عبد الكريم قاسم، أما صدام حسين فله مساحة زمنية وافية وملامح عهد خاص به.

أما من كان مع نوري السعيد فلم يُشكل مدرسة ولم يشغل اهتماماً كالذي اشغله السعيد في السياسة الملكية. ومن كان مع قاسم كان مطموس المعالم أمام معالم بارزة لزعيم الثورة وقائد العصر الجمهوري الجديد. ومن كان مع صدام

حسين ، حتى أحمد حسن البكر الرئيس الذي لم يكن خاملاً كما توحي صورته، لم يكن يشغل من الاهتمام مايشغله صدام حسين فكيف والرجل يستقل بالقيادة السياسية والحزبية للعراق منذ ستة عشر عاماً، واين يوضع صدام حسين حين يذكر السعيد وقاسم؟

ان كثيرين سيعتبرون هذا الاستطراد شططاً عن الصلب ومحاولة لعدم الاجابة على السؤال المُلح بالقلم الثوري العريض، واذا كان هؤلاء بعض الحق فلنا بعضه الآخر مادمنا ملزمين برمي قرار خطير في رجل بدا للناس انه يفعل كل ماعلى العملاء الكبار أن يفعلوه وبدا لآخرين كما لو انه يرفض كل ماكان على الوطنيين الكبار أن يرفضوه. وكأنه مرة في صورة نوري السعيد عندما يقول نعم ومرة بصورة قاسم عندما يرفض. لكنه ليس حاصل مجموع الشخصيتين.

فهو ليس نوري السعيد الذي لم يكن يتأخر حتى في شيخوخته عن حمل العراق في حقيبة بريطانية. وهو ليس عبد الكريم قاسم الذي أخرج العراق من تلك الحقيبة.

هو ليس نوري السعيد في تواضعه وابتعاده عن العدسات والأضواء وصخب الخطاب.

وهو ليس عبد الكريم قاسم بزهده وتقشفه والتزامه بجذره الطبقي، لكنه مثله في صخب الخطاب ورفقة العدسات ومضخمات الصوت.

فهل كان صدام حسين متورطاً مثل نوري السعيد في ترسّم خطى الغرب، أم كان يترسم خطى قاسم في رؤية العراق خارج المنحنيات المرسومة.

واذا أحكمنا غلق الفوهة المريبة التي تخص صدام حسين بأفسد الأوصاف السياسية، فهل زال الاشكال عن هذه الشخصية، وأيقن الناس انه زعيم مستقل القرار؟

ان بامكان أي مراقب سياسي أن يحكم على صدام حسين بالعمالة، لوفرة المؤشرات في فعله السياسي ومشاريعه المدمّرة. ولم يجد الباحثون عن حكام النيابة حاكماً مثل صدام حسين يقاتل ثماني سنوات ويخرج مديناً بثمانين مليار دولار لكنه يربح مشروع تسمين أسماك الأهوار بلحوم الجنود العراقيين والايرانيين! وفي نشر الخوف ونزع الارادة الوطنية وتحويل الناس بين مومياء ضربها الجوع وأسكتها

الرعب، وبين مخبرين تتدلى أحضانهم بلحوم ضحاياهم.

لكن بامكان مراقب سياسي آخر أن يحكم على الرجل حكماً مغايراً فشخصيته تبدو كما لو انها ليست شخصية العميل وكما لو انه يرفض الامتثال. ويرفض أن يصبح أسير برنامج لم يشترك في اعداده. فاذا كان الأمر كذلك فلماذا نتحدث عن مشروع جورج براون، ودوره من حرب تحجيم الثورة الى حرب تفريغ القوة، واهدار الطاقة البشرية والثروة القومية؟

كيف نوفق بين ارتباط صدام حسين ضلعاً في مثلث براون وهو مالا نتنازل عن التمسك به والقول بأن شخصيته ليست شخصية عميل؟ وهل نجح في تكريس انطباع انه طراز من الساسة الذين يصعب اخضاعهم لمسطرة القواعد السياسية العامة، وانه فقط يتذوق العمل السياسي والسلطة بطريقة أقرب الى تذوق السلطان التركي القديم.

وقد يكون مثيراً للجدل، ان صدام حسين، يعتقد بل ويعمل أيضاً، بمبدأ التخادم السياسي. ولا يمتنع استناداً الى هذا المبدأ عن القيام بدور كالحرب العراقية الايرانية مقابل صفقة. فاذا تأخر الطرف الثاني عن أداء استحقاقاته، استدعى صدام حسين سفيرة ذلك الطرف. وجلست بين يديه مرعوبة. وهو بدلاً من أن يعيب عليه الوطنيون ماقدمه من خدمات للولايات المتحدة الأميركية نراه يعيب على الاميركان انهم لم يوفوا بالتزاماتهم، ولم يحموا أصدقاءهم، ويهدد بقتل عشرة آلاف اميركي في كل معركة، دون أن تقرر سفيرة الدولة العظمى الوحيدة في العالم الاستئذان بانهاء اللقاء.

ان مشهد صدام حسين مع ايرل كلاسبي سيكون أكثر تعبيراً من أي مشهد آخر عن طريقة العمل والعامل والحوار والتحاور وفق موحيات التخادم.

ففي ذلك اللقاء تصرف صدام حسين مع السفيرة الاميركية باعتباره الطرف الأوفر حظاً في الأداء الدقيق والذي ينبغي أن يكون الأوفر حظاً في أولويات الاهتمام الأميركي، والا فانه سيخرج على ممنوعات التخادم. وقد شجعه على التمادي في التضخم ان السفيرة كانت حتى ذلك الحين حريصة على أن تتصرف هي الأخرى بوحي من مستلزمات مرحلة لم تعد قائمة. فكسبت خزائن الأرشيف آخر وأفضل المشاهد المصورة في بروتوكولات التخادم، يوم ظهر الرئيس

العراقي قوياً ليس كقوة عبد الناصر مدعوماً بشارع من المحيط الى الخليج، لكنه قوي بالدور الكبير الذي نهض به من أجلهم.

في مبدأ التخادم السياسي يحدد صدام حسين مع الطرف الآخر، نقاط الخدمة المتبادلة، بعقد يشبه عقود المقاولين. فيلتزم بتنفيذ الجانب الخاص به، وعلى الفريق الآخر أن يسير في خط موازٍ له، انه يعطي للأميركان الكثير. ويعتقد انه يأخذ الأكثر. وسنكتشف أن مايعطيه سيكون أشلاءاً من الجنود والدبابات والمدن المحروبة.

يعطي للطرف الثاني حياة مواطنيه ويأخذ منه حياة الموقع الدائم. وهنا يشترط صدام حسين في عقد التخادم المتبادل أن لا يتحرش الطرف الآخر (أميركا، بريطانيا، فرنسا، الاتحاد السوفياتي) بجانب يتصل بسياسته الداخلية واسلوب حكمه وطريقة تعامله مع مؤيديه ومعارضيه، وأن يطلق حر اليد، ولا يجوز للطرف الآخر مدة نفاذ عقد التخادم. أن يُنتقَد أو يُحرَّض ضده اعلامياً وسياسياً بما يزعج سلطته. ويشمل ذلك نشاط الدول الواقعة تحت تأثير الدول الكبرى. وتتصل بمبدأ التخادم السياسي ظواهر تنتمي لعائلة الخدمة الأجنبية مثل ظاهرة تعدد الأحضان وتبدلها.

ففي كل مرحلة ومنذ عام ١٩٦٨ يُكبس العراق في حضنٍ قوة أو سياسة دولية. لكن صدام حسين لا يستسلم لهذا الاتهام وهو يعتبره نوعاً من المحاضنة. فليس العراق في حضن الآخر، انما الآخر أيضاً في الحضن العراقي اتسع له أم لم يتسع.

ومن الواضح أن لسياسة المحاضنة استخدامات أخرى وبأهداف مختلفة فقد يكون العراق هو الحضن الايديولوجي لجوارات صغيرة تفتقر الى الايديولوجيا المنظمة.

انه اشكال حقيقي يواجه قواعد التفكير القديم.

والاعتقاد السائغ ان المتورطين في سياسة المحاضنة قد يتمردون عندما يشعرون بالقوة فيبدو الطرف المتمرد وطنياً في أقصى المواقف. وسيطبّق هذا الاعتقاد على الوضع العراقي مثالاً متكرر الوقوع!

فهل ثمة تفسير لسياسة التخادم والتحاضن يمكن أن يلقي ضوءاً لمعرفة ماذا كان الرئيس العراقي لا يخرج عن الخدمة الأجنبية أم ان قدراً من القبول لهذه

السياسة سيفسر على قاعدة تحقيق المكاسب أم انها سياسة تعكس ضعف صلة الحاكم بمفهوم الوطن وقصور وعيه.

ان العمل في سياسة التخادم والمحاضنة يعكس شعوراً لدى رجل السلطة بأن أرض الكرسي هي المنطقة الحرام التي سيذود عن حياضها بالغالي والنفيس وان أرض الوطن ليست سوى قطع يمكن المساومة عليها لحماية أرض الكرسي كما يمكن الاعتزاز بقدرتها العظيمة وقبولها أوسع حالات الموت لدرء الخطر عن رجل السلطة.

ان الحرب العراقية . الإيرانية بمثالها الصارخ والشرس تبدوِ النموذج الناجح والمتكامل الأبعاد لمقطع تاريخي في سياسة التخادم وقد عَمِل طرفاها العراقي والأميركي أو على الأصح الطرف العراقي من جانب والمحيط الأميركي من جانب آخر على الالتزام بشروط العقد وبناء سيناريو جذاب لخطاب الحرب التي لم تكن حرباً! انما مقطعاً من مقاطع التاريخ وقد شاء القدر أن يتقمص بطل عربي معاصر شخصية ذلك البطل الأسطوري الذي طوى الجزيرة فدخل ايوان كسرى وضم الى الاسلام أعتى قلاع المجوسية ومرابع نشوئها.

وسيكون الخطاب زاهي المشاعر فاذا كان المستمعون من المقاتلين العرب الشيعة فحديث الرئيس العراقي والمكلفين معه سيدور حول مرابع الثورة العراقية الاولى ومواطنها الشيعية المتمرسة في الدفاع عن حدود العراق وستستفزُّ مشاعر العروبة المستقرة في العمق الأوسط والجنوبي للشعب العراقي ضد قوات فارسية يكفيها لعنة أنها من بلاد العجم.

واذا كان المستمعون من أهل السنة عرباً أم عراقيين فحديث الرئيس سيستمر عند ضريح حنبلي وآخر حنفي ليستنجد بالكتب والقبور ضد أولئك الروافض الخارجين على فقه المذاهب الأربعة والذين يشتمون من على منابرهم أبرار الصحابة ويبكون على حفرة في سامراء غياب المنقذ الذي لم يزل حياً بعد أكثر من عشرة قرون!..

ولا يتردد عن نشر هجومه على الشيعة وثلاثة أرباع مقاتليه منهم وثلاثة أرباع مواطنيه العرب منهم في الصحف اليومية والاذاعـات[1].

(١) راجع جريدة الجمهورية العدد ٦٧١٠ في ٢٨ كانون الثاني/يناير ١٩٨٨

وهكذا عُزل الشارع العربي عن سر الحرب وكونها مثالاً لعقد التخادم وقد أبلى الجانب العراقي في هذا العقد بلاءه فدمّر الحلم الاسلامي في مواجهة الغرب ودمر السلاح الايراني الذي استخلفه الثوار من عهد الشاه وأنهى قدسية النفط وقوته ونفوذه على السياسة الغربية ودفن في أرض المعركة معدات ومقاتلين كان يمكن أن يذهبوا في يوم من الأيام كما ذهبوا في المرات السابقة ناصرين أشقاءهم في الحروب العربية الاسرائيلية.

أما المحيط الاميركي فقد التزم بما كان أن يلتزم به بالضغط على الخليج لامداد آلة الحرب بالمال.

وبامداد أميركا للجانب العراقي بمعلومات الأقمار ووكالات التجسس عن أية حركة من أي مصدر تمس أمن صدام وسلطته، وان تضرب المنطقة كما يضرب صدام كل من يجرؤ على فعل من أفعال المعارضة ويستمر اظهار الجانب العراقي ملتزماً بمواقعه اليسارية لدغدغة الشارع العربي ولابأس أن تضرب سفينة حربية أميركية في الخليج من قبل طائرة عراقية أو طائرتين ويقتل عدد من الجنود ويدمّر جزء منها باعتبارها من الاختبارات الناجحة التي ستظهر مدى جرأة الرئيس العراقي وطول ذراعه في الخليج[1]. وعلى الجانب الأميركي أن يُلازم الصمت وأن يعلن الجيش الاميركي التزامه بالطريقة العشائرية عند العرب وقبول ديات القتلى مع وفد الاعتذار!.

وعلى ضوء سياسة التخادم لا ينبغي القبول بحديث عن اتصالات أميركية مع الرئيس العراقي بعد بدء العمل بمشروع ما على هذه القاعدة.

ان الولايات المتحدة الأميركية لم تدخل الى غرفة العمليات العسكرية في بغداد بعد أشهر أو سنوات من اشتعال شرارة الحرب لتعديل الميزان العسكري لصالح بغداد كما كانت تروج لذلك المصادر الأميركية وتُعيد انتاج الترويج صحف عربية تسعى لابعاد أية صلة أميركية بتلك الحرب، وانما سيكون من المنطقي أن يسبق الاتفاق على الحرب موعد صدور البلاغ العسكري الأول عنها ولابد أن تكون واشنطن كما تذهب الى ذلك مصادر أميركية قدمت لبغداد معلومات استخبارية

(١) قصفت نفاثة عراقية بصاروخ كزوسيت سفينة ستارك الأميركية فقتلت ٣٧ بحاراً ودفع العراق دية لأسر الضحايا بـ ٢٧ مليون دولار.

وبيانات من الأقمار الصناعية قبل غزوها لايران في ٢٢ أيلول ١٩٨٠[1].

ولا يتلكأ الأدميرال ستانس فيلد تيرنر الذي كان مديراً لل (سي. آي. ايه) في ذلك الوقت عن الاعتراف بأن ادارته كانت تعلم بالغزو قبل وقوعه[2].

واذ يعلن عن أول اتصال دبلوماسي مباشر بين واشنطن وبغداد في نيسان ١٩٨١ عندما اجتمع نائب مساعد وزير الخارجية موريس درابر مع مسؤولين في بغداد، فمن المعروف أن الاتصال الدبلوماسي المعلن يأتي متأخراً بفترات قد تطول عن زمن الاتصال والزيارات السرية.

وكان ذلك الاجتماع قد خصص لزيادة المساعدة الاميركية زيادة هامة بعد تدهور المركز العسكري للعراق في الحرب.

وفي تبرير الاتفاق الاميركي مع صدام حسين يُعلن رئيس قسم الشرق الأوسط في البيت الأبيض في عهد الرئيس ريغان لجريدة نيويورك تايمز بعد اجتياح الكويت بأربعة أيام قائلاً:

(لم يكن الأمر اننا كنا نريد أن يكسب العراق الحرب، اننا لم نكن نريد أن يخسر العراق. اننا حقاً لم نكن سذجاً. كنا نعرف أن صدام وغد، لكنه كان وغدنا)[3].

والتزاماً بعقد التخادم رُفع اسم العراق في آذار ١٩٨٢ من قائمة البلدان الارهابية التي تحتفظ بها وزارة الخارجية مما جعله مؤهلاً للحصول على المعونة الأميركية بطريقة علنية ودستورية.

وكان نوئيل كوخ رئيس وحدة مكافحة الارهاب في البنتاغون قد أقرّ أن السبب هو مساعدة صدام في النجاح في الحرب ضد ايران، وهي اشارة لا تخفى على المحللين الى التزام أميركا بشروط ذلك العقد والتي ستتسع لقروض زراعية وغير زراعية تصل في نهاية التخادم عام ١٩٩٠ الى حوالي (٣) مليارات دولار سنوياً. واستهدفت العلاقات الدبلوماسية الكاملة بين بغداد وواشنطن في ١٩٨٤ في وقت صعدت الولايات المتحدة الأميركية مساعدتها للعراق فزودته بمعدات

---

(١) جبين ادوارد سمث، حرب جورج بوش ، الترجمة العربية ١٩٩٢ - ص ٥٧ .

(٢) المصدر السابق، ص ٥٧ .

(٣) نيويورك تايمز ٦ آب ١٩٩٠ ، عن جين ادوارد سمث - ص ٥٨ .

عسكرية محددة ومعلومات استخبارية في صراعه المستمر مع ايران[1].

وتجاهلت واشنطن الهجوم بالغاز على مدينة حلبجة الكردية والتي اختُلف في تقدير ضحاياها مابين ٣ ـ ٧ آلاف قتيل ودافعت ادارة الرئيس بوش بطريقة عن مسؤولية صدام حسين في الهجوم فقد ذكر تقرير لجريدة نيويورك تايمز نُشر بعد اجتياح الكويت وبالتحديد في ٢٨ نيسان ١٩٩١ أن المسؤولية عن الهجوم بالغاز على حلبجه تظل غير واضحة استناداً الى دراسات حديثة أجرتها ادارة بوش تقترح بأن الوفيات حدثت أثناء قتال ضارٍ على الحدود في الشهر الأخير للحرب العراقية ـ الإيرانية وطبقاً للتايمز فان دراسة سابقة للإدارة الاميركية أوضحت بأن القصف الايراني هو الذي أدى فعلاً الى قتل الأكراد[2].

واستناداً على هذا السياق فان ظهور برنامج دايان سواير في شبكة التلفزيون الأميركية (اي٠بي٠سي) في ١٩٩٠/٢/١٥ ، الذي وصف صدام بأنه أسوأ الطغاة على سطح الأرض، سيعتبر خروجاً فظاً من الجانب الأميركي وتحرشاً بمركز صاعق لا تسمح سياسة صدام حسين بالاقتراب منه. ولعله.. أي صدام حسين.. احتفظ لمدة تزيد على ثلاثة أشهر في مكتبه الخاص بنسخة من ذلك البرنامج وأبدى للسفيرة الاميركية ابرل كلاسبي عند لقائه بها أواخر مايس ١٩٩٠ استياءه من موقف الاعلام الأميركي وبالذات من برنامج دايان سواير.

ويكشف رد السفيرة الاميركية القاسي وغير المتعارف عليه للتنديد بذلك البرنامج وبالاعلام الاميركي بشكلٍ عام عن شعور بضرورة الالتزام بعقد التخادم لكن هذا العقد كان محدداً بالحرب العراقية ـ الإيرانية التي انتهت الى نتيجة "لا غالب ولا مغلوب" . مما يعني أن الطرف الأميركي أو الطرف العراقي سيكون قادراً على التحرك بمعزل عن الآخر الى أن يجري اتفاق لاحق على عقد جديد.

---

(١) المصدر السابق، ص ٥٨ .

(٢) المصدر السابق، ص ٥٩ .

سيناريو الشكوك

هل كان اجتياح الكويت يدخل في سياق عقد جديد للتخادم؟

ليست لدينا معلومات محددة ولا شهادة يمكن أن نسوقها ترقى في وثائقيتها الى ماعرضناه عن مشروع جورج براون لكن اجتياح الكويت كان نقطة الهدف المغري في ذلك المشروع، أما والحرب العراقية ـ الإيرانية قد انتهت فلا يعني أن الكويت ستصبح بالنسبة لصدام حسين هدفاً منسياً بل ستظل في الذاكرة عنوان المكافأة بعد دور نادر الأداء.

ان اصرار الرئيس العراقي على عدم الانسحاب من الكويت مع معرفته المسبقة بحجم التدمير اللاحق الذي سيضر بالعراق والطريقة التي أدار فيها صدام حسين قيادة الحرب وسيناريو التراشق بالصواريخ لاثارة مشاعر مشروعه ضد اسرائيل وكون الحرب الجوية التي بدأت بعد انتهاء مهلة الانذار قد تسقط جسوراً ومؤسسات لكنها لا تسقط حكومة وعدم مساس القصف الأميركي بمظاهر تتعلق بصدام حسين كالتماثيل المثيرة للسخط فيما قصفت مشاريع صغيرة لمياه الشرب أو لمجاري المياه القذرة وعدم حصول حرب برية بعد تلك الاستعدادات العراقية الهائلة كل ذلك يرجّح احتمال وجود سيناريو متفق عليه بين الطرفين.

ان أبرز ملامح ذلك الاتفاق تتمثل في خيبة أمل الشارع العربي في عدم رؤية الجيش العراقي وهو يؤدي دوراً ما في المواجهة ضد الولايات المتحدة الأميركية، وهو مالم يحدث حتى في ظروف كان بامكان العراق استناداً لمصادر أميركية أن يبتلع الوجبات القادمة للمنطقة واحدة بعد أخرى كما يبتلع الطفل حبات الحلوى.

ان المعلومات التي عرضها مُحقق كتاب بيير سلنجر وايريك لوران عن حجم القوات العراقية كان مذهلاً. فبالأرقام كان حجم القوات العراقية ٥٤٥ ألف جندي، و٤٢٨٠ دبابة، و٣١١٠ قطع مدفعية، و٢٨٠٠ ناقلات أفراد مدرعة، و١٦٠ طائرة هليكوبتر، و٨٠٩ طائرة مقاتلة، و٦٠ سفينة حربية.

أما حجم قوات الحلفاء، فكان ٥٣٢ ألف جندي، و٣٣٦٠ دبابة، و٣٦٣٣ قطع مدفعية، و١٩٥٩ طائرة هليكوبتر، و٤٠٥٠ ناقلات أفراد مدرعة، و٢٦٠٠ طائرة

مقاتلة، و١٢٠ سفينة حربية.

وتم تدمير ٤ آلاف دبابة عراقية و٢١٤٠ مدفعاً و١٨٧٠ ناقلة مدرعة و١٠٣ طائرات مقاتلة. وكانت الخسائر البشرية لقوات التحالف ١٨٤ قتيلاً و٢٣٨ جريحاً ٩٤ مفقوداً[١].

وتُشير مصادر أخرى الى امتلاك العراق ٢٠ مليون لغم.

ويقول الكاتبان في مكان آخر[٢]: ان صدام حسين يملك الى جانب ذلك، ترسانة كبيرة من الاسلحة الكيميائية، استخدم بعضها في كسر موجات الهجوم العسكري الايراني، وفي اخضاع الأكراد المتمردين.. هنا أيضاً كان للمساعدة الغربية الدور الحاسم.. لقد استطعنا احصاء ٢٠٨ شركة غربية، ساهمت بدرجات متفاوتة في البرامج الحربية العراقية، خاصة فيما يتعلق بالصناعة الكيميائية وهذه الشركات كانت على النحو التالي:

٨٦ منشأة ألمانية غربية، ١٨ شركة أمريكية، ١٨ شركة بريطانية، ١٦ شركة فرنسية، ١٢ شركة ايطالية، ١١ سويسرية، ١٧ نمساوية، ٨ بلجيكية، ١٤ اسبانية. ويتوزع الباقي بين الأرجنتين (٣)، واليابان (١)، والبرازيل (١)، ومصر (١)، والسويد (١)، وهولندا (١) وبولندا (١) والهند (١)، وموناكو (٢). وبالرغم من النفي المتكرر للولايات المتحدة بانها لم تزود العراق بالأسلحة، فان العديد من الشركات الأمريكية الخاصة، تبيع المعدات العسكرية وتنقلها الى بغداد عبر شركات أخرى، تتستر وراءها أو تلجأ الى شركات وسيطة.

ان اعداد الصواريخ التي أُطلقت على اسرائيل لم تكن تنسجم مع قوة التهديد الذي أعلنه الرئيس العراقي في ٢ نيسان ١٩٩٠ بحرق نصف اسرائيل.

ان مجموع ماستخدم من صواريخ خلال أسابيع المواجهة مع القوات الأميركية وحلفائها لم يزد على ٨١ صاروخاً عراقياً، ٣٥ منها في الأسبوع الاول و١٨ في الاسبوع الثاني و٦ فقط في الاسبوع الثالث وتوزعت البقية على الأيام الباقية.

واذا كان ثمة اعتراض بأن منصات الصواريخ العراقية قد تم تدمير نحو ١٦٠ منصة منها في أول أسبوع من القصف فاعتقدت قوات التحالف انه لم يعد هناك

(١) بيير سلنجر، مصدر سابق ص٢٠٦ - ٢٠٧ .
(٢) المصدر السابق، ص ٤٣ .

الكثير منها فيمكن الرد على هذا الاعتراض بما يكشف تواطؤ صدام حسين الذي انتظر على غير عادته قوات الخصم تتجمع ثم تنقض لتدمير منصات الصواريخ قبل أن يبادر باستخدامها فيكسب جولة كانت ستسجل له تأريخياً. ومن جانب آخر فقد ثبت فيما بعد خطأ التقديرات الاميركية اذ أن الحرب وقد توقفت ولدى العراق أكثر من ١٥٠ منصة صواريخ متحركة[١].

ان هذه المنصات تُركت لقوات التفتيش الدولي طريقة تدميرها على الأرض استناداً الى قرار مجلس الأمن المرقم /٦٨٧/.

ولا يبتعد عن مفهوم التواطؤ أن هذا القرار كان يقضي بتدمير مايمكن استخدامه من سلاح ضد اسرائيل في أي ظرف قادم فيما أبقى القرار لصدام حسين على الأسلحة التي تمكّنه من مواجهة تمرد عسكري أو انتفاضة شعبية.

نعتقد أن هذا العرض قد يُلقي ضوءاً ما على احتمالات التواطؤ في أزمة الكويت لكنه لم يكن خاضعاً لعقدٍ على غرار ماحدث في الحرب العراقية ـ الإيرانية.

فقد كان واضحاً أن صدام حسين لم يعد قادراً على تكرار اتفاق للتخادم مماثل لنموذج الحرب العراقية ـ الإيرانية. فقد انتهت الحرب وحمل الأميركان أسرارها في ملفات لن تظل مطوية زمناً طويلاً تاركين ملفات الديون الطويلة ولوائح أطول بأسماء القتلى العراقيين لصدام حسين اطفاءها..!.

وأغلب الظن أن الولايات المتحدة كانت تسعى لاعادة الرجل الى حجمه الحقيقي وأن تعرض له شريطاً من الصور التي أصبحت ملكاً للماضي عندما كان صدام حسين يعتقد انه يعمل في عقد التخادم لا في سلك الخدمة ولعله اكتشف انه الطرف المستعمل في فريق العمل وان ماقدمه الطرف الأميركي له من معلومات استخبارية لم تجعل من الـ(سي. آي. ايه) بين يديه جهازاً تحت الطلب وأن ماسرب اليه من معلومات كان مما يتعلق بتسهيل عملية الاستخدام.

وان القوة العسكرية التي هيأت لها الولايات المتحدة بما يوحي وكأن صدام حسين من أكبر صانعي السلاح، انما هي مرهونة بجهة محددة للاستخدام تنفيذاً لتقاليد عريقة ومعروفة في بنود المساعدات الأميركية، وان على الطرف المستخدم

(١) تشوارسكوف، جنرال الخليج الغامض، مصدر سابق، ص ١٦٤ .

فيما كان يسمى بعقد التخادم أن يختار دونما أية شروط مما كان معروفاً في الحرب العراقية - الإيرانية، وان يحدد الرئيس العراقي ماذا كان سيختار الاحتفاظ بالسلطة أم الاحتفاظ بالسلاح ولأنه لن يختار سوى السلطة وهي شرطه الأول والأخير في عقد التخادم الوحيد والذي لن يتكرر فعلى صدام حسين أن يستعد لتفريغ السلاح ولو على رؤوس الكويتيين ارغاماً لا استدراجاً.

فدخل الكويت ومنذ الساعة الاولى رافضاً وساطات من معظم دول الجامعة العربية ودول أجنبية ولم يصغ لنداءات الحرص والخشية على تدمير الجيش العراقي وابادة جنوده لأن مافي جيبه كان بالنسبة له أكبر من أرض الكويت وتعداد السكان وأرض الرافدين، انه سينهي المهمة بلا قتال ولن يكلف الطرف الآخر من الضحايا الا مايقضي به القدر وخطأ التصويب.

انه لم يذهب ليحتفظ بأرض الكويت بل ليحتفظ بأرض الكرسي.

هذا هو سر الابتهاج بالاجتياح مثلما هو سر الابتهاج بالانسحاب!.

ولا حصانة له في الاعلام ولا عودة للتسهيلات في قروض زراعية وغير زراعية ولن تتعهد الولايات المتحدة الأميركية ومناطق نفوذها في التزام يخص الطرف الآخر الا في مايتعلق بأرض الكرسي. وقد وفت الولايات المتحدة بتعهداتها، فاحتفظت لصدام بالسلطة ومنعت سقوطه بالانتفاضة فيما تركت للاعلام الأميركي والغربي بأن يثأر لسنوات الصمت في عقد التخادم الأوحد وأن ينفتح ملف صدام حسين وكأن الأميركان يكتشفونه أمام الرأي العام العالمي لأول مرة.

فبعد يوم واحد فقط من الاجتياح تكتشف التايمز اللندنية أن صدام حسين اشتهر بصفته قاتلاً جريئاً شديد التدقيق في التوافه والتفاصيل.

وانفتحت شهية الاعلام الغربي وبدا للكثير أن المهمة العاجلة لأي صحفي غربي هي في الحصول على مزيد من المعلومات الشريرة عن صدام حسين. وأخضع العقل العربي بعد انتهاء الفصل الأخير الى كتابات أقرب الى العبث والضحك على العرب منها الى الكتابات الجادة. لتسويق معلومات هي في الأصل دفع تهمة عن مايشير الى التواطؤ.

ففي تبرير توقف فرقة المشاة الرابعة والعشرين في البحرية الأميركية عن مواصلة الزحف لالقاء القبض على صدام حسين يروي مؤلفا كتاب تشوارسكوف أن البعض قد يتعجب لماذا لا يتم التخلص من صدام حسين شخصياً لتنتهي الحرب

سريعاً، فيذكر كابتن كنت ايونج قائد حاملة الطائرات (USS AMERICA) ان ابنه ذا السنوات السبع يتساءل لماذا نحتاج الى قتل الكثيرين من الشعب العراقي بينما نحتاج أصلاً للتخلص من واحد منهم فقط؟ ويقصد صدام حسين.

لكن الجنرال تشوارسكوف كان حريصاً على توضيح انه لم يكن من بين أهداف السياسة الأميركية أبداً مطاردة فرد واحد أو قتل أي انسان ويبرر أخيراً ذلك بأن محاولة الوصول الى صدام حسين هدف صعب لا يمكن تحقيقه!

ثم يستغرق المؤلفان في وصف المخابىء المؤثثة ببذخ والتي صممت للرئيس العراقي على الطراز الفرنسي لتتحمل حتى الانفجارات النووية.

انهم يتحدثون بطريقة الاستغفال وكأن المشتركين في تلك الحرب لم يكونوا هم الذين رسموا خرائط تلك المخابىء وأشرفوا على بنائها وتأثيثها.

وبهذه الطريقة يبدو الأطفال الأميركان محتجين على قتل العراقيين ويبدو الجنرال الأميركي انسانياً الى الحد الذي لا تتحمل أعصابه رؤية فرد واحد مطارد[1].

ان الدبلوماسية العراقية ومنذ انتهاء الفصل الخاص بتفريغ القوة لم تتوقف عن توجيه رسائل الاستنخاء وعروض الخدمة للولايات المتحدة ومحيطها في منطقة العمل الاولى.

ففي الأول من كانون الثاني الماضي ١٩٩٥ جددت جريدة الثورة الناطقة بلسان الحزب الحاكم رغبة بغداد في القيام بمهمة (التصدي لايران وايقاف أطماعها التوسعية ومحاولات تهديد المنطقة) وأضافت الجريدة (ان على دول الخليج أن تتذكر أن غير العراق لن يكون بمقدوره التصدي للإيرانيين).

والى جانب هذا النداء الصحفي فقد واصلت الدبلوماسية العراقية مساعيها لاقناع الولايات المتحدة الأميركية بقدرتها على النهوض بدور مماثل مما يشعرنا وكأن بلداً كالعراق لم يعد له دور لا على صعيد محلي ولا على صعيد قومي سوى دور القتال بالنيابة وبدون ذلك فانه سيغرق في بطالة طويلة الأمد، مما يعزز الاعتقاد بأن هذه السياسة لا تجد فرصة للعمل خارج هذا الميدان المثير والذي يستفز مشاعر العراقيين ويجعل حياتهم مرتبطة بمهمات أقرب الى فرق الطوارىء وجيوش الانزال السريع. وتحويل أعرق شعب في المنطقة الى شعب تحت الطلب!

(١) تشوراسكوف ، المصدر السابق ، ص ١٨٨ .

منعكسات الضمّ

محاولة صدّام حسين



١٩٦٧ منعكس الهزيمة على عبدالناصر
١٩٩١ منعكس الهزيمة على صدام حسين

لم تترك نكسة حزيران عام ١٩٦٧ والحروب العربية الاسرائيلية منعكساتها على الوضع العربي والمحلي، لدول الجوار خاصة، بحجم المنعكسات التي تركتها أزمة الكويت وهزيمة المحاولة العراقية الثالثة للضم. وتوزعت منعكسات الضم* في اضرارها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية على مناخ الأقاليم العربية القريبة والبعيدة بأقدار متقاربة.

وكان العراقيون أكثر المتضررين بلاشك، لكن أكثر الزعماء العرب شعوراً بالارتياح والسعادة لما انتهت اليه تلك الهزيمة هو الرئيس العراقي نفسه. فقد أشارت تقارير صحفية الى أن وضع الرئيس الصحي أفضل وان ملامح انشراح لم تكن مألوفة هي أوضح الآن على وجهه، والنسق الاحتفالي الصاخب هو أشد نبرة.

لعلها حالة مثيرة للاستغراب عند وضعها الى جانب حالة الرئيس عبد الناصر بعد هزيمة قواته في الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ .

وفي اخضاع كل منهما . صدام وعبد الناصر . لمنعكس الهزيمة ستبرز شخصية كل منهما مرسومة بلا رتوش وبحجمها الطبيعي. شخصية رئيس مسؤول عن هزيمة جيش واخفاق شنيع وقبول مذل لشروط الولايات المتحدة الأمريكية وهو

* التزمنا بمصطلح الضم لضرورات تتصل بوحدة المنهج. لكنه، أي الضم، لم يعد فكرة أو موضوعاً مطروحاً في ميدان المعركة منذ الثاني من آب/ اغسطس ١٩٩٠ ، حيث نسخ الضم إلى اجتياح، ولهذا يمكن مقارنته باجتياحات مماثلة، فيما تكاد تختفي وجوه الشبه بين الاجتياح والضم في أحداث الثاني من آب .

يعلن في بيان الانسحاب انتصاره التاريخي، وشخصية زعيم آخر يعلن عن استقالته في لحظة الاعلان عن النكسة.

منعكس الهزيمة يمكن اختصاره واختصار الفروق بين زعيم مسؤول وبين حاكم يتضاءل في أعماقه احساس الشعور بالمسؤولية ازاء مايفعل. ان عبد الناصر لم يستطع أن يواصل الحياة بعد الهزيمة أكثر من ثلاث سنوات فرحل مهموماً مغموماً بعد أن أعاد النظر في معظم سياساته وبدا على وجهه وجوم لم يفارقه حتى ساعة الرحيل. وانكمشت كتفاه العريضتان، فتهدلت على جانبيها أردان الثياب. وظهر إنحناء مبكر على قامة شامخة، لم تنحن يوماً لغير الله. وتباطأت خطواته مثقلاً بأعباء المسؤولية الكبرى فيما كان صدام حسين يحتفل بعد شهر من الهزيمة بعيد ميلاد يشك في أنه مدون في قرية لا تعرف التدوين وفي منزل ليس فيه قلم أو قرطاس.

كان المنعكس العربي لنكسة حزيران اصراراً على مواصلة الكفاح فخرجت الى العالم لاءات الخرطوم المعروفة. بينما تمثل المنعكس العربي للاجتياح في مؤتمر مدريد للسلام واتفاق اوسلو وظهور غزة . أريحا أولاً والاتفاق الأردني الاسرائيلي.

وعلى صعيد اقتصادي أمكن تعويض الخسائر عربياً في نكسة حزيران التي أوجدت تضامناً عربياً أفضل وتفاهماً بين الراديكاليين والمحافظين العرب، فيما ترك المنعكس الاقتصادي لاجتياح الكويت مديونيات ستحد من قدرة المنطقة في الحفاظ على وتائر نمو مقبولة.

غير أن منعكسات الضم على الداخل العراقي تتعاكس مع توقعات خبراء ومراكز التحليل وآمال المعارضين العراقيين.

فاذا كان المتوقع في تصورات عادية أن يعاقب الرئيس العراقي ومن معه من قادة عسكريين وحزبيين لمسؤوليتهم في تدمير بلدين وجيشين عربيين في وقت واحد فاذا بقرار لمجلس الأمن يفرض عقوبة الجوع شراكة مع عقوبة القمع التي يفرضها صدام حسين على العراقيين، الذين كانوا ينتظرون من مجلس الأمن احالة المسؤولين عن الكارثة الى محاكمة دولية وليس لحصار دولي لتقنين قاس ومجاعة أقسى في وقت يبدو فيه المسؤولون عن الكارثة في صحة أفضل وبذخ أوسع، الأمر الذي يثير الشكوك ويعززها لدى القائلين بخلفية التواطؤ في

الاجتياح، وردُّ الفعل الأميركي الذي اكتفى باسقاط الجسور والأبراج ومستودعات المياه وأبقى على تماثيل صدام حسين ومنع اسقاط السلطة عندما تحركت مدن الانتفاضة.

وفيما كانت آمال الكثيرين معقودة في واحدة من المنعكسات الاولى لخسائر الاجتياح على استدارة القوات العراقية المنسحبة نحو القصر الجمهوري في انقلاب ثأري على الأقل لاعادة الاعتبار للمؤسسة العسكرية توجهت مدافع المهزومين نحو مدن الفلاحين في الرميثة والسماوة ومدن الفقه في كربلاء والنجف فقصفتها بعنف لم نلمس نظيره على جبهة المواجهة مع قوات التحالف.

سجّل منعكس الهزيمة المحلي ظواهر لم تكن مأهولة في المجتمع العراقي على مستوى السلطة والمعارضة.

ففي الداخل شلّ الحصار قدرة العائلة العراقية على التماسك وشدَّد من مركزية السلطة التي تحولت الى ولي لقمة رغم تواضع القدر المحدد من الغذاء. وأوشكت قيم عريقة في المجتمع أن تغادر أماكنها العريقة تحت ضغط الحاجة واستخدم رجل السلطة قرار الحصار لالقاء المسؤولية في تجويع الناس على مجلس الأمن فيما كان واضحاً أنه وفي ظروف اقتصادية بعيدة عن الحصار، لم تترك الحرب العراقية . الإيرانية ونفقات حرب الخليج الثانية للعراق قدرة اقتصادية لمواجهة مشكلة الديون وانخفاض معدلات النمو وارتفاع معدلات التضخم الى الحد الذي بلغ فيه سعر صرف الدولار ألفاً وخمسمائة دينار عراقي.

وعلى جانب آخر فقد ظهرت منعكسات الضم مع ظهور نزوح شعبي عراقي نحو الحدود لأول مرة في التاريخ واقامة معسكرات صحراوية في رفحا والأرطاوية داخل المملكة العربية السعودية والعبور من شمال العراق الى سورية التي أقامت معسكر الهول للاجئين العراقيين.

ولأول مرة أيضاً يتخذ قرار في مجلس الأمن برقم ٦٨٨ لمنع ممارسة القمع على المواطنين.

ولأول مرة كذلك ينعكس الضم على ظهور المناطق المحمية والآمنة للأكراد مما هيأ ظروفاً مثالية لاقامة نمط من الحكم الخاص بالأكراد غير خاضع للسلطة المركزية في بغداد.

وفيما كانت الأنظار تتجه نحو انقلاب متوقع بعد الهزيمة ضد السلطة فقد حدث الانقلاب في أعقاب اجتياح الكويت على ساحة المعارضة العراقية باستقبال موجات من القادمين من صفوف السلطة وثكنات الجيش اليها فانتفخت أوداجها فجأة.

وفي الخارج استقبلت المعارضة عدداً من التجار الذين توقف نشاطهم الاقتصادي مع بغداد كما استقبلت دبلوماسيين وسفراء فانكفأت المعارضة التقليدية ليصبح هؤلاء المعارضون الناشئون رجال المنصة على الصفوف الاولى وساعد على هذا التطور دخول وزارات الخارجية الأميركية والأوربية طرفاً علنياً في توجيه بعض شرائح المعارضة. كما ساعد على توسيع نشاطات المعارضة دخول المملكة العربية السعودية لأول مرة بتاريخها بنشاط علني مع معارضة عربية، اذ استقبلت الرياض معارضين عراقيين من مشارب مختلفة حتى لم يعد الا القليل من فئات المعارضة العراقية بعيداً في فترة من الفترات عن العاصمة السعودية.

أما الكويت فكانت أصغر ساحة وأصغر منفذ للمعارض العراقي حتى ساعة كتابة هذه السطور.

وأثمرت اتصالات المعارضة العراقية بالخارجية الأميركية والخارجية البريطانية عن ظهور المؤتمر الوطني العراقي الذي أصبح من وجهة نظر أميركية الممثل الشرعي الوحيد للمعارضة العراقية رغم انتقادات وجهت الى بعض مسؤوليه.

وكان منعكس الضم على المعارضة العراقية واضحاً في ظهور تحوّل ليس لصالح الحركة الاسلامية العراقية التي ضعف مركزها بعد الاجتياح، فيما جرت محاولات انعاش سورية للتيار القومي العربي لم تسجل نجاحاً مناسباً لاسيما في اقامة نوع من التفاهم والتنسيق مع التيار الاسلامي. ومعروف أن السوريين لم يستخدموا وحدة المحور ونظرية الحزب القائد في تعاملهم مع أطراف المعارضة العراقية، حيث احتفظت قيادة قطر العراق لحزب البعث العربي لاشتراكي ومقرها دمشق بعلاقات متوازنة ومتكافئة مع أطراف وطنية ساهمت الى جانبها في تجمعات جبهوية، لكن البريق أغشى أحزاباً وحركات ذات صلة بتجمع دمشق في الانفراط عنه واللجوء

الى المؤمر الوطني العراقي.

والى جانب هذا المؤتمر شكّلت بغداد تنظيماً باسم المؤتمر القومي العربي بعد أن منحته ملامح معارضة.

ويتسع الحديث عن منعكسات الضم لفصول وتفاصيل قد تنحو بمنهج الكتاب منحى استطرادياً لكننا سنتوقف عند منعكسات أساسية كحركة آذار ١٩٩١ والمؤتمر القومي العربي وموقف المثقفين العرب من الاجتياح والعودة الى النظام الملكي. لكن التحول من الاجتياح الى الانقلاب هو ماسيرافق أحلام السياسيين الذين أشار آخر تقرير لوكالة المخابرات الامريكية انهم سيكونون من طراز صدام حسين[١].

التحول من الاجتياح إلى الانقلاب!

من استقرائنا للعلاقات الكويتية العراقية يؤشر الخط البياني للاعتراف وعدم الاعتراف بالكويت مايرقى الى جدلية سياسية لا يتصل طرفها الآخر بالكويت وهي تسير على منكسرات بيانية حادة.

وفي كل الأحوال لا ينبغي التهرب من الاقرار بأن مأزقاً يدفع السياسي العراقي الى الاعتراف وان مأزقاً يدفعه بعيداً عن الاعتراف.

كان نوري السعيد يسعى لاشعار خصومه ومنافسيه أنه سيحقق اعلان الاستقلال للعراق عام ١٩٣٢ لا كثمرة لنضال شعبي ولا اذعاناً بريطانياً لضغوط الحركة الوطنية العراقية وانما بمنطوق معاهدة ١٩٣٠

وكان على نوري السعيد أن يقدم ملف الاستقلال الى عصبة الأمم في موعده مستوفياً جميع الشروط ومنها شرط أن تكون للبلد المستقل حدود موصوفة وكان عليه أن يذعن لرسم الحد الكويتي دون أن يساهم في تخطيطه أو متابعة نقاطه،

(١) السياسة الكويتية ، ٣ مايو /آيار ١٩٩٥ ، عن رويتر الفرنسية.

فكتب رسالة الى السر فرانس همفريز المندوب السامي البريطاني مؤرخة في ٢١/٧/١٩٣٢ ، أقرّ فيها بحدود الكويت[1].

وفي مناخ الصراع على السلطة وبروز ياسين الهاشمي زعيماً أتاتوركياً وبتأثير ساطع الحصري وأحلام بسماركية للملك غازي تصرفت السياسة العراقية ازاء الاعتراف بحدود الكويت على نحو مختلف . والذي يبدو أن الهاشمي قبل اقالته بانقلاب عسكري قد أقنع الملك غازي باعلان المطالبة بالكويت متجاهلاً توقيع نوري السعيد ورسالته الى السير فرانس همفريز.

وفي العهد الجمهوري الذي ركّز خطابه وجهوده اليومية على الغاء قرارات اتخذت في العهد الملكي مثلما ألغي الدستور الدائم ليصعد رجل الثورة على منصة وطنية لم يرتقِ اليها سلفه، ألغى عبد الكريم قاسم رسالة نوري السعيد الى همفريز وبعد الانقلاب على قاسم الذي كان معنياً هو الآخر بالسير على ذات القاعدة والغاء قرارات النظام السابق عادَ رئيس الوزراء أحمد حسن البكر لرسالة نوري السعيد الى همفريز والتي حملها وفد كويتي اليه فأقرّها في الرابع من تشرين الأول ١٩٦٣ . ولأكثر من سبب جئنا عليه في تحليل دوافع الثاني من آب ١٩٩٢ يكون الرئيس صدام حسين قد ألغى مااتفق عليه أحمد حسن البكر مع الوفد الكويتي في وقت سابق.

ان معادلة في القياس الجدلي للسياسة العراقية يمكن أن تسجّل على النحو التالي:

نوري السعيد ألغاه قاسم.

قاسم ألغاه البكر

---

(١) الحدود المؤشرة في رسالة نوري السعيد تبدأ من تقاطع وادي العوجة مع الباطن الى جهة الشرق بامتداد الباطن جنوبي آبار سفوان وجبل سنام وأم قصر إلى نقطة التقاء خور الزبير بخور عبد الله وتعود جزر وربه وبوبيان ومسكان وفيلكه وعوهه وكُبر وقاروورة وأم المرادم للكويت. وقد اعتمد خط الترسيم هذا في الاتفاق الذي عقده اللواء أحمد حسن البكر مع وفد كويتي عام ١٩٦٣ واعتبرته الأمم المتحدة اساساً لاحقاً فيما صدر عن لجنة ترسيم الحدود الأخيرة والتي جاءت في قرار مجلس الأمن ٨٣٣ الذي صادق عليه الرئيس صدام حسين.

البكر ألغاه صدام

صدام ألغاه مجلس الأمن.

فهل ستنتهي جدلية الاعتراف والاجتياح أم أن العراق سيقدم على ماهو دون العدوان الصارخ.

والمقصود من هذا التعبير الذي ورد في تقرير غربي هو محاولات للانقلاب كما تذهب الى هذا الاحتمال مؤسسة راند الأميركية للدراسات في تقريرها عن العراق في العهد القادم.

ان فكرة الضم تحولت في السياسة العراقية بعد القرارات الإلزامية لمجلس الأمن والمعتمدة على الفصل السابع الى أحلام انقلابية استناداً الى قاعدة أن الفشل في التدخل الخارجي ينبغي أن يعالج في محاولة ناجحة تخرج من الداخل.

وتنهض أحلام الانقلاب على قواعد مادية ونظرية.

ان صدام حسين لم يدخل الكويت في عقد التحالف الذي انتهى بالاجتياح ويخرج منه كما لو كان سائحاً، فهو رجل متمرس في العمل السري وقدمت منظمته السرية أداءاً عالي الدقة في تشكيل دولة خاصة بها وسيكون من غير المنطقي بل سيكون من خداع الذات أن يتصور الكويتيون بلادهم (زوراً بلا ثعالب)[1] كما يقول المثل العراقي، ومن العبث مواصلة الاعتقاد الكويتي بنظرية تنزيه الذات.

ان صدام حسين يحتفظ بملفات ووثائق ومسودات صكوك وأفلام فيديو وصور فوتوغرافية وأشرطة كاسيت مع من كان يتعامل معهم ومن بينهم رؤساء جمعيات وصحفيون ومثقفون ورجال أمن وتجار وقد أنقذ هؤلاء من المساءلة انشغال لجنة التقصي في البرلمان الكويتي بمساءلة رجال الصف الأول في الدولة من جهة واعتقاد الكويتيين الراسخ بنظرية تنزيه الذات وهم يعلنون أن أحداً لم يتعاون مع صدام حسين وان أحداً لم يؤيد سياسته بعد الاجتياح من جهة أخرى.

---

(١) الزَور هو الغابة.

فاذا انزوت القناعات الكويتية المثالية ودرست عشر سنوات من تاريخ العلاقات في ظل سيادة للحزب الحاكم في العراق علي مواقع التأثير في الرأي العام الكويتي وعلى مراكز العمل والتجارة حزباً وحيداً منفرداً بالعمل ووضعنا ذلك الى جانب طبيعة الخصم الأيديولوجية ونظرية عمله وتراكماته النفسية وأحضرنا تصوراته الكويتية كما يراها أو كما تتراءى له فسنكون أمام صورة لا تسرّ الناظرين.

ان الاجتياح أضعف مركز السلطة، ومجلس الأمة يبدو في ممارسة مهماته الدستورية أو في نزق دستوري، وكأنه يضعف هو الآخر مركز السلطة. وبعض السلطة مع بعض الصحافة يضعفان مركز مجلس الأمة.

ومؤسسة الاعلام التي أخذت لنفسها حق مقاضاة الجميع هي في حقيقتها واقعة تحت أحكام قضاة الشارع الذين لا يحتفظون بملفات في الدروج، ولكنهم يحتفظون بصدورهم وفي عقولهم برصيد من الذكريات والمعلومات والشائعات عن هذا وذاك ممن بنى علاقات مع بغداد فبنى بها شاهقات الأبراج. وكل شاهقة وشاهق شاهدة وشاهد في محكمة الشارع.

. صدام حسين من خلال هذه الصورة يبحث عن صورة الجيش وفي ذهنه صورة لتجربة وأمل أفشلهما امام الحصيرة في حسينية جميران.

فقد كان واحداً من الأهداف المخططة للحرب العراقية . الإيرانية يُشير الى أن الإمام الخميني بعد الضربات العسكرية الاولى سيكتشف أن الحرس الثوري لم يكن مؤهلاً لمواجهة حربية من ذلك الطراز وسيلتفت الى الجيش الذي أوجعته قرارات الثورة بالفصل والابعاد والاعدام والاحالة على التقاعد فتضطره ظروف الهزيمة الاولى والسريعة الى معالجات سريعة في المقدمة منها، اعادة الضباط الذين تمّ تسريحهم للشك بولائهم واعادة الاعتبار للجيش بشكل عام وسيتكفل الجنرالات الهاربون الى بغداد والذين لم تنقطع خطوط الاتصال مع زملائهم المسرحين في المدن الايرانية بادارة الصراع داخل المؤسسة العسكرية الايرانية وسيكون احتمال نجاح الانقلاب العسكري شبه مضمون

في ظروف الحرب وانشغال الحرس الثوري والدولة بشؤونها على الجبهات الملتهبة.

وقد كان المستشارون الأميركان والايرانيون والعراقيون على ثقة لا تُناقش انهم سيحصدون النتائج خلال وقت قصير. لكنهم فوجئوا بقرار الامام الخميني تسريح وجبات جديدة من الضباط المشكوك بولائهم وزيادة التركيز والاهتمام بالحرس الثوري واستخدام استراتيجية الموجات البشرية واعطاء (الدراجات النارية) دوراً لم يكن جنرالات بغداد على عهد به.

تلك القرارات كانت بداية انعطاف في تقديرات الزمن الذي ستستغرقه الحرب.

ان صدام حسين يحاول أن ينجح في الكويت بما أخفق فيه مع أئمة قُم فهو منذ الاجتياح كان يستقبل اشارات العتاب . واللوم الى حد . من بعض أصدقائه في المنطقة الذين وضعهم الاجتياح في مأزق حاد فيما كان الطريق مفتوحاً أمامه لخيارات أفضل ومنها الانقلاب العسكري لاسيما وأن حملة الترويج لعسكرة المجتمع قد نجحت في الكويت خلال عقد التحالف ولعله بعد خروجه من تجربة الاجتياح مخذولاً قد فكّر جدياً بما كان يجب عليه أن يفعله بديلاً للاجتياح، وقد أحكمت قرارات مجلس الأمن الطوق وأثبتت روح التضامن الانساني أو الانتهازي مع الكويتيين أنه سيكون أول وآخر اجتياح تتعرض له الكويت.

وستعتمد استراتيجية صدام حسين على تعظيم الجيش والروح العسكرية واضعاف مراكز المؤسسات الدستورية واستثمار عواطف معادية للسلطة الكويتية وتحريض المغمورين أو أصحاب الطموح لأدوار قيادية وعدم وجود ضامن دولي أو عربي لأمن السلطة فيما كان هذا الضامن متوفراً في قرارات مجلس الأمن، لأمن الدولة.

ان هذا السيناريو لا ينبغي التعويل عليه واعطاؤه اهتماماً خاصاً لكن عدم وضعه في درج قريب من اليد في مكاتب الدولة العُليا سيكون خطأ لا يقل عن خطأ عدم تقدير حصول الاجتياح، لاسيما وأن الدرج السري لصدام حسين من

الملف الكويتي مازال يحتفظ بمسودة مشروع للانقلاب قدمه في خريف عام ١٩٧٦ النائب الكويتي خالد المسعود..!.

مشروع خالد المسعود..!

في مطلع أيلول/ سبتمبر من عام ١٩٧٦ ، اتصل بي هاتفياً من دولة أوربية السيد خالد المسعود عضو مجلس الأمة الكويتي الذي صدر مرسوم أميري بحله في ١٩٧٦/٨/٢٩ راجياً ابلاغ من يهمه الأمر برغبته في التوجه لبغداد فوراً.

ولدى وصول الضيف طلب عدم تأشير جوازه في الدخول والمغادرة وأن لا يقيم في فندق أو دار استراحة حكومية، فاتفقنا على أن يحلّ ضيفاً عليّ في منزلي بالنظر لوجود العائلة في شمال العراق للاصطياف. وضرِب ستار من السرية على الزيارة التي لم أكن أعرف سببها، رغم أن زيارات الأستاذ المسعود الى بغداد كانت عادية ومستمرة..

كنت ألاحظ أن الرجل هذه المرة مضطرب فلم يوافق على الجلوس في صالة الشخصيات المهمة في المطار وكان كمن يضمر انفعالا لا هو قادر على التعبير عنه ولا هو قادر على السيطرة عليه.

وفي الطريق من المطار الى المنزل لم يشأ المسعود أن يبوح بسر قلقه حتى اذا فتحت الباب الداخلية للمنزل وأطلّ وجهاً لوجه على مشجب السلاح.. استلّ بندقية كلاشنكوف وأمسكها بكلتا يديه قائلاً:

هذه هي الحل الأخير وان الدولة التي تسلح شعبها بطريقتكم هي دولة لا خوف عليها مادامت لا تخاف من شعبها المسلح، وأخذ يقلّب الأخمس ويعبث بالشاجور طالباً ايصال واحدة منها عن أي طريق الى بيته في الكويت وأظنها قد وصلت اليه فيما بعد.

لم أكن قد استوعبت شيئاً من حركته سوى أنها تعبير عن اعتزاز القوميين العرب بالمظاهر العسكرية وميلهم الى عسكرة المجتمع المدني.

كان صوت المبرّدة التي تتغذى بأنبوب ماء خارجي ومضخة داخلية

ودولاب يهرول كعجوز دافعاً بالقليل من الهواء كقعقعة السيوف الى الصالة التي تقرفصت في زواياها مجموعة أرائك لا ترتبط مع بعضها برابطة قرابة أو نسب وكان ذلك سيكفي الصديق النائب المترف خالد المسعود للتوقف عن بعض أحلامه الثورية فقد سألته عما اذا كان ممكناً أن يجد تحليلاً مقبولاً لمقارنة سريعة بين الصالة التي دخل اليها تواً وبين الصالة التي استضافني فيها بمنزله قبل شهرين من ذلك الوقت؟!.

انتحى الى يسار الصالة جالساً على طاولة طعام وقد فتح حقيبته اليدوية واستخرج عُدَّة الكتابة وعرض عليَّ أن أعدَّ قلمي وأوراقي ليملي عليَّ شيئاً ما فاعتذرت له بعدم قدرتي على الكتابة وحاجتي الدائمة لشخص أملي عليه حتى رسائلي الشخصية، فشرع يكتب على دفتر رسائل مخطط وقد انهمك على الكتابة وكأنه لم يمض في سفره أكثر من سبع ساعات فسألته ان كان لي حق معرفة بعض مايكتب وأسبابه فقال انها فصول في التجربة البرلمانية في الكويت، وكأنه شرع في الكتابة عن البرلمان لكي يرضي شيئاً في اللاوعي ويبرر به مشروعه الذي بدأ يستعرض فقرات منه.

كان قلمه سريعاً حتى اذا انتهى من آخر سطر دفع كرسيه جانباً ونهض وكأنه يخطب في مجلس الأمة قائلاً: أسألك كسياسي وككاتب، ماذا علينا أن نتصرف بعد أن حلّت الحكومة مجلس الأمة المنتخب انتخاباً شرعياً لا يخلو من تزوير؟

قلت هذا يعني أن ماتقوله أدبياتنا الحزبية في هشاشة النظام البرلماني العربي، وميلها الجامح نحو نظام جذري، يأخذ بمبدأ الديموقراطية الشعبية أصبح صحيحاً. وأن الانتخابات على الطريقة الغربية تخدم بالدرجة الاولى أصحاب رأس المال، وشيوخ القبائل والمتنفذين، فعسى أن تقتنع بحلّنا بدلاً من (تجربتكم التعبانة) ثم لماذا تتصور وكأن مصير العالم متوقف على قرني مجلسكم؟.

قال المسعود: ان أهمية مجلس الأمة بالنسبة للكويتيين، انه مؤشر وحيد على مشاركة الكويتيين في ادارة شؤون البلاد حيث لا نقابات مهنية أو

عمالية ولا أحزاب ولا نواة ثقافية. وفي غياب المجلس تسود البلاد حالة الحكم المطلق.. أضاف: ان حل المجلس يعني بالنسبة لنا استئثار الحكومة بالسلطة والغاء حق الشعب بالمشاركة. ومادامت الحكومة هي التي بدأت المعركة فعلينا أن نستعدها بمساعدة أشقائنا، وننهي بحل جذري مشكلاتنا القديمة معها.

قلت: وكيف ستكون المساعدة. ونحن لا نعترف بالنظام البرلماني وليس لنا مجلس أمة؟

قال المسعود: بتغيير جذري. كما قلتَ قبل قليل. وليكن على طريقتكم. وطفق الرجل يعرض تفاصيل مخطط لانقلاب عسكري. قلت ومن سيقوم به، هل تعتقد أن الجيش العراقي سيدخل قصر السيف؟ كما دخل القصر الجمهوري خلسة..؟ قال: لا، ان مئة ضابط كويتي يتمنى أن يكون هو جمال عبد الناصر ولدينا أكثر من ضابط سيُرقّى الى مقدم خلال مدة قريبة وقد تحدثت مع من أثق به وعرضت عليه أن يكون هو عبد الناصر الخليج.

قلت: وهل هو مخطط فعلي؟

أجاب بانفعال: وهل جئت هنا لكي أزور طاق كسرى؟.. ان وحدة عسكرية صغيرة يمكن أن تنهي كل شيء. فالوضع في الكويت يشبه الوضع في مصر قبل الثورة. كما يشبه أيضاً وضع العراق قبل ثورة ١٤ تموز.

قلت: ومتى تعتقد أن الحركة ستكون مجدية؟

قال: في العيد القادم، حيث يجتمع المسؤولون جميعهم في القصر على أن يقدم لنا العراق مايلي:

١ . أن يرتدي عدد من الشباب العراقي الحزبي الموجود في الكويت ملابس الجيش الكويتي على أن يكونوا من المدربين، وأن يلازموا في الفجر الموعود أبواب المسؤولين الكبار لاسيما في الجيش للانقضاض عليهم وهم على أبواب منازلهم كما فعلتم في ثورة ١٤ رمضان. وبهذا سنحيل بين أي عسكري والتحاقه بوحدته لنجدة الحكم.

٢ . أن تكون قوة برية وبحرية مناسبة في حالة تأهب.

٣ ـ أن تسبق العملية حملة اعلامية منظمة تتحدث عن صراعات داخل الأسرة واحتمال أن يقوم أحد أفراد الأسرة بتغيير مفاجيء متعاوناً مع القوى الوطنية مما يجعل خبر الانقلاب عند وقوعه متوقعاً محسوباً على الصراع داخل العائلة.

٤ ـ أن يتم اختيار أحد أفراد أسرة آل صباح ليكون أميراً. وتشكل حكومة وطنية على أن يكون الأمير مصوناً غير مسؤول.

قلت: وماذا عن حصة العراق مادام كل شيء سيبقى على حاله؟

أجاب: وماذا أكثر من مساعدة حركة وطنية ستقف الى جانبكم؟

قلت: يعني أنكم لا تتحدون معنا.

قال: يمكن أن يكون هناك تعاون على أعلى الدرجات دون وحدة.

قلت: كيف توفّق بين تفكيرك الوحدوي كقومي عربي واستعانتك بقطر عربي على القيام بانقلاب عسكري وبين اصرارك على عدم اقامة شكل من أشكال الوحدة مع العراق.

قال: ان حساسيتي من ابتلاع العراق لنا لا تقل عن حساسية أي شيخ من شيوخ آل صباح، لكننا سنقدم مساعدات مجزية وستكون للعراق الأولوية في التعامل. ثم أردف قائلاً:

ماالذي أخذه جمال عبد الناصر من مساعدة دول المغرب على التحرر من الاستعمار؟ وما الذي أخذه من الأفارقة؟.. وما الذي أخذه منكم بعد ثورة ١٤ تموز والتي ماكانت ستنفجر لولا جهوده؟

قلت: لكنك مع بعض المعارضين كنتم تحذرون . جماعتنا . من أن يقدموا على ترسيم الحدود مع الكويت.

قال: لأننا كما تعلم لم نكن نريد أن نعطي هذا المكسب الكبير لهذه الحكومة ولكي نثبت للشعب الكويتي أن العراق لم يكن ضد الكويت ولكنه يماطل في ترسيم الحدود نكاية بمواقف الحكومة الحالية.

واذ كان مسعود يستعرض أحلامه الثورية بجدية واصرار، قفزت الى ذهني صورة جعفر أبو التمن وكامل الحادرجي اللذين تبنيا المطالبة الشعبية بحياة دستورية لكنهما ساهما بشكل وآخر في انقلاب بكر صدقي عام ١٩٣٦ ، فالتفت الى صاحبي قائلاً:

ان صورتك الآن تشبه صورة كامل الجادرجي الذي كان داعية البرلمان وكان يعتقد أن كل مايمر تحت قبة البرلمان هو صحيح. كان سيقبل الوحدة العربية وهو غير وحدوي اذا وافق عليها مجلس نيابي منتخب، وكان سيقبل بالمعاهدة البريطانية وهو مناضل ضد الاستعمار البريطاني اذا وافق عليها برلمان منتخب انتخاباً حراً ونزيهاً، لكنه لم يلبث أن تعاون مع العسكريين في تدبير أول انقلاب عربي ضد رئيس الوزراء آنذاك ياسين الهاشمي فدخل جعفر أبو التمن والجادرجي في التشكيل الوزاري لحكومة الانقلاب وسرعان ماتبين لهما أنهما ارتكبا خطأ سياسياً قاتلاً، فقدما استقالتيهما بعد خراب البصرة. وتكررت الحادثة في ثورة ١٤ تموز التي قادها العسكريون وأطاحت بالنظام الملكي فانتدب الجادرجي ممثلين عن حزبه الى الحكومة الثورية حتى اذا اختلف ـ كما هو متوقع ـ مع رئيس الوزراء الزعيم عبد الكريم قاسم وطلب الى ممثلي حزبه الانسحاب من الحكومة رفض ممثلوه الامتثال له، وفضلوا البقاء في وزارة الثورة.

كان خالد المسعود كمن يستجمع أفكاره للرد فقال بعد أن أخذته صفنة:

وهل كانت الحكومة التي حدث الانقلاب العسكري عليها حكومة برلمانية دستورية، وهل كان للجادرجي وجماعته وسائل التعبير عن أفكارهم وممارسة حقوقهم الدستورية؟

قلت: لا، كانت على العكس وزارة يحمل رئيسها طموحات أتاتوركية..

قال المسعود: اذن فجعفر أبو التمن والجادرجي أيدا انقلاباً على حكومة غير ديموقراطية وليس لها حق البكاء على الديموقراطية.

قلت: أخشى لو فعلتها أن تظلّ نادماً ندم الجادرجي لاسيما وانك ستكون أول ضحايا البكباشي المنتظر.

وفي اليوم التالي توجه المسعود مع أوراقه الى موعد مهم وكان صدام حسين آنذاك نائب رئيس مجلس قيادة الثورة فعلمت أنه لم يستجب لمشروع مسعود خشية من الاصطدام بمعارضة أحمد حسن البكر والخشية بدرجة أعلى من سطوة الشاه محمد رضا بهلوي على الخليج وكون العراق لم يكن في تلك الفترة مؤهلاً لدور خطير كهذا[1].

لكن مقالات نشرتها جريدة الثورة العراقية الناطقة بلسان الحزب الحاكم حول التجربة البرلمانية في الكويت كانت تترجم المعلومات واللهجة التي ظهرت على أوراق المسعود التي حررها في منزلي مما يدعو للاعتقاد أن تلك الأوراق استفيد منها في كتابة تلك الافتتاحيات وهذا ماقد يساعد على حل الالتباس في الاطلاع على دفاع برلماني ليبرالي ينشر في جريدة ثورية.

وفي أعقاب الثورة الايرانية والاطاحة بشاه ايران وما تبعها من تطورات عاد خالد المسعود الى مشروعه وكان يعتقد أن الظرف سيكون مناسباً لقبول مقترحاته فالعالم مشغول بأنباء الثورة الايرانية واعدام وزراء الشاه وجنرالات الجيش والخليج يغتلي بزخم الثورة، لكن أحمد حسن البكر كان

---

(١) محاولة لاغتيال الشيخ سعد

في تلك الأثناء والكويت تعيش رد فعل قرار حل مجلس الأمة زرت الكويت لهدف شخصي وهو شراء سيارة وكان صديقي منذ أيام التلمذة محي المشهداني ((يحدث لبس بين هذا الاسم واسم محي عبد الحسين المشهدي، الذي أعدم مع عشرين وزيراً وقيادياً عام ١٩٧٩))، قد أصر على نزولي ضيفاً عليه وقد انتقل إلى العمل من مدير الديوان في وزارة التربية ببغداد الى وظيفة معاون ملحق ثقافي في السفارة العراقية في الكويت، فأسرني بعد سهرة طويلة لم أكن معتاداً عليها أن محاولة جرت قبل أيام لاغتيال الشيخ سعد العبد الله، وإن دوره فيها اقتصر على استقبال شخصين باعتبارهما موفدين من وزارة التربية لشراء وسائل تعليمية واصطحابهما إلى منزل الشيخ سعد العبد الله بسيارة عادية واتباع خط سيره إلى مكتبه وفحص المكان الذي يمكن أن تنفذ فيه المحاولة.

ولتأكيد جديته مرَّ بي في اليوم التالي على نفس المكان في فضاء خلف دار قيل لي أنها منزل الشيخ سعد وتحدث عن تفاصيل أخرى لكنه لم يكن على اطلاع بالمراحل للعملية باعتباره بعيداً عن أجهزة الاغتيال لكنهم كلفوه بالمهمة لأنه بعيداً عن الشبهة بحكم عمله التربوي. ولا أستطيع تأكيد أو نفي صحة هذا الخبر.

مايزال على رأس السلطة ولم يزل الرجل متمسكاً بالميثاق الوحدوي مع سورية والذي يحكم تصرفات صدام حسين ويضبط سلوكه.

ان مشروع المسعود سيكون سهلاً أو لعله سيحتلُّ أولوية الصدارة فيما لو انفرد صدام حسين بالسلطة بزعامة الحزب والدولة وافتعل مؤامرة تقودها سورية لكي يبرر قرار الغاء الميثاق الوحدوي معها واعلان الحرب على ايران.

الكويت.. تقرير التقصي البرلماني
العراق.. تقرير رولان جاكار

في سياق يمكن أن يخدم فكرة التآمر العسكري أن الجيش الكويتي لم يظهر في لحظات الاجتياح بما ينسجم والمهمات الملقاة على عاتقه. وطرحت في تفسير ذلك عدة نظريات الا أن لجنة تقصي الحقائق عن أحداث الغزو العراقي في مجلس الأمة الكويتي أجابت على الكثير من التساؤلات.

وكان مجلس الأمة قد شكل في كانون الأول/ ديسمبر/ ١٩٩٢ لجنة للبحث في أداء الحكومة والأجهزة الأمنية والعسكرية خلال فترة الاجتياح. واجتمعت اللجنة مع أكثر من أربعين مسؤولاً وضابطاً في الجيش الكويتي خلال سنتين وانتهت الى اعداد تقرير يقع في (٣٥٠) صفحة ونشرت جريدة الحياة ملخصاً للتقرير وهو ماسنعتمده هنا[1] في تحديد مسؤولية عدم قيام الجيش الكويتي بما يمليه عليه واجبه.

وبعدما تعرض التقرير للأحداث العسكرية بشكل مفصل خصص بعض فصوله لتحديد مجالات التقصير التي اعتبرها سبباً لسوء أداء القيادتين السياسية والعسكرية وللسقوط السريع للكويت أمام الغزو

(١) الحياة ٤ آيار - مايو ١٩٩٥ .

قائلاً[1]:

"انه لم تكن هناك جدية في بناء الجيش الكويتي أساساً، ولا توجد مرئيات سياسية واضحة المعالم عند المؤسسة العسكرية التي (لم تؤسس وفق أصول عسكرية بل ينقصها التدريب والتجهيز والصلاحية الفعلية للقائد..).

ونقل عن ضباط كويتيين قولهم ان الجيش (لم يعد للدفاع الخارجي بل للأمن الداخلي)، وانه (خضع لتدخل المدنيين في شؤونه ممانعكس على عدم جودة السلاح وشراء معدات غير مطلوبة لأن الأهمية عند المسؤولين المدنيين هي لقيمة العمولة..)

وتحدث التقرير عن (تدني الروح المعنوية وانتشار التسيب داخل الجيش)، وعن (الفساد الاداري والشللية والتعيين بالمناصب العسكرية على أساس الواسطة).

وأشار الى أن ٨٠ في المئة من الجنود والأفراد غير الضباط هم فئة (بدون).

وترى اللجنة البرلمانية التي أعدت التقرير أن الجيش (لم يوفق في كثير من الأحيان بقيادات قادرة تتمتع بالكفاءة)، وان القادة الموجودين (لم يكونوا على معرفة بالتسلسل المنطقي لمواجهة حالة الحرب) ولم يتوفر لديهم (أي تصور عسكري حول خطة للتعامل مع العراق). وتعتبر أن هؤلاء القادة (لم يتخذوا الاجراءات المناسبة بل تنازلوا عن أبسط واجباتهم المهنية البحتة وألقوا بها على

---

(١) من المفاجآت التي كشفتها وثائق عراقية بعد الانسحاب من الكويت أن تقريراً عسكرياً يشكو من نشاط النساء الكويتيات ويسهب في تقديم تفاصيل عن نشاطهن لمقاومة الجيش العراقي.

والذي يبدو أن الكويتيات يجددن في هذا المشهد تقليداً معروفاً في العصور العربية عندما كانت المرأة ترسل ملابسها إلى الرجال المتقاعسين عن القتال إشارة إلى عرض بتبادل الأدوار..

وتُشير وثائق أخرى إلى أن مائة جندي عراقي هربوا للعمل مع مسلحين كويتيين ضد جيشهم. وتُشكل هذه الحادثة احدى مظاهر الاحتجاج على سياسة الاجتياح ذلك أن الجنود العراقيين لم يهربوا في تلك الساعة من معسكر مهزوم إلى معسكر منتصر بل لجأوا على العكس إلى نجدة فريق مغلوب على أمره وفي ظرف كالذي عاشته الكويت.

ومن المؤسف أن يتم ترحيل هؤلاء الجنود من الكويت بعد خروج القوات العراقية فوصل قسم منهم الى سورية فيما لم يُعرف مصير آخرين كانوا رهن السلطة العراقية.

عاتق القيادة السياسية). اذ لاحظ التقرير أن الضباط صُرفوا الى منازلهم عشية الغزو، وانه تم منح اجازات لضباط كبار في الأيام التي سبقت الغزو. ويأخذ التقرير على القادة الكويتيين (الجهل بالأمور التعبوية خصوصاً من جانب وزير الدفاع ورئيس الأركان ونائبه)، كذلك (عدم الاهتمام بالتهديدات العراقية وحملها محمل الجد)، بالإضافة الى (عدم تقويم الوقت الصحيح لانفتاح الألوية لدخول المعركة) حيث دخلتها القوات الكويتية وهي غير مستعدة.

وانتقدت اللجنة بشدة الجهاز الاستخباراتي في الجيش الذي (اهتم فقط بمراقبة الجنود والضباط) ولم يهتم بكثرة الزيارات التي تقوم بها الوفود العسكرية العراقية الى كثير من المواقع العسكرية والمدنية (داخل الكويت)، واعتبرت أن (المسؤولية الاستخباراتية أعطيت لضابط غير مؤهل لهذا التخصص في هذا الوقت الحساس).

ولام التقرير الحكومة الكويتية قبل الغزو لعدم امتلاكها (سياسة أمنية ودفاعية واضحة المعالم) وعدم (اختيار القرار السياسي الذي ينتج عنه القرار العسكري الصحيح)، ويستهجن قرارها (عدم رفع حالة الاستعداد خوفاً من استفزاز العراق). كما انتقد (انخداع القيادة السياسية بالتطمينات الخارجية من أن العراق لن يغزو الكويت)، كذلك (خروج القيادة السياسية من البلاد من دون تعيين قيادة لادارة شؤون البلاد).

وترى اللجنة أن القيادة السياسية أهملت خيارات متعددة أمام التهديد العراقي مثل حشد الجيش لمواجهة الحشود العراقية و(عدم وضع خطة بديلة لمجابهة حالة الحرب والطوارىء مثل الاستعانة بقوات عربية أو صديقة أو خطة انسحاب).

ورفضت اللجنة ماأشيع عن وجود قرار سياسي كويتي بعدم المقاومة لحماية الأرواح والممتلكات من التدمير، وأكدت أن الوحدات العسكرية تلقت أوامر واضحة بالاستمرار في مواجهة العراقيين حتى بعد مغادرة القيادة السياسية البلاد، ولاحظت أن المبادرة للقتال أو الانسحاب من جانب الوحدات الكويتية كانت تتم بقرار من قادة هذه الوحدات حين انعدمت التعليمات والأوامر من القيادة السياسية والعسكرية على حد سواء).

ونقلت اللجنة عن ضباط كويتيين قولهم ان (الجيش الكويتي يستطيع أن يقاتل

من يوم الى ٣ أيام حرباً شرسة ضد عدو متفوق بالعدة والعدد كالعدو العراقي، وهذا يعطي فرصة لحصول احداث قد تغير مجرى العمل العسكري، كتمرد في الجيش العراقي، أو تدخل خارجي..).

ويشير التقرير الى أن القيادتين السياسية والعسكرية افترضتا أنه في أسوأ الأحوال سيقوم العراقيون باحتلال شريط من الحدود وجزيرتي وربة وبوبيان، وتم التصرف بناء على هذا الافتراض أي انه لن يُطلب من الجيش الكويتي الدفاع عن سائر أراضي الدولة.

كما يتحدث التقرير عن الفساد المالي داخل وزارة الدفاع وخضوع الصفقات العسكرية للعمولات وعدم اتصالها بالحاجات الأساسية للجيش.

ويتطرق التقرير الى نظام التجنيد الالزامي المتبع في الكويت منذ عام ١٩٧٧ ، فينتقده وينقل عن أحد الضباط قوله ان التجنيد (عبء ثقيل على وحدات الجيش التي لم تجهز لاستقبال المجندين والاستفادة منهم).

كما يلاحظ أنه لم توجد أي خطة للاستفادة من الاحتياطي الكبير من المجندين الذين يبلغ عددهم ٢٠ ألف مجند احتياطي، ماجعل مشاركتهم في صد الغزو العراقي مستحيلة" . انتهى ملخص التقرير

ولا ينبغي الاستسلام لتصورات متداولة في الأوساط الشعبية تشير الى الجيش الكويتي كما لو كان مجرد قوات حدودية على نسق الهجانة. ففي تقارير عسكرية أن الجيش الكويتي يحتفظ قبل بدء الحرب العراقية . الإيرانية بأسلحة ومعدات متطورة بلغت كلفتها حوالي المليار دولار، وقد تضاعفت المصاريف الدفاعية للكويت في سنوات الحرب العراقية . الإيرانية ويكفي كمثال على سياسة التسليح الكويتي أن مجموع المصاريف الدفاعية الكويتية في العام ١٩٧٩ بلغت حوالي ٩٨٠ مليون دولار، وذلك بالمقارنة مع أقل من ٣٠٠ مليون دولار في العام ١٩٧٨ ، وحوالي ١٠٠ مليون دولار في عام ١٩٧٣ . وقد اتبعت الكويت مبدأ تنويع مصادر تسلحها، حيث تعاقدت على شراء أسلحة ومعدات عسكرية من كل من الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا والاتحاد السوفيتي، بالإضافة الى مصادر ثانوية أخرى متنوعة. وقد تميزت الجهود الدفاعية الكويتية بشكل خاص بالتركيز على تطوير القوات المدرعة والقوات الجوية ووسائل الدفاع الجوي والدفاع المضاد

للدبابات، وكان أبرز ماتم تحقيقه على هذا الصعيد تزويد الجيش الكويتي بـ١٦٠ دبابة بريطانية من طراز "تشيفتن" و٨٠ مدفع ميدان فرنسياً ذاتي الحركة من طراز "أم.م. اكس . ١٥٥" عيار ١٥٥ ملم وبصواريخ أرض . أرض سوفياتية الصنع من طراز "فروغ . ٧" (لونا) التي يصل مداها الى حوالي ٦٠ كلم وبصواريخ فرنسية/ ألمانية مضادة للدبابات من طراز "دهوت" و"ميلان" وأخرى أمريكية من طراز "تاو"، بالإضافة الى الحصول على صواريخ سوفياتية مضادة للطائرات من كرازي "سام ٦" و"سام ٧"، وصواريخ م/ط أمريكية من طراز "هوك المحسّن[1]" أما سلاح الجو الكويتي فقد تم تزويده بـ٣٦ قاذفة تكتيكية أمريكية من طراز "أ . ٤ سكايهوك" (الكويت هي الدولة العربية الوحيدة التي تستخدم هذا النوع من القاذفات الأمريكية)، و١٨ مقاتلة فرنسية من طراز "ميراج ف ١" تم تسلمها خلال الفترة ١٩٧٧ . ١٩٧٩ . وقد جهزت هذه الطائرات بصواريخ جو . جو من طراز "ماترا . ٥٣٠" و"ماترا . ٥٥٠ ماجيك" و"سايدوليز" .

وبالإضافة الى ذلك فان القوة الجوية الكويتية تشتمل حالياً على ٢٤ طائرة هليكوبتر فرنسية من طراز "غازيل" يمكن استخدامها في مهمات مقاومة الدبابات بعد أن يتم تزويدها بصواريخ "هوك" وفي المجال البحري أوصت الكويت على ٨ زوارق دورية مسلحة بالصواريخ من فئة "لورسن" الألمانية الغربية على أن يتم تسليحها بصواريخ فرنسية مضادة للسفن من طراز "اكزوسيه" .

وعن الخسائر المادية للحرب العراقية . الإيرانية ولحرب الخليج الثانية "قدرت المصادر الاقتصادية العربية . الدولية وتقرير منظمة الأقطار العربية المصدرة للنفط (اوابك) خسائر ايران والدول العربية بحوالي ٨٠٠ مليار دولار مابين ١٩٨٠ . ١٩٨٨ ، منها حوالي ٣٥٠ مليار دولار هي قيمة الخسائر والدمار نتيجة تلك الحرب، وحوالي ٤٥٠ مليار دولار خسرتها دول الخليج العربي بعد اجتياح الكويت.

وهذا المبلغ (٨٠٠ مليار دولار) يبلغ ضعف اجمالي الدخول النفطية لكل الدول الخليجية العربية بما فيها السعودية وايران خلال الاحدى عشرة سنة الماضية" .

---

(١)قضايا الخليج العربي ، حسن أغا/ احمد سامح الخالدي/قاسم جعفر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، مركز العالم الثالث للدراسات والنشر، لندن، ص ٣٧

ويضيف باحث كويتي الى ذلك أن الكويت كانت تزود العراق طوال سنوات حربه مع ايران بالنفط وتنتج خصيصاً للعراق ٣٠٠ ألف برميل من النفط يومياً وتبيعها وتدفع ثمنها للعراق طوال سنوات الحرب على سبيل الدعم[١].

وعلى مرارة الاعتراف يُسجل أن هذه المبالغ لم تخصص لبناء مؤسسات خيرية أو ثقافية وانما أنفقت لإدامة آلة الحرب والدمار.

وفي العودة الى تفاصيل أوردها تقرير اللجنة البرلمانية نفهم أن الشيخ سعد العبد الله رئيس مجلس الوزراء رفض طلبات متكررة للجيش لاعلان حالة الطوارىء ومنع توزيع الذخيرة أو حشد القوات في مواقع قريبة من الحدود كما منع الطيران الكويتي من الاقتراب من الحدود الشمالية والغربية مع أن الكويت رصدت عبر رادار محمول على بالون تابع للقوة الجوية حالة انتشار متزايد للقوات العراقية اعتباراً من ١٢ تموز. يوليو وقدمت طائرات استكشافية كويتية معلومات عن نسف هجومي للحشود العراقية. لكن القيادة السياسية اعتبرت أن العراق يقوم بمناورات أو استعراض عضلاته.

فهل كان الشيخ سعد العبد الله مخدوعاً بصدام حسين الى هذا الحد في حسن الظن به؟ أم أن تقديراته لطبيعة التحرك الآخر كانت مقتصرة على الاعتقاد بعرض العضلات والمناورات ومحاولات الابتزاز؟

وفقاً لمعلوماتي الشخصية وقد التقيت بالشيخ سعد في السبعينات والثمانينات والتسعينات فان الرجل من الذكاء بحيث لا يمكن أن يكون مخدوعاً بصدام حسين. أضيف الى هذا أنه يشترك مع صدام حسين في عدم حصول مودة بينهما. في أية فترة من تلك الفترات. وكان صدام حسين يحسب للشيخ سعد حساباً خاصاً من بين المسؤولين الكويتيين ولطالما اعتبره في السبعينات مسؤولاً عن عدم انفتاح الكويت المطلوب على العراق. ولهذا نرجح أسباباً أخرى لاحجام المسؤول الكويتي عن اتخاذ اجراءات عسكرية لمواجهة الحشد العراقي منها:

أولاً: عدم رغبته في استفزاز صدام حسين واعطائه مبرراً يتكىء عليه في تبرير هجوم صاعق على الكويت.

(١) محبوب العبد الله ـ الحرب ورائحة النفط، ١٩٩٤ ، ص ٣٧ .

ثانياً: لم يكن الرجل مسبوقاً بطريقة سياسية تجعل استخدام القوة أول خطوة وأول قرار تتخذه قيادة ما لمواجهة مشكلة سياسية تدخل يومها الأول الى صالات الحوار وبرعاية دولة عربية ذات شأن.

ثالثاً: يمكن أن يكون رئيس الوزراء الكويتي قد فكر بترك صدام حسين وحده في صورة المعتدي.

رابعاً: ولعله أي الشيخ سعد العبد الله كان على علم دقيق بمفردات التقرير العسكري للجنة تقضي الحقائق في البرلمان بحكم معايشته للواقع العسكري. ولم يشأ أن يتورط عسكرياً في مواجهة محسومة النتيجة.

خامساً: لا نعتقد أن السبب الرئيسي وراء رفض طلبات الجيش بالاستعداد للطوارىء خشية المسؤول الكويتي من انقلاب عسكري بدليل أن القيادة الكويتية تركت الكويت ولم يحدث مايشير الى استعداد من بقي في ثكنات الجيش لعمل كهذا. لكن صدام حسين سيبقى والى أمد غير محدود خاضعاً لحلم الانقلاب العسكري. وقد يوظف تقريراً كالذي توصلت اليه اللجنة البرلمانية الكويتية في استفزاز المؤسسة العسكرية الكويتية. ففي منطق التآمر يمكن أن يوظف موقف ضد الجيش لصالح فكرة التآمر مثلما توظف حملة تعظيم الجيش في الهدف التآمري نفسه.

واستناداً الى مبدأ كسر الاتجاه فسيرقم التقرير العسكري للجنة التقضي في البرلمان الكويتي مادة في برامج التثقيف الحزبي الاسبوعي والنشر اليومي في العراق. ولن يكون لافتاً للسؤال أن الكويتيين أخضعوا المسؤولين السياسيين والعسكريين للاستجواب وحددوا نقاط التقصير والاهمال وهو بقدر مايبدو قاسياً على من ستمسه الحقائق بذيولها مس الفراء لجسد الحسناء أو على من ستطرق رأسه طرق السندان فانه دلالة على وجود مؤسسات دستورية يفتقر اليها الجانب العراقي. ولذا فسيبقى المسؤولون العراقيون بعيدين عن احتمالات الاستجواب الا في أعقاب تغيير لا يبدو أنه قريب، فلم تجرؤ جهة على مراجعة نقدية لأكثر الأحداث السياسية درامية في تاريخ العراق.

ان الحرب والهزيمة والخسارة العسكرية ليست أموراً يمكن التحكم بسريتها وان احصاءات دقيقة عن التسلح والانفاق العسكري هي دائماً متوفرة في أرشيف

مؤسسات اعلامية أو احصائية معنية بهذه القضايا لاسيما لدول غير منتجة للسلاح أو أنها من دول التجميع الصناعي التي تعتمد على مصادر أجنبية في توفير الأجزاء المطلوبة في صناعة السلاح كالعراق مثلاً: فكيف اذا كانت الحرب والهزيمة والخسارة العسكرية تتصل من طرفها الآخر بدول تصنع السلاح وتبيعه، وتستخدمه في عاصفة الصحراء وتخضع للقليل أو الكثير من الرقابة الصحفية في عصر يوصف بعصر الاتصالات والمعلومات.

ان أرقام الجنود وأعداد المدافع والدبابات والطائرات المفقودة التي تتحفظ الحكومة العراقية عليها كأسرار ممتازة وتعاقب بالموت الفوري من يتحدث عنها أصبحت بعد ساعات من انتهاء حرب الكويت ملكاً لمؤسسات استخبارية واحصائية ولصحفيين كانوا على موعد مع قرائهم.

ان الحكومة العراقية عالجت نقص المعلومات المقدمة الى الرأي العام من قبلها والمتصلة بأحجام التقصير والخسائر وسياسة التسليح ونسب العمولات بطريقة اغتصاب اللغة على حد تعبير المفكر العربي السيد ياسين الذي يعتقد أن مجتمعاتنا عاجزة عن أن تعكس صورتها عبر "الصورة" فلم تجد أمامها سوى "الكلمة" تعبر بها عن مواقفها، هذه الكلمة التي تنقلها أحياناً . وحسب ارادتها . وسائل الاعلام الغربية.

غير أن هذه "الكلمة" كما أثبتت الممارسة في حرب الخليج . كلمة عاجزة، بدائية، ومتخلفة، لأنها صنعت بعد "اغتصاب" عنيف للغة العربية، فظهرت وكأنها تعبير ساذج لشعوب لا تفرق بين الحقيقة والحلم: ولا بين الأسطورة والواقع، شعوب تعتقد أن "الكلمة" بذاتها ان لفظت أو نطقت أو أذيعت في خطاب سياسي أو بيان عسكري يمكن أن تحل محل "الفعل" ، بل هي "الفعل" ذاته، ويكشف عن ذلك الخطاب السياسي البائس للقيادة العراقية، والبيانات المتهافتة التي صدرت أثناء الحرب[1].

وبغياب المؤسسات الدستورية ولطبيعة الاعلام الدكتاتوري الذي يحول الهزائم في المعارك الى انتصارات باهرة في ستوديوهات البث تركت مهمة

(١) مداخلة السيد ياسين، أزمة الخليج وتداعياتها على الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ص ٦١ .

تقضي الحقائق لباحثين أجانب، تحدثوا عن لحظات الهزيمة حيث هرب نصف الضباط وتركوا جنودهم بدون أية أوامر.

ويقول تقرير للصحفي الفرنسي رولاند جاكار "كان الجيش العراقي يعاني من العطش والجوع ونقص الأوامر والذخائر، وان الشهادات العديدة التي تقدم بها آلاف الأسرى العراقيين لضباط التحالف كانت مخيفة، ووصل حد حذر الضباط العراقيين من جنودهم درجة انهم صادروا في العديد من القطعات ذخائر الجنود ولم يردوها اليهم الا من أجل القتال، وكان الضباط يعاقبون الجنود الذين يحتفظون بأجهزة ترانزستور. فقد أصدرت بغداد أوامرها بمصادرة جميع أجهزة الراديو الفردية كي لا يعرف الجنود حقيقة مايجري حولهم، كما تلقت الوحدات الخاصة للأمن العسكري تعليمات تقضي بالتصدي للهاربين والقبض عليهم واعدامهم فوراً.

ويضيف تقرير جاكار بعد أن يستعرض هروب طواقم الطيارات العمودية العراقية، انه في الوقت الذي كان يخشى فيه العالم حالما تدخل القوات البرية للحلفاء في المعركة، فان صدام حسين سوف ينفذ تهديده بالاستخدام الكبير للأسلحة الكيميائية كما سبق وفعل ضد القوات الايرانية وضد المدنيين الأكراد، لكن شيئاً من ذلك لم يحدث ولم تستخدم أي قوة عراقية ذلك السلاح بالرغم من أن الحلفاء وجدوا في عين المكان ألغاماً مصنوعة من غاز الخردل وذخائر كيميائية متنوعة أخرى كما كانت قوات الحرس الجمهوري مزودة بقاذفات صواريخ متنوعة وبصواريخ سوفيتية من طراز (فروغ ٧) ذات القدرة الكيميائية.

ويعتمد جاكار على تقرير لخبراء فرنسيين في وزارة الدفاع أن الطائرات العراقية كانت تستطيع في حال توفر ١٠٠ طن من مادة التابون (المتوفرة لدى العراق) القيام بـ١٥٠ . ٢٠٠ مهمة فوق القوات المتحالفة وذلك من خلال عمليات تقليدية أو انتحارية.

في الواقع كما يقول تقرير جاكار أن العراق قد كيّف بمساعدة خبراء من البلدان الشرقية استخدام الأسلحة التقليدية لطائراته الميغ والميراج (ف١) والسوخوي. اذ أن طائرات ميراج (ف١) كانت قد ألقت ذخائرها الكيميائية المعبأة في حاويات على الايرانيين والأكراد منذ سنوات. كما كيّف العراق أيضاً طائرات عمودية من راز سوبر فريلون كي تصبح قادرة على القيام بتلك الحرب

الكيميائية وخبأ عدداً منها في الكويت. ويمتلك العراق مدفعية مزودة بقنابل كيميائية ثنائية التركيب.

يتساءل جاكار كما نتساءل، لماذا اذن لم يستخدم العراق أسلحته الكيميائية الرهيبة"؟[١].

ولماذا حُرم خصوم الولايات المتحدة الأميركية من مشهد لمواجهة تاريخية بين قوات عراقية مدججة بسلاح بري فتاك وقوات أميركية على أرض غير أرضها وفي ظروف لصالح القوات العراقية؟

ان الوقت الذي استغرقته القوات العراقية للوصول الى أقصى نقطة كويتية أثناء الاجتياح والسهولة التي واجهتها أمام الجيش الكويتي هي ذات المدة التي استغرقتها قوات الحلفاء في الوصول الى أقصى نقطة كويتية وبذات السهولة أمام الجيش العراقي الذي لم يظهر بما كان منتظراً منه.

وفي سرد الأسباب سيكون صدام حسين ليس مسؤولاً عن هزيمة شنيعة فحسب وانما كان ينفذ برنامجاً لم يكن مخيراً في تنفيذه.

١٩٦١ قاسم وناصر

١٩٩٠ صدام والأسد

في محاولة الضم الثالثة لم يكن الرئيس العراقي صدام حسين قد أخضع مشروع الضم لحسابات القوة والضعف والتأييد والرفض والربح والخسارة والعلاقات مع الجوار والحليف، ولم يستشر أحداً سوى شريكه في مثلث جورج براون الحسين بن طلال، والربح عنده هو غير الربح السياسي المعروف. فقد كان الرجل يواجه معضلة مع من اتفق معهم على مشروع الحرب العراقية. الإيرانية، والكويت فقرة في ذلك المشروع، لكنه وكما وضع عبد الكريم قاسم في حساباته عند اعلان ضم

(١) رولاند جاكار، الأوراق السرية لحرب الخليج، ترجمة محمد مخلوف شركة الأرض للنشر، ١٩٩١ ، ص ٩٨ - ١٠٤ .

الكويت عام ١٩٦١ موقف غريمه الرئيس جمال عبد الناصر لم يبرح ذهن صدام رد فعل سورية وتأثير أي قرار يكون صدام بطله على وضع الرئيس السوري، وقد يكون مايكسبه نفسياً من اعتقاده باحراج الموقف السوري هو كل ماسيكسبه شخصياً من حصة يطالب بها أو يتمتع بلحظاتها عند الدخول في مشروع من تلك التي شهدها مسرح السياسة العربية في ربع القرن الماضي.

ففي الأسبوع الأول من الثورة الإيرانية وفي أعقاب آخر زيارة لجورج براون شرع صدام حسين يلقي على عدد من مثقفي الحزب واعلامييه الذين يلتقي بهم أسئلة تدور حول الموقف السوري في حال اقدام العراق على الغاء اتفاقية الجزائر لعام ١٩٧٥ .

سألني عن رأيي في الموقف الذي سيتخذه الرئيس السوري، اذا أقدم العراق على الغاء اتفاقية الجزائر؟

أجبته :

مادمنا في ميثاق وحدوي مشترك مع سورية فلابد من مناقشة هذا القرار على مستوى القيادة السياسية للقطرين لاستجلاء موقف الرئيس الأسد.

قال صدام:

لا دخل للسوريين في هذا القرار أنا أسألك عن ردود أفعالهم عندما نتخذ نحن هذا القرار.

رددت عليه :

وفقاً لمعلوماتي الفقهية فان الخميني قد يتقبل فكرة النظر باتفاقية الجزائر والانسحاب أيضاً من الجزر العربية الثلاث لأنها أرض مغتصبة فلماذا لا ننتظر تطورات الموقف الايراني.

قال صدام:

أنا لا أتحدث عن قرار سنتخذه اليوم، ووجهة نظرك في الخميني غير صحيحة من ناحيتين فقهية وسياسية، لأنه حسب نظريته الاسلامية لا يعترف بعائدية أرض الى حكومة أخرى ولا يشعر بأنه يغتصب أرض الغير، ومن الناحية الثانية فلا أعتقد أنه سيتنازل عن الجزر أو اتفاقية الجزائر لكي لا يظهر أمام الايرانيين

وكأن الشاه أحرص منه على تحقيق مكاسب لبلاده ولهذا أعود فأسألك عن موقف حافظ الأسد.

أجبته :

ليس لدي أرشيف عن الموقف السوري من اتفاقية الجزائر حتى نبني عليه استنتاجاتنا سوى مانُشر في حينه من ملاحظات في اعلام دمشق. (وهنا أوعز صدام حسين لمرافقه صباح ميرزا بالاتصال بمكتبة الأمن العامة واعداد ملف عن الموقف السوري من اتفاقية الجزائر وواصل حديثه قائلاً:

ان كل مانفعله في حالة الغاء اتفاقية الجزائر هو تنفيذ الرغبات السورية واحتواء انتقاداتهم التي ستطلع عليها في كراس خاص أصدره (المنشقون) في دمشق واعترضوا فيه على عقد الاتفاقية.

أجبته :

ان السوريين اعترضوا لسبب سياسي أيضاً باعتبار الشاه هو المستفيد من تلك الاتفاقية.

قال صدام:

وما الذي اختلف الآن؟ ولماذا لا نقول للسوريين انكم أول من اعترض على الاتفاقية فيجب أن تكونوا أول من يؤيد الغاءها والا فانكم مع العجم ضد العرب؟!

قلت :

اذا رغب سيادة النائب في معرفة رأيي بلا التواء فان السوريين سيتحفظون على قرار قد يؤدي الى الاصطدام بالثورة الايرانية التي يعتبرها كثير من العرب بديلاً في ساحة الصراع ضد اسرائيل لغياب مصر عنها بعد اتفاقية كامب ديفيد.

قال صدام:

في كل الأحوال فان حافظ الأسد سيقع في مأزق.

أغلب الظن أن صدام حسين رغم أنه لم يكن صاحب القرار في التوجه نحو الكويت لتفريغ القوة وخلخلة الموازين العربية ووضع المنطقة تحت قسوة الابتزاز وتحويل الخليج من دائن الى مدين، فانه فكّر أكثر من مرة في انعكاس ذلك القرار

على الرئيس حافظ الأسد في معياري الاستفادة والخسارة. فاكتفى بالاعتقاد. كما اعتقد عبد الكريم قاسم من قبل في موقف عبد الناصر. أنه سيضع سورية بين خيارين كلاهما صعب، وأنه باطلاق صواريخ على اسرائيل مثلاً، سيسحب البساط من تحت القدم السوري، وسيبدو هو لا الرئيس حافظ الأسد الرجل المعني بمشكلات الصراع العربي الاسرائيلي الذي حاولت أن تجعله الحرب العراقية الايرانية صراعاً ثانوياً وفقاً لانتقادات سورية متجاهلاً أن الرئيس السوري مثله مثل الرئيس جمال عبد الناصر صاحب رؤية سياسية وتجربة متمرسة يستحيل معها وضعه في مأزق.

فمن ناحية أعلن الرئيس الأسد في مؤتمر القمة العربي الطارىء عن الحل العربي. ومن ناحية أخرى شدد على أن الوجود الأجنبي في الخليج كان نتيجة وليس سبباً. وعلى المؤتمرين أن يفرقوا بين السبب والنتيجة. فاذا كان هناك احتمال لتدخل عسكري أجنبي في المنطقة، فان غزو الكويت هو الذي تسبب بالأزمة وليس العكس، واذن فعلينا أن نجد حلاً للأزمة.

سوف أكون أول من يناضل لاخراج القوات الأجنبية من المنطقة[1].

وبعد أربعة أيام من اختتام أعمال القمة الطارىء باصدار القرار ١٩٥ لادانة الاجتياح وعدم الاعتراف بضم الكويت، وعودة حكومتها الشرعية، بدأت قوات سورية بالانتشار في الأراضي العربية السعودية[2].

وبخلاف المطروحات الاعلامية التي أوشكت أن تُنسي الرأي العام العربي أزمة الاجتياح، بالتركيز على أزمة الوجود العسكري الأجنبي في الخليج، يقف الرئيس

---

(١) محمد حسنين هيكل، حرب الخليج أوهام القوة والنصر، ١٩٩٢ ، ص٤٣٤ .

(٢) كان التلفزيون الكويتي في المنفى أثناء فترة الاحتلال يزورني بمنزلي بدمشق لإجراء مقابلة أو تعقيب يضمنه الى ساعة البث اليومي التي خصصتها له بعض محطات التلفزيون العربي.

وفي إحدى المرات اشترطت على الإعلامي النشط محمد القحطاني الذي قاد بنجاح مجموعة العمل التلفزيوني لتسجيل لقاء معي أن يلتزم شخصياً ببث فقرة ينتهي فيها اللقاء وقد التزم فعلاً، وأقول فيها: (إذا كنا قد أعطينا المصري الكادح والسوري الكادح حق الموت دفاعاً عن حدود الكويت، فهل سيعطيان حق الحياة وراء تلك الحدود بعد أن تعود الكويت إلى وضعها الطبيعي؟).

السوري في الثاني عشر من أيلول ١٩٩٠ ، منددا بعاكسي الحقائق الذين يستنكرون أن تذهب قوات عربية الى منطقة ملتهبة والقوات الأجنبية موجودة فيها، وكأن المفروض أن نترك العرب لهؤلاء الأجانب.. وبضربة من سياسي ملتزم برؤيته المستقرة يغرس الرئيس الأسد مفهومه قائلاً:

"ان وجود الأجانب هو حافز اضافي للعرب لكي يرسلوا قواتهم ومواطنيهم الى هذه الأرض"[١].

وعن الحق التاريخي الذي يبشر به اعلام الضم في بغداد أنهى الرئيس الأسد كما أنهى عبد الناصر عام ١٩٦١ الخلاف في أروقة الدعاة الوحدويين بفك الارتباط بين الضم والوحدة.

(ان سورية ترى في تصحيح مااعوجّ من التاريخ العربي أمراً مطلوباً ومرغوباً فيه ولكن ليس بالفرض والقسر والقهر بل بمشاركة أطراف في الرؤية والفعل، والا يكون الأمر اعوجاجاً آخر أضيف الى اعوجاجات سابقة)[٢]:

وسترتد المزايدة على سورية في اثارة موضوع القوات الأجنبية، على أصحابها ومروّجيها.

ان سورية شأنها شأن مصر عندما تعرضت الى العدوان الثلاثي في حرب السويس عام ١٩٥٦ ، ودمّرت مدينة بورسعيد، لكنها صمدت ولم يترك العدوان في أعماقها عقدة من الأجنبي الذي قد تدعو ظروف جديدة قادمة اي الحديث أو حتى الاتفاق معه، وهذا ماحدث بعد خمس سنوات من العدوان الثلاثي عندما أعلن عبد الكريم قاسم عن ضم الكويت وشرع الأعلام العراقي يتحدث عن قائد القومية العربية الذي أرسل قواته بجانب قوات بريطانية لحماية أنظمة طالما شهروا بها وبسياستها.

كالموقف المصري وموقف الزعيم العربي عبد الناصر،كان موقف سورية والرئيس حافظ الأسد، فقبل ثمانية أعوام فقط من غزو الكويت تعرضت القوات السورية التي كانت تواجه اسرائيل في لبنان، لعدوان أطلسي ساهمت فيه الولايات المتحدة

(١) خطاب الرئيس حافظ الأسد في تخريج دورة المظليين ١٩٩٠/٩/١٢ .

(٢) المصدر السابق.

الأميركية وبريطانيا وفرنسا وايطاليا. ولعلها كانت المرة الاولى في التاريخ الحديث التي تتعرض فيها قوات عربية لقصف أميركي (وكان بعض الأشقاء شامتين).

وكما ينقل محمد حسنين هيكل مقطعاً من محضر اجتماع الرئيس عبد الناصر في عام ١٩٦٣ مع الوفد العراقي والسوري الى مفاوضات الوحدة قول الرئيس:

انكم تعلمون بالطبع اننا لنا رأي آخر في هذا الموضوع (يُشير الى ملاحظة قدمها رئيس الوفد العراقي السيد علي صالح السعدي حول عائدية الكويت للعراق)، فنحن وقفنا ضد عبد الكريم قاسم عندما أراد أن يضم الكويت، اننا لم نفعل ذلك عن عداء لعبد الكريم قاسم كما قال البعض في العراق وقتها وانما اتخذنا موقفنا على أسس موضوعية[1].

ويتجدد وضع مشابه يتعلق بالخلافات العراقية السورية فيعلن الرئيس حافظ الأسد قائلاً:

يجب أن لا ينصرف ذهن أحد أبداً اننا في سورية ننطلق من موقف العداء للعراق. صحيح اننا مختلفون ومنذ زمن طويل ولكن موقفنا في أمور كالأمر الذي نحن بصدده (يقصد اجتياح الكويت) لا يمكن أن ينطلق من موقف خلاف وانما من الحرص على مصلحة الشعب العراقي والأمة العربية بكل أقطارها[2].

ولتكريس الرؤية التي طرحها الرئيس حافظ الأسد في التفريق بين دعوة الوحدة ومحاولة الضم بالاجتياح العسكري، أوعز وزير الاعلام الدكتور محمد سلمان لمؤسسة الوحدة للصحافة في دمشق باصدار دراسة موثقة تتضمن محاور الرؤية السورية ووسائل ايصالها الى المواطن العربي، فظهرت في عام ١٩٩٢ تلك الدراسة في ٥٦٥ من القطع الكبير حول "الاعلام السوري وأزمة الخليج".

وبعد انتهائي من مراجعته، كلفت شخصاً باعداد احصائية، فكان الرقم يشير الى أكثر من (٧٠٠) مقال ودراسة وتعقيب، نشرت في الصحف السورية الثلاث (البعث وتشرين والثورة). والى أكثر من (٥٠) مقابلة تلفزيونية، وقد أعادت الاذاعة انتاج هذا الرقم وبثه على قنواتها العاملة.

---

(١) محمد حسنين هيكل، حرب الخليج أوهام القوة والنصر، ص ٢٧٤ .

(٢) خطاب الرئيس حافظ الأسد في حفل تخريج دورة المظليين، عن الإعلام السوري وأزمة الخليج، ص ٢٥٢ .

واستقبل من جهة أخرى، المكتب الخاص لوزير الاعلام السوري الدكتور محمد سلمان (٤٠٠) مجموعة صحفية وتلفزيونية توجهت الى دمشق، لتغطية أنباء الاجتياح، وكانت حصتي الشخصية تربو على أربعين لقاءً تلفزيونياً وصحفياً، مع مندوبي تلك المجموعات. ولم يواجه الاعلام السوري سوى مشكلة الشحة في وسائل النقل وضيق استوديوهات التلفزيون السوري عن استيعاب ذلك الضغط.

أما صدام حسين فكان في تلك الأيام يُنفذ مايعتبره عقداً للتخادم فانتهى بعد سنوات الحرب ليعلن أمام الدبلوماسية الأميركية انه قدم خدمة للغرب بمواجهة ايران ماكان لأحد أن ينجزها الا بالسلاح النووي.

كانت منطقة نفوذ القادسية في عقد التخادم ١٩٨٠ . ١٩٩٠ تضع من هو خارج تلك المنطقة خارج الالتزام القومي وما تمليه على العرب ضرورات نصرة الجانب العراقي، وكان طبيعياً أن لا يُنظر الى الموقف السوري بارتياح، مما عرض سورية الى مايشبه الحصار والعزلة. فيما يفتح السوريون كوابيس الحصار عن آلاف من العراقيين الذين خرجوا محتجين على سياسة صدام حسين أو أخرجهم حسب قانون التبعية العثمانية وفي كلا الحالتين كان صدام حسين يتمنى أن لا يرى عراقياً في سورية أو لبنان.

فعندما رحل الصحفيون العراقيون مع المقاومة الفلسطينية من الأردن الى لبنان، رحل معهم صحفي عراقي يدعى عادل وصفي يعمل في مجلة فلسطين الثورة، التي تصدرها منظمة فتح ولم يكن هذا الشاب معروفاً على مستوى واسع، ولم يكن له دور في نشاط المعارضة العراقية، لكن ذلك لم يمنع فرقة الاغتيال في السفارة العراقية ببيروت من اغتيال عادل وصفي فأقسم السيد ياسر عرفات في اجتماع حاشد على الثأر له من قاتليه.

وفي بغداد سئل صدام حسين عن جدوى اغتيال هذا الصحفي الذي أصبح اسماً تتداوله الصحافة العربية والعالمية مما يسيء الى سمعة العراق فأجاب صدام وببرود عجيب أعتقد أن الرفيق برزان عالج موضوعه وليس المقصود هو وانما لجرّ أذن الثرثار ياسر عرفات[1].

فاذا كان صدام حسين مستاءً لأن منظمة فتح أفسحت في المجال لصحفي

(١) استخدم كلمة عراقية هي (غيرة سز) وهذه مفردة تركية تعني عديم الغيرة.

منفي للعمل فيها فسعى لاغتياله فكيف وكم هي حجوم ردود الفعل لدى صدام حسين وهو يتابع أكثر من ثلاثمئة صحفي لامع ومعظم الشعراء الكبار والكتاب والفنانين والموسيقيين بالإضافة الى فقهاد دين كبار ومنظمات وأحزاب معارضة لجأت الى سورية واستقبلتها سورية بما عوَّض لها بعض ماخسرته من عواطف الأبوة العراقية المفقودة.

ان سورية منحت العراقيين حضن الأم. فشملت أطفالهم بالتعليم الالزامي ومرضاهم بالعلاج المجاني ومنحتهم حق العمل والتملك أسوة بالمواطنين السوريين وسهلت لهم مواصلة دراستهم الجامعية التي انقطعوا عنها دون أن تخضع هذه التسهيلات لأية هوية حزبية.

وعلى مستوى سياسي فقد استقبل السوريون معارضين اسلاميين، وهم علمانيون واستقبلوا الأكراد وهم عرب، واستقبلوا الشيوعيين وهم بعثيون. ولم يأخذوا بنظرية الحزب القائد في هياكل المعارضة العراقية. وكان مشروعهم السياسي جبهوياً يعتمد على تعدد المحاور دون أن يعتمدوا محورهم الحزبي أساساً أو شرطاً في قبول المعارضين العراقيين.

ان وضعاً كهذا لا يسرُّ صدام حسين الذي فرض على مناطق نفوذ القادسية أن يُخضعوا أي عراقي الى لائحة الاستجواب الخاصة في السفارة العراقية في ذلك البلد.

ولم تقتنع منطقة نفوذ القادسية بخطأ التحالف مع صدام حسين جرّاء مراجعة ذاتية، ولا بفضل نجاح الدبلوماسية السورية وانما بفضل الثاني من آب ١٩٩٠ الذي أوجد صدمة كبرى في قناعات المنطقة واتجاهاتها والتي أخذت تشعر بأن الرؤية السورية للحرب العراقية . الإيرانية كانت سليمة.

معنى هذا أن سورية لم تذهب الى منطقة الخليج وانما منطقة الخليج هي التي جاءت اليها، فحدث في عقد واحد أعظم انقلابين تعرضت لهما الدبلوماسية الخليجية على الإطلاق، عندما وجدت نفسها عام ١٩٨٠ حليفة لبغداد، وعندما اكتشفت في عام ١٩٩٠ أهمية التحالف مع دمشق.

واذا كان صدام حسين قد أخفق في تشكيل تجمّع خليجي وفق مبادىء محددة وشراكة موحدة وموزعة على أعضاء التجمع فان السياسة الخليجية

سجلت تطوراً كبيراً في صياغة موقع جبهوي تتحالف فيه مع دمشق والقاهرة وفقاً لمبادىء اعلان دمشق الصادر في ١٩٩١/٣/٦

كانت الآمال المعقودة على اعلان دمشق عند كل عضو كبيرة، تُنافس حجماً أكبر عند العضو الآخر من المندوبين الثمانية الذين وقعوا الاعلان. واتجهت طموحات أعضاء فيه الى الاعتقاد، بأن اعلان دمشق هو الجامعة العربية المرجوّة في المستقبل، والتي تستطيع، كما تستطيع هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن، تشكيل قوة طوارىء أو قوة سلام عربية تُعد لضمان أمن وسلامة الدول العربية في منطقة الخليج، ونموذجاً يحقق ضمان فعالية النظام الأمني العربي الدفاعي الشامل. مما سيؤدي الى قيام نظام عربي جديد، وتشكيل موقف عربي موحد في حالة انعقاد مؤتمر دولي للسلام تحت رعاية الأمم المتحدة، والوصول بالتعاون الاقتصادي الى قيام تجمع اقتصادي، لتحقيق أوجه التنمية، ومواجهة التحديات، ومواكبة التطورات الناتجة، عن اقامة تجمعات اقتصادية كبرى في العالم، فيما انصرفت آمال الآخرين الى الاستفادة من اعلان دمشق، ثقلاً عربياً في مواجهة الأثقال العربية التي تحيط العراق بالتأييد.

وبالاجمال، فبعد أربعة أعوام، يبدو هذا الاعلان في مخيلة جميع الأعضاء "لوبي عربي" تريده دمشق سنداً لها في مواجهة التحديات الاسرائيلية، وقوة اسناد في موقفها التفاوضي، وتفضله دول الخليج لوبياً في مواجهة خصمها الشمالي واستخدام الثقل السوري والمصري في هذا الاتجاه.

والواقع أن كلا الموقفين يعبِّر عما يراه دوراً يجب أن ينهض به اعلان دمشق، ولعل مراحل أساسية قطعت في جعل اعلان دمشق لوبياً وقوة تأثير في مواجهة المعسكر العراقي. لكن الأداء السياسي لوظيفة الاعلان المنتظرة في اسناد المفاوض العربي ومواجهة التحديات الاسرائيلية كان يشير الى خيبة أمل كبرى.

وعلى صعيد التنمية والتعاون الاقتصادي يذكر تقرير صادر عن المعهد الملكي للعلاقات الدولية في بريطانيا ان الشكوك تحيط بتوفير الـ١٥ بليون دولار لصندوق التنمية الاقتصادية العربية والذي أعلنه مجلس التعاون الخليج في ابريل ١٩٩١ ، وقد تأكد الأمر عندما اختفى هذا الموضوع من

جدول أعمال وزراء مالية مجلس التعاون الخليجي في اجتماعهم في صيف ١٩٩١ ، ويبقى مبلغ الـ٥ بليون دولار والذي أقر بشكل مبدئي في اجتماع اعلان دمشق كمساعدة لكل من مصر وسوريا، حيث تم وضع تصور أولي لشروط الإفادة منه وهو مالم يعجب البلدين: ويبقى وضع القواعد التفصيلية للافادة من الدعم. هناك مسألة أخرى غير واضحة وهي أنه غير معروف عما اذا كانت الـ٥ بليون دولار مجرد تدعيم للصناديق العربية والخليجية القائمة، أو سيكون مبلغاً مالياً جديداً[١].

حركة ١٩٩١

حركة ١٩٤١

كانت حركة آذار الشعبية أول منعكس محلي من منعكسات الهزيمة، وأول رد فعل شعبي، خارج توقعات أكثر المتفائلين باحتمال حدوث ثورة في العراق، لصعوبة اختراق الأسوار الأمنية، الحصينة والتي منها أسوار الخوف، فبكى عليها الحالمون بسقوط صدام وبكى منها الخائفون على سقوطه.

ويكشف كل فريق منهما عن طبيعة الصراع السياسي في العراق ومستجداته التي لم تكن قائمة على ذات الوتيرة في الحركات والثورات والانتفاضات القديمة.

واذا كان لنا أن نحددأسباب الحركة فستتقدم المباشرة على غير المباشرة لصلتها العاطفية بالحدث وقدرتها على اثارة ردة الفعل بسرعة وايقاد شعلة الثورة. رغم أن الأسباب غير المباشرة هي أعمق في النفس وأكثر تجذراً وأدعى الى الاحتجاج والرفض الثوري..

ان الأسباب المباشرة تحتشد على النحو التالي:

(١) ريتشارد دالتون، كسب السلام في الخليج رؤية من منظور بعيد المدى ،ترجمة حسين موسى، المعهدالملكي للعلاقات الدولية ـ برنامج الشرق الأوسط ـ ط العربية ، دار الكنوز الادبية ، ص ٥٦ .

أولاً: موافقة الرئيس صدام على قرار الانسحاب الذي تحول الى واحدة من فضائح الهزيمة في التاريخ العسكري، وكان مشهد الجنود وضباطهم هائمين في الصحراء بأنصاف الثياب وعلى جانبهم جثث رفاقهم تنهشها الهوام مثيراً للسخط بقدر كافٍ لإعلان الاحتجاج، فالتقى العسكري المسحوب برغبة الأهالي الباحثين عن ثأر لسنوات القمع والرعب.

ثانياً: ساعد تدمير وسائل التشويش التي أقامتها السلطة للحيلولة دون استماع واضح للاذاعات العربية والعالمية على نجاح حملة التحريض الاعلامي للثورة على النظام والتي أدارتها أجهزة الاعلام في دول الخليج ودول عربية أخرى الى جانب اذاعات المعارضة السرية والتي أصبحت مسموعة في كل بيت.

ثالثاً: ساعد على نشوء حركة شعبية مضادة للسلطة في ذلك الوقت تعهدات دول عربية وأجنبية بدعم أي تحرك شعبي لاسقاط النظام لكن هذه الدول سرعان ما تراجعت عن تعهداتها بعد اشتعال الحركة.

رابعاً: وساعد على اشتعالها شعور بعض العراقيين الذين أخذوا عنوة للتنظيم الحزبي والجيش الشعبي والى جبهات القتال بأن الوقت أصبح مواتياً لإعلان موقفهم الحقيقي من الحزب وسلطته ومنظماته ويضاف الى هؤلاء حزبيون متورطون بأعمال مناهضة لروح المواطنة والإخاء الوطني فخشي هؤلاء من احتمال سقوط السلطة وتعرضهم لمساءلات وعقوبات صارمة فوضعوا أنفسهم منذ اللحظة الأولى تحت تصرف الثوار وقد أبلي هؤلاء بلاءاً مشهوداً في تأديب رفاقهم السابقين.

أما الأسباب غير المباشرة فتتمثل في:

أولاً: طبيعة النظام الدموي وما ارتكبه من آثام على مستويات محلية وعربية واقليمية وانفراد عصبة جانحة باتخاذ القرار واحتكار السلطة وتسخير موارد البلد لرغباتها وتوريط العراق بحروب النيابة وتدمير الوعي الاجتماعي والروح المعنوية للشعب العراقي.

ثانياً: تنتسب مناطق الانتفاضة الشعبية الى تراث ثوري عريق وتوصف بأنها مدن وعشائر متمرسة على القتال منذ حركة الجهاد في الحرب العالمية الأولى وثورة ١٩٢٠ ضد الاحتلال البريطاني، ويتمتع أبناء تلك المناطق بالروح اللقاحية

التي ترفض الانصياع للظلم والاستكانة، وفي علاقتها بالعامل الخارجي تلتقي حركة ١٩٩١ بشقيقتها حركة ١٩٤١ بعد نصف قرن.

وفي مراجعة نقدية أو في مقارنة بينهما يلاحظ التالي:

. ١ . كان ثوار ١٩٤١ قد أيقنوا بأن قوات القائد الألماني الجنرال رومل على وشك الانتصار في معركة العلمين واحتمال وصول طلائع القوات الألمانية الى القاهرة وسقوطها. وأن الوقت أصبح مناسباًلقيام الثورة على الحكم الموالي لبريطانيا، واعلان الحرب على بريطانيا مستفيدين من اسناد ألماني قريب.

أما ثوار ١٩٩١ فان القوات الأجنبية التي كانت ستحمي ظهورهم قد دخلت الى أكثر من مدينة عراقية، وأنها حسب تصورات الثوار ستساند عملاًضد صدام حسين وسلطته. وقد بني الافتراضان في حركة ١٩٤١ وحركة ١٩٩١ على خطأ.

فلم ينتصر رومل في العلمين، كما لم يكن في حالة انتصاره معنياًبتحرير العراقيين. ولم تكتفِ قوات شوارتزكوف بالتفرج على حركة الانتفاضة بل ساهمت مع صدام حسين بطريقة أخرى بقمعها.

. ٢ . كان قادة حركة ١٩٤١ من الضباط والسياسيين يبحثون عن التأييد الشعبي ولم يكن أمامهم سوى عرض خطابهم ضد الانكليز على المراجع الدينية العليا، وقد أدرك في وقت واحد كل من قائد الحركة رشيد عالي الكيلاني، وخصمه الأمير عبد الإله أن خلاصه أو نجاحه يمكن ان يتم عن طريق قاعدة شعبية، فأرسل كل منهما مبعوثاًالى فقهاء النجف وكربلاء، فنجح مندبو الكيلاني وأخفق مبعوثو الأمير عبد الإله. وصدرت فتاوى من أكبر المراجع في ذلك الوقت وهم الشيخ عبد الكريم الجزائري والسيد أبو الحسن الموسوي والشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء بتأييد حكومة رشيد عالي الكيلاني واعتبارها حكومة اسلامية يجب الدفاع عنها ضد القوات البريطانية.

. ٣ . ان حركة مايس عسكرية القيادة لكنها وكما جرت العادة قد حظيت بتأييد المراجع الدينية وقبائل الفرات الأوسط.

أما حركة ١٩٩١ فهي شعبية القاعدة والقيادة، وتحظى كما حظيت حركة مايس بتأييد المراجع ، لكن قادة الجيش لم يتحركوا لتأييدها واهتبالها فرصة ثمينة لاسقاط النظام الذي انتهك قواعد العسكرية وأذل المؤسسة العسكرية وتقاليدها

وترك عشرات الألوف من أبناء الجيش بين اسير أو قتيل أو هائم على وجهه في الصحراء.

٤. معنى هذا أن تدخل علماء الدين في انتفاضة آذار ليس بدعة في تاريخ السياسة العراقية اذ ساهم هؤلاء الفقهاء بقيادة ثورة العشرين والحركة الاستقلالية وأيدوا حركة مايس ١٩٤١ وباركوا ثورة ١٩٥٨ ، ولم يعترض الساسة على ذلك ، فلماذا يثار أكثر من اعتراض على دور المراجع في حركة شعبية ضد طاغوت من نوع صدام حسين؟.

أما عوامل فشل الانتفاضة فتوجز في كون دول التحالف التي كانت تسيطر على العراق لم تتخذ قراراً باسقاط صدام حسين،اذ أن برنامج تفريغ القوة لم يتم غلقه بعد وكان للقرار الامريكي بتصفية الانتفاضة ما يبرره من وجهة نظر امريكية على النحو التالي:

١. ان التغيير بالانتفاضة ليس طريقة مفضلة لأنها قد تعيد الثقة الى الشارع العربي المحبط وتفتح طريق الثورة المغلق أمام حالات أخرى كما أن الثوار وان كانت علاقتهم حسنة بالمعسكر الامريكي فانهم سيتصرفون كصانعي سلطة ومالكين وليسوا كمصنوعين ومملوكين. جاءت الانتفاضة بعد صدور قرار مجلس الأمن ٦٨٦ ولدى دول التحالف سلسلة من القرارات المعدة للصدور لاحقاًوالتي على ضوئها يكتمل برنامج تفريغ القوة ومن أهمها قرار ٦٨٧ .

٢. كما لم يبث بعد بالقرار الأخير ٨٣٣ الذي صدر بعد عامين على الانتفاضة باقرار ما توصلت اليه لجنة الأمم المتحدة لترسيم الحدود بين الكويت والعراق.

وكان من الطبيعي أن يكون صدام حسين على رأس السلطة للحصول على توقيعه على القرارات التي لو نجحت الانتفاضة لما تيسر اصدارها عن مجلس الأمن والتي تبلغ أكثر من اثني عشر قراراً.

٣. وفي حالة وجود اتجاه لاسقاط صدام حسين وهو ما لم يرد ذكره في اي كتاب صدر عن ازمة الكويت، فان البديل المطلوب لم يكن جاهزاً.

٤. وبسبب التجربة الايرانية والخوف من ثورة العمائم على الجوار العربي فقد

تركز الخطاب الغربي على هذا السبب كمبرر وحيد يكفي لاجهاض حركة آذار ١٩٩١

وفي كل الحالات فان قمع هذه الحركة كان فضيحة مشتركة لجيش السلطة المسحوب ولجيش الاحتلال الامريكي، وكان طبيعياً أن تصطبغ الانتفاضة بلون القمع المسلط عليها خلال ربع قرن. وكانت علامات النشوة في أعقاب قمع الانتفاضة بادية على تصريحات وكتابات فريقين اختلفا في النظر الى اجتياح الكويت واتفقا على اجتياح مناطق الانتفاضة العراقية.

فقد لاحظ الدكتور عبد الله محارب بكتابه زيارة لبيت العنكبوت ارتياح الأستاذ محمد حسنين هيكل من قمع الانتفاضة الشعبية ضد صدام حسين[١].

ففي الصفحة ٥٧٩ وبعدها يقول هيكل: "ان قيادة الجنرال "شوارسكوف" أثناء اتفاقها النهائي لترتيبات وقف اطلاق النار مع وفد عسكري عراقي، سمحت للطيران العراقي أن يستعمل طائرات الهليوكوبتر، وأن كانت أصرت على منع استعمال الأجنحة الثابتة"، أي الطائرات العادية، واستطاعت طائرات الهيلوكوبتر في وسط حالة شديدة الفوضى على الأرض، أن تحقق نوعاً من الاتصال المستمر والدائم بين أطراف الدولة العراقية، ولقد ساعد ذلك بسرعة على ضبط الأمور بما في ذلك تحقيق السيطرة على وحدات الجيش العراقي، سواء تلك المنسحبة من الجنوب أو المتمركزة في المنطقة الوسطى".

لاحظ لطف العبارة التي يتحدث بها عن أحداث الثورة في العراق بعد اندحار جيشه من الكويت، ثم اذا كان في الأمر ما يدين العراق فانه يتجاهله، فالثورة في الشمال والجنوب بعد اندحار العراقيين، أصبحت "بعض التوترات في الجنوب"، واستخدام الطائرات العادية في تصفية هذه الثورة "صارت ضبطاً للأمور".

أما الكاتب التونسي الدكتور الطيب البكوش الذي وقف الى جانب الرئيس العراقي ومنح قراراته الكثير من المبررات فقد ذهب في تفسير نتائج الانتفاضة وانعكاساتها على السياسة العراقية حداًغير مسموح به في كتابة التاريخ الحي. اذ

(١) د. عبد الله حمد محارب، زيارة لبيت العنكبوت، مركز البحوث والدراسات الكويتية ص ٦٩ - ٧٠.

يؤكد أن الرئيس العراقي صدام حسين وافق على جميع الشروط الاميركية رغم ما فيها اجحاف وتنكيل حتى يحافظ على ما تبقى له من قوة لمجابهة التمرد الداخلي للأكراد في الشمال والشيعة في الجنوب[1].

ويكفي لمعرفة الخطأ التاريخي الذي ارتكبه الدكتور البكوش في ربط اذعان الرئيس العراقي للشروط الاميركية وانفجار الانتفاضة الشعبية أن الرئيس صدام حسين اصدر قراره بالانسحاب من الكويت واعلان موافقته على قرار مجلس الأمن رقم ٦٦٠ في الساعة الواحدة والنصف من توقيت بغداد لليوم ١٩٩٢/٢/٢٦ فيما اشتعلت الانتفاضة في ١٩٩١/٣/١٦ احتجاجاً على الهزيمة الشنيعة وتوريطه العراقيين في حروب الابادة.

أما المنتشون بقمع الانتفاضة في الفريق الذي لا يؤيد الاجتياح فلم يتجرؤا على تدوين شماتتهم في كتابات محددة وانما عبروا عن موقفهم بسلسلة لقاءات مع معارضين عراقيين وتسويق اشاعات مناهضة لرجال الانتفاضة.

المؤتمر القومي العربي

في أعقاب عملية الضم الفاشلة وتدهور سمعة الحزب الحاكم وشعوره بالعجز عن تجميع اتباع وأنصار لا سيما في الخليج ممن كانوا نجوماً في المربد، فقد وجد المخططون السريون في الإدارة العراقية حلاً مقبولاً، بلجوئهم الى استخدام الواجهة وهي طريقة مقبولة في الاحزاب السرية ، والذي يبدو أن النية اتجهت بعد نجاح تجربة مركز دراسات الوحدة العربية والتي أقيمت على نفس المبدأ بتطويرها الى مؤتمر قومي عربي يحفظ الوشائج السرية والعلنية الممتدة بين مركز الحزب في بغداد وأتباعه في المحيط العربي.

وهكذا عقد الأستاذ خير الدين حسيب الدورة الأولى للمؤتمر القومي العربي في تونس بعد فشل الاجتياح لكنه لم يستطع تضليل الهوية وظهوره بمظهر المنظمة

(١) د. الطيب البكوش ،الخليج بين الهيمنة والارتزاق، تونس ، ص ٢٤٤ .

المستقلة فقد كشف عاجلاًعن أوراقه من خلال استخدامه لفقرات الاعلان الرسمي لبغداد، ولوحدة صياغات مشتركة تتصدر أعلى القرارات.

كما كشفت زيارة الأمين العام للمؤتمر الأستاذ حسيب الى بغداد، ولقاؤه بالرئيس العراقي لتقديم التهنئة بضم الكويت والوقوف معه في أية معركة سياسية أو اعلامية ونشر ذلك اللقاء مصوراً في وسائل الاعلام العراقية، عن صلة لم تعد سرية بين المؤتمر القومي العربي ومؤسسيه في بغداد.

يعتمد المؤتمر القومي العربي الذي يساهم بتمويله الى جانب بغداد سياسيون خليجيون على طريقة بادر ما ينهوف في تنظيم الوعي بدلاًمن التنظيم الخليوي المعروف ويروّج للنهج البسماركي باحياء كتابات ساطع الحصري ومحاولة تجميع عدد من الناصريين القدماء.

ويتصل المؤتمر القومي العربي كمحطة عراقية بمثقفين واعلاميين خليجيين وعرباً، لإعادة تسويق صدام حسين الى المنطقة، فظهرت في صحف عربية تصدر في اوربا مقالات صحفية واهتمامات خاصة تتصل أو تدور حول الأستاذ خير الدين حسيب ومؤتمره القومي الذي نجح كواجهة متقدمة وكمشروع وسيط، لم تستطع أن تُقيم دول الخليج مشروعاً على غراره رغم ما لديها من امكانات مادية وفنية. ولعل الأستاذ حسيب يستحوذ على ما لا يقل عن مئة مثقف عربي في لوبي عراقي ناجح.

ومن ملامح هذا النجاح أنه يواصل سياسة بغداد علناً فيؤيد الاجتياح ويتقارب من الاسلاميين وهو علماني، ويقيم ندوة عن العلاقات الايرانية العربية حين تقترب بغداد من طهران، ومؤتمراً للمصالحة بين القوميين والاسلاميين انسجاماً مع خطاب بغداد، ويستضيف مفكرين في أفخم فنادق بيروت لالقاء محاضرة أو حضور ندوة، ولا يجد صعوبات في دخول أو اقامة علاقات مع دول تتصف علاقتها مع بغداد بالبرود أو بالخلاف الحاد.

ومعروف عن حسيب أنه يترك غيره يتحدث لكونه غير قادر على الحديث السليم بالعربية ربما بسبب انحدارات تركية من جهة ، وكون والدته أرمنية، من جهة ولأنه لا يريد أن يبدو وكأنه مسؤول عمّا يصدر عن مركز دراسات الوحدة العربية والمؤتمر القومي من أفكار من جهة ثانية لكنه لا يتأخر عن نشر كتاب للدكتور حليم بركات يخاطب الكويتيين قائلاً: ياأصدقائي الكويتيين أهنئكم بتحرير بلدكم، بامكانكم الآن أن تستأنفوا حياتكم القديمة.... وأن تمنحوا

بلادكم ونفطكم ونساءكم للغرب(١).

المثقف الأردني وعراقيات الرصيف

أما موقف المثقف الأردني فلعله مبني على صلته بالمشروع القومي العربي وهي أعرق وأعمق وألصق من صلة نظيره الخليجي، بحكم عوامل كثيرة قد لا يكون أهمها أنَّ الأردن تتمتع بالكثير من امتدادات المدرسة القومية لبلاد الشام، وزاد عليها اهتماماً خاصاً كون الهاشميين الحاكمين في الأردن ظلوا يوظفون مشروع الثورة العربية للشريف الحسين بن علي بغض النظر عن رأينا فيه والذي أوردناه في كتابنا دولة الاستعارة القومية.

من هنا فان من الظلم اعتبار الرشاوى التي قدمها الجانب العراقي كانت هي العامل الحاسم في أحداث ميل أردني واسع نحو العراق، بهذه الخلفية اندفع المثقف الأردني الذي تحول شأنه شأن نظيره الخليجي أثناء الحرب العراقية. الايرانية من كوة الثقافة الى صالة الاعلام وبدا شديد الاصغاء للخطاب العراقي وشديد الاهتمام باعادة انتاجه وتسويقه فاستلهم رؤيته، واستعار مصطلحه، وذهب متطوعاً الى نواياه وباسراف اعلامي مفتوح.

أما صدام حسين فقد استطاع بسهولة تجيير الزخم الأردني القومي لصالحه شخصياً فتسابق المعجبون حقاً، والمداحون نفاقاً،على مكاتب الادارة العراقية، بغض النظر عن طبيعة ذلك المكتب، فتشكلت صورة العراق الأردنية قصيدة عباسية، وأباً لعروبة تبحث عن أب، ومرجعاً لقوى بلا مرجع، ومخدعاً، وقاصة وخوفاً، ومحبة، وزيفاً وزلفى. وكان طبيعياً أن يظهر الأردنيون وكأن صدورهم مساكن للعراقيين الذين يصلون عمان ممتليء الجيوب، ويعودون بُجُرَ الحقائب، وصار البيت الأردني كالجريدة الأردنية، وكرجل الاعلام الأردني ينتظر ولي النعمة

(١) حليم بركات، حرب الخليج: يوميات في الرمل والزمن، مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٩٢ ، ص ٢١١ .

والذي بدونه ستجف عروق الحياة في معظم أرجاء المدينة، حتى اذا دخل العراق بعد انتهاء الحرب العراقية . الايرانية في مشروع تفريغ القوة الذي انتهى بتفريغ الخزانة العراقية من مصادر التمويل: وأخذ العراقيون والعراقيات يقصدون عمان التي طالما نفخت فيهم روح الأخوة والمصير المشترك باحثين عن فرصة عمل أو مكان آمن من المطاردة انقلبت تلك الصورة ولم تعد عراقية الرصيف وعراقي المقهى، مشمولاً بروح الأخوة العربية. ومتمتعاً بشروط الاقامة في عاصمة الثورة والمشروع القومي العربي القديم.

واستخدمت عراقية الرصيف في سياسة المساومة الأردنية وتسربت أخبار وتقارير صحفية معدة باتقان لاعادة ثقة الخليج بملك الأردن عن طريق تشديد سياسة الأردن ضد العراق، فاذا بها ادارة ظهر وحملات لجمع بائعات علبة الكبريت على الأرصفة وسوقهن الى الحدود العراقية، ولعله كان حلاً يُرضي الرئيس العراقي!.

وللاتفاق على صيغة مشتركة بين المخابرات العراقية والأمن الأردني، أجرى وزير الداخلية الأردني مفاوضات في بغداد لمحاصرة العراقيين في منفذهم الوحيد الى العالم. فأجريت تعديلات على أنظمة الاقامة الخاصة بالعراقيين ولم يعد بامكان العراقي الذي أمضى عشر سنوات في القادسية المشتركة أن يقيم في العاصمة الثانية للقادسية مدة عشرة أشهر.

من جانب آخر فقد أُمتهنت العمالة العراقية ومارس الأردنيون معها ما كان يمارسه الخليجيون عليهم.

عند هذا المنعطف وفي قسوة النفي والعوز ومطاردة رجال الأمن والهجرة يمضي العراقيون فترات وجودهم في الأردن، وكأنهم لم يكونوا جنوداً الى جانب الملك حسين وهويضغط على زر فتنطلق مجموعة صواريخ أرض أرض على مدينة الخفاجية العربية فتقتل ٣٧٠ شخصاً.

لقد أصبح الجنود المحيطون بالملك في ساعة القصف جالية غير مرغوب بها.

ان الملك حسين بدلاً من أن يتخذ خطوات لتنظيف علاقته مع بغداد، لجأ الى تنظيف أرصفة عمان من الذين أوصلتهم الى عمان شراكة الملك حسين وصدام حسين وجورج براون في الحرب العراقية الايرانية وما أعقبها من كوارث.

فأين هو المثقف القومي في الأردن الذي كتب الشعر عن فرسان سعد بن أبي وقاص، ونشر افتتاحيات النار في الرأي والشعب والدستور عن هؤلاء العرب الذين يقاومون الفرس؟ بل أين هو العراقي الذي لا يجب أن يصيبه ضيم الأعاجم، ونساؤه يطردن من أرصفة البيع. وشبابه يباعون لأصحاب العمل بأسعار الرقيق؟!.

وماذا يعني الفكر القومي والولاء القومي عند المثقفين القوميين الذين يرون ضحايا مشروعهم المشترك معلبين بسيارات الشرطة القديمة وحملاتها في عمّان ومدن أردنية أخرى؟.

مازلت أتمنى لو قرأت عموداً صحفياً لمثقف أردني يدافع عن أرامل قذفت بهن القادسية الى ضوء الشمعة وكسرة الخبز فوق أرصفة الخوف من الشرطة.

اجتياح الثقافة

أُتيح للكويتيين بعد الاجتياح أن يوثقوا بتقارير عن اليونسكو وبما لا يقل عن خمسة كتب ظاهرة الاستباحة ويسجلوا لوائح بأعداد الكتب والمكتبات والمراكز العلمية التي تعرضت للتلف والتخريب المتعمد والسرقة. وتأتي كلمة العراقيين حيثما اشارت مسؤولية التخريب والنهب، وهم عراقيون بلا شك لكنهم ينتمون الى واحد من أربع منظمات هي فروع المنظمة السرية الكبرى التي ابتلعت العراق منذ ربع قرن كمنظمة الحزب ومنظمة المخابرات ومنظمة الجيش الشعبي ومنظمة الجيش الرسمي.

ان الذين وصلوا الى الكويت هم من هذه التنظيمات التي أوشكت أن تبتلع المجتمع العراقي، أما الذين، يرفضون الانصياع والطاعة أو حتى المشكوك بنواياهم فليس أمامهم سوى أن يخضعوا للأحكام المصادق عليها في قرارات ثورية صارمة قد تؤدي ببعضهم الى ساحة الموت أو ساحة السجن، أو أن يتسلل المحظوظ منهم الى ساحة المنفى على الحدود السورية أو التركية أو الايرانية وهي الدول التي لم

تشترك بعمليات تسليم الهاربين من الاضطهاد الى حكوماتهم، وبدقة اكثر فان العراقيين الآن شعبان:

شعب المنظمة السرية الممتثل والمطيع والمدرب على برنامج الحزب، وشعب العصيان الخارج على ارادة المنظمة وتعاليم زعيمها وأحلامه. ولأن المؤسسات الثقافية والعلمية والتربوية والاعلامية والتجارية في الكويت لا تتصور أن تقيم صلة بأهل العصيان فقد كان طبيعياً أن تتعامل خلال عقد التحالف ما بين ١٩٨٠ - ١٩٩٠ مع شعب المنظمة السرية الممتثل للإرادة الحزبية والمسلوخ عن ارادة المجتمع وتقاليده.

ان الشعب الذي (زار) الكويت في ١٩٩٠/٨/٢ ينتمي الى القسم الذي اعتاد الكويتيون على زياراته وليس من الصنف الهارب من المنظمة السرية وطقوسها الى الحرية والشتات وطقوس المنفى.

ولهذا فلا أعرف سبباًلتلك الصدمة التي ضربت مركز الأعصاب في المثقف الكويتي أو قد لا أبرر حجم الاستغراب ولا أتعاطف مع تساؤل الكويتيين وملء أفواههم العجب من بشر كهؤلاء الذين استباحوا الكويت أو من أي جحر من جحور الأرض خرجوا والى أية ملة ينتسبون؟!

لا نظن أن الكويتيين أو بعض الكويتيين يلتقون بهؤلاء المستبيحين لأول مرة وأغلب الظن أن أكثر من لقاء تمَّ بين الفريقين ولم تكن وجوههم وهم يدخلون المنازل فيستبيحونها عنوة وجوه الغرباء، بل لم يكونوا غرباء على المؤسسات التي احترقت والمكتبات التي أُحرقت والتحف التي نُهبت فالتقرير الذي وضعه جون بينون عضو وفد هيئة الأمم المتحدة لحصر الأضرار التي لحقت بالمؤسسات التربوية والعلمية والثقافية ومؤسسات البحث والاتصال في الكويت يوضح أنه في ٢٧ سبتمبر أيلول ١٩٩٠ قام مدير عام الآثار والمتاحف العراقي مؤيد سعيد بكسر أقفال متحف الكويت بالمطارق الثقيلة والأدوات الأخرى وتمَّ سرقة ونقل ما كان بالمتحف وقد تبين من الفحص أنه تمَّ سكب مواد قابلة للاشتعال في جميع أرجائه للتأكد من أن المبنى بكامله لن يبقى فيه الا الحطام. كما أُحرق جميع ما بداخل القبة السماوية المزوّدة بعاكس تقدر قيمته بمليون ونصف المليون دولار،

ولم يسرق العاكس لكن النار دمّرته[1].

يصف تقرير اليونسكو أن ٢٥ ألف عنوان مسجل على مكرو فيلم يحوي مخطوطات عربية قديمة كانت بقسم التراث العربي التابع للمجلس الوطني للفنون والثقافة والآداب وعشرة آلاف مجلد اضافة الى ١٦٠٠ مخطوطة أصلية قد تمّ سرقتها.

ويذكر التقرير "أن عبد الأمير معلة وكيل وزارة الاعلام العراقي زار المكتبة المركزية التي كانت تضم ٩٠ ألف مجلد قبل الغزو بدعوى دراسة طريقة عملها، وفي ٧ كانون الثاني ١٩٩١ نُقلت جميع محتويات المكتبة المركزية تحت اشراف فني الى بغداد وسُرقت كافة محتويات المبنى حتى أجهزة التكييف[2]".

لا أظن أن المثقفين الكويتيين يلتقون بهؤلاء لأول مرة فعبد الأمير معلة من رجال المربد والذي يستقبل كل عام مئة مثقف وشاعر وصحفي كويتي ويوقع على عقود العمل المشترك وفق أهداف مشتركة مع مؤسسات صحفية واعلامية، ولم يكن مؤيد سعيد وهو ينتمي الى عائلة تترية مستعربية اسماًمجهولاً على مدراء المؤسسات الثقافية في الكويت.

ان الأستاذ عبد الله العنيزي الأمين العام للجنة الوطنية الكويتية لليونسكو يمهد بكراس يتناول عرضاً لمجموعة تقارير لخبراء اليونسكو الموفدين الى الكويت لتقدير حجم التدمير الذي لحق بمؤسسات التربية والثقافة بالقول: لو أراد الشيطان أن يفعل ذلك لما استطاع ويستغرب الأستاذ العنيزي كيف يصدر هذا التدمير من جار وأخ عربي مسلم ضد أخيه الذي وقف معه في محنته؟

وكم أرجو أن يُتاح لكل مثقف عربي الاطلاع على تقارير خبراء اليونسكو في الكراس الذي يحمل عنوان (العدوان العراقي على المؤسسات العلمية والتربوية

(١) سليمان عبد الله العنيزي، العدوان العراقي على المؤسسات العلمية والتربوية والثقافية بالكويت في تقارير خبراء اليونسكو والمنظمات العربية والاسلامية، مركز البحوث والدراسات الكويتية - ١٩٩٣ ص ٢٤ .

(٢) المصدر السابق، ص ٢٢ .

والثقافية في الكويت) الصادر عن مركز الدراسات والبحوث الكويتية عام ١٩٩٣ لا ليطلع على ما أصاب تلك المؤسسات من تخريب منظم وانما أيضاً ليطلع على صورة عن كتب مماثلة ستصدر في المستقبل عن اليونسكو ذاتها لتوثيق ما أصاب المؤسسات الثقافية في مدن الثقافة العربية العريقة (الكوفة والنجف وكربلاء وبغداد) من تخريب وتدمير وعدوان اذ لم يتهيأ للمتضررين حالياًالاستعانة كما استعان الكويتيون بخبراء اليونسكو المحايدين) ليوثقوا بتقاريرهم الميدانية حجم الخسارة التي ضربت خزانة التراث العربي وأتلفت ما لايقل عن عشرين ألف عنوان لمخطوطة وحيدة أو ثانية لأسفار عباسية لم تتح بعدُ فرصة نشرها وهي من محتويات المكتبات الخاصة لجامعة النجف الدينية والتي تُعدُّ آخر سلسلة في نظام التعليم العباسي الذي أسس له فروعاًفي مدينة النجف ابتداءاً من عام ٤٥٠ للهجرة حتى ظهور السلطة القائمة في العراق والتي انقضت بقوة السلاح وبأساليب أخرى على المعاقل الأخيرة لنظام التعليم العباسي في العراق.

ان من أحرق مدينة الثقافة العربية الاسلامية هم اتباع من شعب المنظمة السرية شعب المنظمة السرية وهو ليس كل الشعب العراقي. ان شعب المنظمة السرية والاتباع الذين قادوا عمليات السرقة وجعلوا من المراجع الفكرية وسائد للنوم ومساند للسيارات العسكرية أو ركائز للتحميل عليها أو لاشعال النار للطبخ واعداد الوجبات أو للتدفئة أثناء الليل كما جاء في تقرير البروفسور محمّد أمان[1] هم رجال وجوههم معروفة ولطالما ألتقى بهم الموفدون الاعلاميون الكويتيون الى جبهات الحرب العراقية . الايرانية فكتبوا عن أدائهم الممتاز ما كتبته أسفار العرب عن رجال الفتوحات العربية الأوائل.

ان الذين دخلوا الكويت واستباحوها كانوا من محترفي الاستباحة في مدن الجوار الاسلامي الآخر وكانت قبائل بني كعب وبني أسد وبني لام ضحايا الاستباحة الأولى في مدينة المحمرة العربية. وكانت واحدة فقط من تلك الاستباحات العثور

(١) المصدر السابق، ص ٨٢ .

على قبر جماعي يضم ٣٢ فتاة عذراء أُستبيحت ثم دفنت حية، ومن غرائب الصدف أن يُعرض المشهد في احدى نشرات الأخبار في التلفزيون الكويتي عام ١٩٨٢ حيث أُتيح لي هناك أن أدون الحادثة في دفتر يومياتي.

لم يكن هؤلاء المستبيحون غرباء.

الغرباء عن ذلك الوسط هم وجوه أخرى تقاتل ضد الاستباحة وتواجه الكثير من الاستباحة في الهوية والمكتبة وجواز السفر ومسكن العائلة.

ان كل الذين خرجوا الى المنفى من العراقيين تعرضت مكتباتهم ومساكنهم الى ما تعرضت له مكتبات الكويتيين ومساكنهم.

ثقافة الاجتياح

سأبدأ مع شقيقي هادي العلوي، المفكر العربي المتخصص في التراث العربي والصيني، والماركسي المتصوف والمعتكف على مذهب أبي العلاء المعري، والمنقطع عن مقابلة السلاطين وذوي المال واليشب، والرافض، منذ نعومة أظفاره، ذبح الأنعام وأكلها.

لكن هذه السلسلة غير القصيرة من تعاريف وأوصاف، لم تجعل من هادي العلوي، رجلاً يستفزه مشهدٌ كان من محرمات التاويين الصينيين الذين اكتشف فلسفتهم ونقلها الى العربية ووضع صورة الفيلسوف التاوي لاوتسه ونظيره موتسه، مكان صورة أخيه. والتاوية تقول: ان جميع الممالك صغيرها وكبيرها هي ممتلكات سماوية!.

ان السماء تمقت الدولة الكبيرة التي تهاجم الدولة الصغيرة[1].

سألته كيف مر الاجتياح على مشاعرك، وأنت العربي الوحيد الذي عرف

---

(١) هادي العلوي،المستطرف الصيني، دار المدى، ١٩٩٤ .

التاوية وتمسك بها ؟. قال: قد لا أكون مع الاجتياح، ولن تتحمل مشاعري رؤية الذبح العسكري، لكنني أعتبر الكويت عراقية. ومازلت متمسكاً بالمبررات التي قدمها العراق عام ١٩٦١ الى الأمم المتحدة حول عدم توفر شروط الدولة في الكويت،واضيف أنهم ليسوا أكثر من مجموعة أثرياء يتصرفون بمال لم يبذلوا جهداً في الحصول عليه.

وفي هذا الصدد استشهد بمقطع على لسان فيلسوف التاو لاوتسه، وهو يقول:

احتجن الثروة والجاه.

تقترب من الكارثة.

أجمع الذهب واليشب

فلن تقدر على حمايتهما.

لم أقتنع بهذا الرد، لأنه مجرد حكمه تتردد في تاريخ الفكسر البشري، ونحن نتحدث عن استباحة مجتمع، ولا خلاف على هذه الحكمة، ولكنني سأكون أقرب الى التاوية، عندما أستعين بها في نقد الغزو وفيلسوفها يقول: (كل ما في السماء والأرض، يجب أن ينمو طبيعياً لأن أدنى ارغام يؤدي الى الفشل وضرب مثلاً لذلك رجلاً خافَ أن لا تنمو حبوبه بسرعة كافية فعمد الى الحقل، وسحب النباتات الى الأعلى ثم عاد ليعلن للناس، أنه تعب هذا اليوم لأنه ساعد الحبوب على النمو. وهرع ابنه لينظر اليها فرآها، قد ذُبلت كلها!).

أن صدام حسين لم يحمل رغبة الفلاح الصيني الخيرة في رؤية حبوبه سامقة السيقان فسحبها من رؤوسها فماتت.

أن صدام لم يرغب في أن تنمو أرض العراق الى ماوراء حدودها بشكل طبيعي، فعمد الى سحب البلد من عنق الكويت فقتل الكويت ولم يكبر العراق، وبعثت الحياة في الكويت من جديد ودبَّ الموت على أطراف العراق.

أجاب مستطرداً: ان جميع القوى المعادية للامبريالية العالمية بقيادة الولايات المتحدة من أعماق الصين حتى كوبا، وبضمنها الجماهير العربية الساحقة، وقفت مع العراق من دون أن تسأل عن صدام.

قلت: وماذا تبين لك بعد أربع سنوات؟

قال: لم أكن أعول على صدام. ولا عوّل عليه صاحبي مظفر النواب، كانت لدينا أوهام أخرى غير صدام، وأنا الآن أؤيد ما ورد في ردك علي بخصوص صدام فقط، فأنت يا حسن أفضل من يعرف صدام ويشخصه في جذره وعمقه البعيدين.

أما مظفر النواب الذي أشار اليه رفيقه العلوي، فقد كان الى جانبي ونحن نستمع الى التغطية الاعلامية للحظات الحرب فيقدم تفسيراً غير تفسيري، حتى اذا سألته وهو المناضل المجرب، والذي هرب من السجن العراقي بنفق حفره ورفاقه بملاعق الطعام، واتجه مقاتلاً في حرب تحرير ارتيريا، عما يغريه في اجتياح بلد صغير من قبل حاكم من نمط صدام حسين؟

أجاب: عندما يكون الصراع ضد واحدة من دول الخليج فلا يجوز لك أن تسأل عن أخلاق ونوايا الطرف الآخر. وليس لك أن تقف على الحياد، لأنك ستبدو منسجماً مع معسكر مختلف سياسياً وطبقياً واجتماعياً.

لكن العلوي والنواب يمثلان اتجاهاً خاصاً، فهما مع ضم الكويت دون أن يكونا مع سياسة صدام. وموقفهما يتناقض مع موقف مثقفين وشعراء عرب أيدوا اجتياح الكويت، وسياسة صدام حسين في وقت واحد. أبرز ممثلي هذا الفريق، الشاعر الفلسطيني محمود درويش والمفكر المغربي محمد عابد الجابري وكتاب اردنيون[1]

(١) وعلى الرغم من أن الرئيس العراقي قد اعترف نهائياً بقرارات الأمم المتحدة وأذعن للشروط الاميركية، إلا أن بعض المثقفين العرب واصل شحذ الهمم، فيكتب طارق مصاروة وهو من كتاب العمود في الصحافة العربية في العدد ١٧ - ٨ - ١٩٩٢ من جريدة الرأي الأردنية. "إن النظام السياسي الحالي في العراق، لم يحدد نوع العلاقة العراقية الكويتية ولا عبد الكريم قاسم، ولا نوري السعيد أو الملك غازي، فالعلاقة هي علاقة تاريخية متغلغلة في أعماق القناعة الشعبية العراقية . ويضيف الكاتب الذي يُعلن عدم اعترافه بالكويت كدولة، (إن هذا الكيان وهذا النظام جزء من حركة الامبريالية الاميركية وحلفائها في أوروبا).

لكننا ونحن نتابع عمود طارق مصاروة، لم نعثر على روحية عداء جميلة كهذه للاميركان وللامبريالية والصهيونية، في الوقت الذي وقعت الأردن على اتفاقية صلح مع اسرائيل واحتفل الملك بيوم انشائها في ١٩٩٥/٥/١٥

وتونسيون[٢].

ذهب درويش الى مهرجان المربد، في ايام اشتداد طاحونة الحرب مع ايران، وتكاثر القتلي من الذكور العراقيين مع اتساع ظاهرة الأرامل والثواكل من نساء العراق ومشى في شوارع بغداد، فوجد العنصر النسوي طاغياًعليها، بعد أن سيق ذكورها الى جبهات الموت، وتحرك خياله الشعري فأعلن من هناك أن بغداد مدينة أنوثةحيث يصبح الترمل عند محمود درويش مرادفاً للأنوثة ويتداعى منطق الأشياء لتكون الأنوثة نتاجاً شعرياً لطاحونة الحرب ويصبح من الطبيعي والعادل والمشروع أن تنتج أنوثة تحتاج اليها المدن وشعراؤها عن طريق توسيع ظاهرة الأرامل.

محمود درويش التزم بموقفه هذا في اجتياح الكويت وظهر كأبرز مناصري صدام حسين في تلك اللحظات. وعن علاقة هذا الفريق بصدام حسين يبقى نزار قباني أوشج في هذا الاتجاه من محمود درويش لكونه أقام مع صدام حسين علاقة خاصة تعود الى عام ١٩٦٩ في أعقاب حضوره مهرجان الشعر العربي المنعقد في بغداد. فقد أبلغت بمكالمة هاتفية من مكتب صدام حسين الذي لم يكن يحمل مسؤولية في الدولة، برغبته في الالتقاء بنزار قباني الذي رحّب بالفكرة، لكنه تساءل من يكون صدام حسين هذا؟!.

وفي أعقاب انتهاء اللقاء الذي استمر أقلّ من ساعة فاجأني نزار بالسؤال عما اذا كنا نُعد لأن يكون هذا الرجل خليفة لعبد الناصر؟ وهو ما لم يكن يمرُ على خاطري، ثم واصل نزار حديثه قائلاً: انه لم يشعُر بالارتياح لهذا الوجه الحزبي الممقوت، وأضاف أن هذا الشخص، أي صدام حسين يجب أن يظل رهيناًفي قبو بعيداً عن الناس، فاذا كان هو مرشحكم لخلافة عبد الناصر فاسمح لي أن أعطيكم الآن صورته واختصروا الجهود:

أولاً: أن ملامحه لا تدعو للاطمئنان اليه والثقة به. انتقدها بمفاهيم طبقية مازلت لا أقره عليها.

(٢) وفي تونس وضمن سلسلة حرب الخليج، أصدر الكاتب برهان غليون كتابه الموسوم "ما بعد الخليج أو عصر المواجهات الكبرى"، ولمحمد محفوظ كتاب بعنوان (حرب الخليج امتحان للشرعية الدولية)، وللكاتبين عزام محجوب - ومحمد النخال (حرب الخليج.. البعد الاقتصادي والرهان الدولي)، وأيضاً كتاب (الخليج بين الهيمنة والارتزاق) للطيب البكوش.

ثانياً: صوته لا يصلح للخطاب العربي لأنه من نوع السوبرانو.

ثالثاً: أنه حزبي متعصب وشخصية غير مفتوحة.

لكن رأي نزار صدام حسين لم يستمر على هذه الشاكلة فقد كتب بخط يده رأيه الجديد في الرئيس العراقي قائلاً:

(أهم ما في شخصية الرئيس صدام حسين، هذه القدرة العجيبة على جعل العالم من حولك أجمل.. والآمال أكثر اتساعاً..

لقد جئت الى بغداد مكسوراً... فاذا بصدام حسين.

يلصق أجزائي..

وجئت كافراً بممارسات العرب.. فاذا بصدام حسين.. يردّ اليّ ايماني.. ويشدّ أعصابي..

وجئت وفي أعماقي انفجارات وغضب ورياح عاصفة فاذا بصدام حسين يفتح الستائر.. ويقنعني أن الصحو قادم.. وأن الشمس ستشرق مرةً أخرى..

وهكذا.. أعود من بغداد وأنا ممتلىء بالشمس والعافية..

فشكراً لصدام حسين.. الذي قطّرَ في عيني اللون الأخضر)

التوقيع نزار قباني

بغداد في ١٩٨٤/٤/٢٥

لو كان نزار صديقاًحقيقياًلصدام أو رفيقاًفي الحزب لكان يمكن أن يقبل قدر من هذا الكلام لكن نزار وهو من صانعي اللغة الشعرية لا ينتمي الى مدرسة صدام حسين وستلاحق الشكوك بالنزاهة كاتب نص كهذا. ولأكثر من اعتبار لم يندفع نزار في تأييد اجتياح الكويت لكنه لم يعلن شجبه لما حدث ولعله أرضى طرفي النزاع بهذا الموقف.

وفي الكويت ظهر أكثر من مثقف وكاتب صحفي وهو يغمض نصف عين عن صدام حسين ويفتح على المعارضة العراقية عدسة مكبرة بحثاً عن شوائب وأخطاء.

ومن الغريب أن أعلام المعارضة العراقية لم يُناقش أو يُرد على تيار كويتي يبدو في تعريضه بالمعارضة وكأنه يصفي حسابات قديمة. الا أن أصواتاً خليجية من

خارج الكويت ارتفعت بالاعتراض على مشاعر الشماته ومحاولات تخسيس الشعب العراقي وابراز جوانب الانتصار الامريكي على العراق دون أن تتورط هذه الأصوات بما تورط به آخرون كانوا يدافعون عن صدام حسين تحت ذريعة الدفاع عن الشعب العراقي، فيما وضع الكتاب المحتجون على كتابات الشماتة والتخسيس الشعب العراقي في مكان وحاكمه في مكان آخر.

ان مقالاً نشرته الشرق الأوسط بعد أيام من هزيمة صدام حسين بعنوان (أبداً لم تُهزم بلاد الرافدين) بقلم خالد التويجري يُشكل صرخة نقية في الدفاع عن كبرياء أهل العراق جاء فيه:

نعم انتصرنا بكل المقاييس والحسابات العسكرية والسياسية ولكننا لم نهزم بلاد الرافدين ولن يتمرغ أنف العراق الشريف بأقدام أخوته، لكنها الهزيمة والسقوط والضياع تحيط بالمهيب وازلامه ومن أشاروا عليه، لم تُهزم بلاد الرافدين في ساحة المعركة بأصالتها وقوتها لكنها هُزمت بقادتها هُزمت بمن أراد لها الهزيمة ولأنه لا قضية تستحق أن يموت من أجلها عراقي الدم عربي الجذور[1].

وكموقف خالد التويجري، وقف مثقف كويتي هو الدكتور غانم النجار الأستاذ في كلية العلوم السياسية الذي اختطفته قوات الاجتياح وأخذته أسيراً في معسكر لا تتوفر فيه شروط انسانية. وكان ممكناًأن تتم تصفيته، لولا صدور قرار بعد موافقة الجانب العراقي على الانسحاب وشروطه، باطلاق سراح الأسرى فعاد الى وطنه، وشكل مع عدد من المثقفين الكويتين لجنة لحماية حقوق الأشخاص المتهمين بأعمال لا انسانية ضد الكويتيين أثناء الاحتلال وأثمرت جهوده عن تحسين أوضاعهم واطلاق سراح العديد منهم عراقيين وعرباً.

العودة إلى النظام الملكي

في عام ١٩٨٨ أشار عليَّ الأستاذ سعد صالح جبر بزيارة الشريف حسين بن

(١) الشرق الأوسط ١٩٩١/٣/١٤ .

علي المقيم في لندن مع زوجته الأميرة بديعة بنت علي التي نجت وزوجها وأطفالها من موت محقق في الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ بلجوئها الى مبنى السفارة السعودية ببغداد ومكوثها هناك عدة أسابيع الى أن علم الزعيم عبد الكريم قاسم بمكان وجودها فعرض عليها الاختيار بين البقاء مُكرَّمة في وطنها أم الذهاب الى بلد آخر. فأختارت العائلة ايطاليا. وتمَّ لها ذلك ولم يعد أحد من أفرادها الى بغداد.

والشريف حسين بن علي لا يتصل بفرع الشريف الحسين بن علي عميد الأسرة الهاشمية وكان عندما التقيته قد تجاوز السبعين قليلاً، وفي لياقة صحية عالية تضفي على مهابته قامة باسقة وملامح حجازية عريقة لرجل يتوازن فيه وقار الانتساب بعظم المصاب.

كان اللقاء الأول للتعارف وأعقبه لقاء آخر خصص للحديث عمّا لم يُعرف عن العائلة المالكة العراقية، ولعل انتقادات الشريف لجوانب في السياسة الملكية فتحت شهيتي الى حديثه وبدا كما لو كان معارضاً في الحركة الوطنية العراقية ولم يحاول أن يقترب في حديثه من فكرة العودة الى النظام الملكي قبل أن أثير الموضوع أمامه فعقب قائلاً: ان ظروف العراق الحالية تستوجب اعادة تقييم للنظم التي مرّت عليه فاذا كان النظام الملكي على ما كان فيه من علل ونواقص هو أفضل لوحدة العراق واستقراره فان الشعب العراقي سيقرر ذلك وليس نحن، أضاف الشريف حسين انَّ التجربة السابقة قد لا تشجّع أحداً في عائلتنا على تكرارها لكنّني أشعر أن أخطاءً ارتكبتها السياسة الملكية أو أُرتكبت بحقها كانت مسؤولة عن تلك الصورة السائدة.

قلت: وقد شجعتني انتقاداته على مواصلة الحديث ان المشروع الهاشمي في العراق قد استنسخ التجربة الملكية البريطانية ولم يستلهم طريقة حكمه من طبيعة المجتمع العراقي، فقال الشريف: كان من أكبر الأخطاء اقصاء ما هو شرقي واسلامي عن النظام السياسي في تلك الفترة، وكان المفروض بالملك فيصل الأول أن يولي هذا الجانب أهميته، وعلى الصعيد نفسه قال: ان الملك فيصل الأول وصل العراق ولم يكن تحت تصرفه من الأموال ما ينسجم مع مقامه وقد حُوربت العائلة المالكة بالمال أولاً من قبل الانكليز وأثقلوا عليها بالمعاهدات ثانياً وكان دور الملك فيصل الأول صعباً للغاية في التوفيق بين المطالب الوطنية الحادة وشروط

البريطانيين القاسية.

كان مطلوباً أن اسأل عن العلاقة بين الشريف حسين والملك حسين بن طلال؟ فاستعرض الشريف جزءً من تاريخ العلاقة بما لا يترك لبساً في أن خلافاً في وجهات النظر وفي طريقة الحياة. لا يجعل أياً منهما قريباً من الآخر. وفي جلسات أخرى مطولة مع الشريف حسين، عقدت واحدة منها بمنزلي شمال لندن في أعقاب اجتياح الكويت، تناول الحديث الموقف الاقليمي والدولي من فكرة العودة الى النظام الملكي فاتفقنا أن استشف الموقف الخليجي من هذه الفكرة أثناء زياراتي للمنطقة وتبيّن لي أن السعوديين لا يميلون الى الدخول المباشر طرفاً في اختيارات الشعب العراقي ومثل هذا الموقف يمكن أن يفسّر بطريقتين مختلفتين كاشارة الى رفض الفكرة كما هو اشارة الى قبولها، وكان ممكناً للشريف حُسين أن يتحرك بطريقة أفضل لنشر دعوته واستقطاب التأييد الاقليمي لها لا سيما في السعودية التي يزورها على خفر ويتحدث عنها على استحياء.

أما الكويتيون وقد حاولت أن أطرح فكرة العودة الى النظام الملكي بدون تركيز يجلب الانتباه، فقد كانوا أوضح من السعوديين في رفض الفكرة. لقد أطرق الشيخ سعد العبد الله ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء رأسه وكأنه يتحدث الى نفسه قائلاً : بصوت منخفض، لكنه هاشمي.. أيضاً وكان متوقعاً تحت ضغط رد الفعل من الموقف الأردني أن يتشكل هذا الانطباع لدى رئيس الوزراء الكويتي، فحاولت طمأنته بأن الشريف حسين هو من فرع آخر، وأنه لا يلتقي في كثير من وجهات النظر مع ملك الأردن، فقال الشيخ سعد وهل أنتم على ثقة أن صدام سيطاح به[1].

وعلى الجانب الدولي لم يتحمس البريطانيون لفكرة العودة الى النظام الملكي بما كان متوقعاً، ولم تظهر في فترة الترشيحات التي أعقبت غزو الكويت ملامح تعاطف بريطاني الا على قدر يسير مع مشروع الشريف حسين والى هذا اليوم لم استطع تحليل الموقف البريطاني الا على ضوء عدم اصطدامهم بالرغبة الاميركية التي اتجهت نحو شاب ينتمي الى عائلة وزارية في العهد الملكي العراقي، هو

(١) يعود هذا الحديث إلى أواخر عام ١٩٩١ .

الدكتور أحمد الجلبي ليكون الرجل المفضل لتحرك يستقطب فصائل المعارضة[1] وقد يكون من الغريب أن عائلة الجلبي الشديدة الولاء للنظام الملكي تضع نفسها في مواجهة مشروع لعودة الملكية الى العراق.

ان الموقف الانكلو اميركي السلبي ازاء فكرة العودة الى النظام الملكي لا يُشير الى عدم جدية المشروع الملكي كما يردد بعض المحللين، وانما الى عدم جدية الولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا في رؤية صدام حسين خارج السلطة وفي رؤية عراق ديمقراطي دستوري مستقر وميلهم الى وضع العراق في مهب العواصف. لكن صعوبات تكتنف المشروع الملكي في العراق منها:

أولاً: لم يترك النظام الملكي السابق ارثاً دستورياً يمكن استخدامه في المناداة الدستورية بالعودة الى الملكية ولطالما أختُرِق الدستور الملكي لأبسط الأسباب، وبلغ الأمر حداً جعل الأمير عبد الإله يُكلف رئيس أركان الجيش بتشكيل وزارة واعلان الاحكام العرفية، وقبول نوع من الحكم العسكري، لمواجهة مشكلة التظاهرات الشعبية التي كان يمكن أن تُعالج بأساليب أخرى.

ومن جانب آخر لم تمتد وشائج من الأُلفة المدافة بروح المواطنة بين العائلة الملكية والمواطنين العراقيين. ولم تُفتح القصور الملكية أبوابها لمن يلوذون بأعلى المقامات طلباً للشفاعة أو لازالة ظلم أو لاحقاق حق، لكن هذه العائلة من جانب آخر عاشت حياتها البسيطة بامكانات مادية متواضعة بما يُبعدها عن البذخ والترف والاسراف والتبذير فخلفت بعد ثمانية وثلاثين عاماً من الحكم مزرعة في بغداد ونصف معمل للطابوق وقصراً ملكياً وفيلا اميرية، وخمسة بيوت متواضعة وخمس سيارات وضعتها الحكومات الجمهورية في مكان بحديقة عامة وسط بغداد للتشهير بالترف الملكي، فيما يحتفظ ابن اي مسؤول في العائلة الجمهورية الحاكمة بعدد أكبر من تلك السيارات.

ثانياً: أوجدت ظروف الانقلابات رغبة لدى الكثير ممن لا يمتلكون مؤهلات للقيادة وشروط رجل الدولة، في أن يعتبروا أنفسهم مرشحين جاهزين للرئاسة بعد أي تغيير.

(١) تصطدم هذه الحقيقة مع ما ذهبت إليه مجلة الشراع في العدد ٥١٨ ١٦ آذار ١٩٩٢ عن وجود علاقة أساسية بين فكرة العودة للنظام الملكي واللعبة الامريكية في المنطقة.

ولهذه الرغبة ما يبررها فقد تحوّل آمر فوج برتبة عقيد ركن خلال أربع وعشرين ساعة الى نائب القائد العام للقوات المسلحة ووزيراً للداخلية[١].

وتحوّل طالب في معهد صناعي الى مدير للأمن العام برتبة لواء[٢].

وأصبح تلميذ لم يُكمل دراسته المتوسطة نائباً لرئيس مجلس قيادة الثورة[٣] وتحوّل طالب لم يحمل الشهادة الثانوية ولم يؤدِ الخدمة العسكرية الى رئيس جمهورية وقائد عام للقوات المسلحة[٤]، وقيض لنائب ضابط أن يكون نائباً لرئيس الجمهورية[٥] وتحوّل مدير سجن الى وزير للتعليم العالي والبحث العلمي[٦] وتحوّل مستخدم صحي سابق الى رئيس للوزراء[٧]!.

وما دام الوصول الى أعلى المقامات والمواقع أصبح ميسراً لمثل هذا الطراز من القادة فلماذا لا يسعى أي سياسي عراقي بزعامة السلطة لنفسه دون غيره؟. وما هو مبرر أن يدعو سياسي أو ضابط الى أن يتزعم الدولة ملك فيما يكون باستطاعته هو أن يكون رئيس البلاد. وهكذا انفضّ دعاة ملكيون عن الدعوة الملكية!.

ثالثاً: يُشكل اليسار العراقي واحدة من المعوقات الأساسية أمام العودة الملكية لما ضخّه من تثقيف شعبي مضاد للحكم الملكي. ولعل تأثيرات ذلك مازالت تتردد أصداؤها على ردود الفعل التي ظهرت في أعقاب الاعلان عن المشروع الملكي الجديد.

ومن المُلاحظ أن هذا اليسار قومياً كان أم ماركسياً أم اسلامياً لم يتردد عن اعطاء بيعته للمؤتمر الوطني العراقي رسمياً. والذي يتزعمه النجل الأصغر لوزير ملكي ورث الوزارة عن أبيه.

---

(١) هو العقيد الركن عبد السلام عارف.
(٢) هو السيد ناظم كزار.
(٣) هو السيد عزت ابراهيم الدوري
(٤) هو السيد الرئيس الحالي.
(٥) هو السيد طه ياسين الجزراوي.
(٦) هو السيد سمير عبد الوهاب الشيخلي.
(٧) هو السيد محمد الزبيدي.

واذا كان المشروع الملكي يُحرض الذاكرة لشريط الولاء لحلف بغداد. وللسياسة الغربية، فان المؤتمر الوطني العراقي، كما لا يخفى على أي معارض عراقي، ليس بعيداً عن الرعاية الدولية. ولهذا فمن غير المنطقي أن نؤيد الدكتور أحمد الجلبي ونُعارض الشريف علي بن الحسين!.

رابعاً: لم يقتنع دُعاة ملكيون بترشيح الشريف حسين بن علي ابنه علي بن حسين وريثاً للعرش[1].

لقد سألت الشريف عن مبررات ترشيح نجله فقال: انه أي الأب في العقد الثامن من العمر. وسيكون شاب في مطلع العقد الرابع أكثر فاعلية وأطول عمراً في أداء عمله مني. وأن ابنه عراقي حقيقي فيما يعتبر الوالد نفسه من مواليد الحجاز في المملكة العربية السعودية ويُضيف الأب سبباً آخر كون نجله متخصصاًفي الاقتصاد وأنه سيكون أكثر صلة بما ينبغي على رئيس الدولة العراقية أن ينهض به.

لم أقتنع بمبررات الشريف حسين:

فالعراق سيحتاج حكمة رجل مجرب في عمر الشريف حسين وليس لمكان الميلاد علاقة في هذا الموضوع لأن الشريف حسين ليس سعودياًوانما هو من مواليد الحجاز قبل تأسيس المملكة العربية السعودية.

أما كون الابن حاصلاً على تخصص في الاقتصاد فليس المطلوب في الملك أن يكون من المتخصصين لأن وظيفته ليست تنفيذية.

---

(١) ولد الشريف علي في بغداد عام ١٩٥٦ وهو ابن خالة الملك فيصل الثاني متزوج من كربلائية وحائز على ماجستير في العلوم الاقتصادية. وهو قريب الشبه بالملك فيصل الثاني، لكنه يبدو أكثر ديناميكية وأشد صلة منه بالحياة العامة، التي خاض غمارها عاملاً في مؤسسات مصرفية.

أمه بديعة بنت الملك علي وشقيقه الأمير عبد الإله. وله ابن يحمل اسم فيصل الثالث.

وكنت قد التقيت بالأمير علي أكثر من مرة وعنّي صدرت أول اشارة وأولى صور حول العودة إلى الملكية.

وفي اعتقادي أنه يحتاج إلى مخالطة العراقيين على كافة مستوياتهم ومشاربهم ومراجعة تاريخ العراق وأخطاء أسلافه.

وهناك سبب ليس لصالح ترشيح الابن كنت قد اثرته أمام الشريف يتصل بولاية العهد، فأجاب الشريف: أن لدى ابنه حفيد في السنة الأولى من العمر؟!.

قلت: هنا مربط المشكلة الأولى في التجربة الملكية العراقية وكأن العودة الى النظام الملكي سترافقها عودة الى تلك الأخطاء القاتلة، وأنت تعلم أن مشكلة الملك فيصل الأول أنه أنجب ابناً وحيداً لوراثته، وصار الابن ملكاً في حداثة سنه، وخلف طفلاً في الرابعة من عمره عند وفاته في حادث سيارة وأشغل ولاية العهد خاله الذي اصبح وصياً على العرش لمدة تربو على أربعة عشر عاماً الى ان تسنم فيصل الثاني سلطاته الدستورية، وهو في الثامنة عشرة من عمره فظهر فيصل الثاني أشبه بملك بريطاني مقطوع الصلة بحياة الشعب فهل المطلوب الآن وضع مماثل؟.

ألم يكن الأفضل لمشروع ملكي جديد أن ينعم بحكمة شيخ في مثل عمرك والأعمار بيد الله وأن يتولى نجلكم ولاية العهد؟.

لكن الشريف حسين أصرّ على موقفه وأعلن ابنه وريثاً للعرش.

وخلال السنوات الثلاثة التي تلت هذا الاعلان أثيرت حول حاشية الأمير المرشح بعض الانتقادات، فاذ تلتقي بالوزير المجرّب والاكاديمي المؤهل والسياسي النزيه، فان الحلقة الأولى القريبة من الأمير تتصرف في مشروع خطير كهذا كما لو كانت تستعد لمشروع عقاري، وتسعى لمكاسب شخصية أو تسعى لاعادة الحياة لتركيبة من السياسيين لم تكن لهم صلة بحياة شعبهم لا اثناء فترة توليهم المسؤولية ولا بعد اخراجهم من السلطة وانشغالهم بتنمية عائداتهم المالية ناسين شعباً غارقاً في المشكلات. "ان استمرار الحكم الدكتاتوري الدموي لا يبرر العودة الى تلك المجموعة المتخلفة من السياسيين وليس هناك فرق شاسع بين العودة الى النظام الملكي وبين العودة الى تلك التركيبة وذلك النمط في التفكير[1].

وبجانب هذه الصعوبات تقف عوامل لصالح المشروع الملكي الذي يحظى بتأييد كثير من المثقفين الصامتين، ويُدعم بحماس معظم العوام من الناس الذين لم يتلقوا حقناً تثقيفيه مضادة للنظام الملكي. كما تحظى فكرة العودة الى النظام

(١) حسن العيدي ـ جريدة الحياة، كيف نقيم تجربة نوري السعيد وسياسي العهد الملكي؟ ٢٩/تموز/١٩٩٢ .

الملكي بتأييد مثقفين يساريين جنحوا بعد اضطراب الحياة السياسية العراقية الى البحث عن سواحل مستقرة وآمنة بعيداً عن المزايدات وقريباً من الاحتكام الى مصلحة العراق وليس الاحتكام للمزايدات السياسية والايديولوجية ويلتقي هؤلاء في الوصول الى قناعاتهم مع آخرين وجدوا في المشروع الملكي حلاًصحيحاً لمواجهة مشكلة عدم التجانس الاجتماعي في الشعب العراقي الموزع على أغلبية عربية شيعية، وسنة عرب، وسنة اكراد وأقلية تركمانية، وعدد من الطوائف المسيحية وفرق شبه وثنية.

ان الشيعي غير المُسيس في حزب، سيُساعد ملكاً ينتمي الى آل البيت وأن كان سنيَّ المذهب.

وقد يُرحب أهل السنة بملك سني.

وقد لا يجد الأكراد اذا ما تمتعوا بوضع خاص ينسجم مع طموحاتهم القومية في فيدرالية أو سواها سبباً للاعتراض.

وقد تنسجم فكرة العودة الى النظام الملكي مع طبيعة الميول الاقليمية والدولية نحو أنظمة محافظة وسيكتشف السعوديون مثلاً أن نظاماًملكياً في العراق هو اقرب اليهم من غيره.

ولن تظهر علاقات امتعاض تُركية من رؤية ملك يقود العراق بسبب العلاقات التاريخية الحميمة بين الأتراك والعائلة المالكة العراقية أما الايرانيون فسيكون اعتراضهم واحداً سواء كان المُرشح ملكاً أم رئيساً.

ربما سيكون الأشد اعتراضاً من ايران على فكرة العودة الى النظام الملكي في العراق هو النظام الملكي الأردني حيث ولدت الفكرة ونضجت خارج أحضانه لكن نزاعاً على اللقب بين المملكتين قد لا يحدث فالشريف حسين بن علي ليس حريصاً على اللقب الهاشمي وقد أبلغني رأيه صراحة وهو يعتقد أن المسيحيين العرب الذين شاركوا في الثورة العربية عام ١٩١٦ الى جانب الشريف حسين هم الذين اقترحوه لكونه أي (اللقب الهاشمي) يرمز الى زمن قبل ظهور الاسلام وبهذا تمَّ التخلص من استخدام مصطلح اسلامي مثل الأسرة المحمدية أو العلوية وما سواهما.

وستبقى من دول الجوار سورية وقد لا يكون الحكم الملكي المنتظر أكثر قسوة

عليها من حكم يرفع شعارها ويستخدم عنوان حزبها.

وبالاجمال فان استفتاءً شعبياً بين نظام جمهوري على الطراز الذي عرفه العراقيون وبين نظام ملكي على النمط الذي عاشه العراقيون سيصل الى نتائج متقاربة.

وباعتقادنا فان مصطلح العودة الى الملكية وبالبرنامج المعتمد في التبشير بها حالياً لا يخدمان هذا المشروع السياسي الخطير. ولابد من تصحيح المصطلح والاتجاهات الدعائية المطروحة بحيث لا يتصل هذا المشروع بالعودة الى الملكية التي تثير في الأذهان صورة التأسيس الأول للمخالفات الدستورية والتي أصبحت في العهود اللاحقة أمراً واقعاً وانما بالدعوة لنظام ملكي جديد مقطوع الصلة بالتجربة الأولى وتركيبتها وسياساتها وستكون الأميرة الجليلة بديعة ملكة العراقيين الذين سيفتخرون على تاريخ العرب المعاصر بأول ملكة، أو أن يكون الشريف حسين بن علي أو أحد أنجاله ملكاً على غرار الملكية الاسبانية التي عادت بعد فترة دكتاتورية ولكن بمفهوم سياسي جديد وتجربة جديدة.

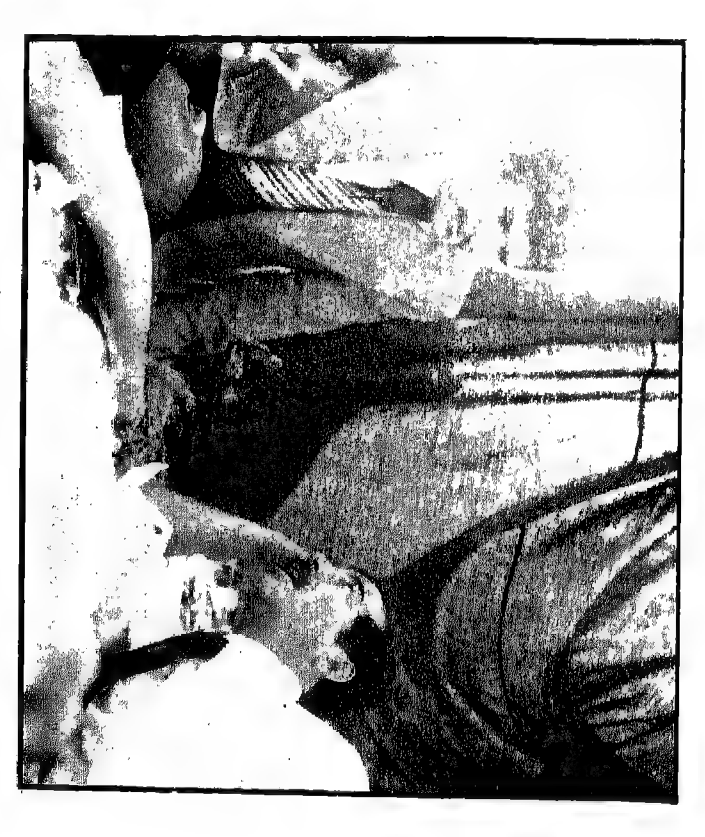
ولهذا فان تمجيد رجال العهد الملكي، وحتى ملوك عراقيين بعينهم قد لا يغري العراقيين بالتصويت لهذا المشروع، وانما يغريهم حتماً نظام ملكي وطني يظل الملك فيه مصوناًغير مسؤول تاركاً الصراع السياسي الى صندوق الاقتراع.

وبهذا ينتهي الصراع الخفي والعلني، بين المرشحين الذين لم يجرِ بعد تعدادهم على زعامة العراق فتثير اسماؤهم وأماكن ولادتهم التأييد أو الذعر في مشاعر الشعب العراقي وانتماءاته الدينية والمذهبية والعنصرية[1].

---

(١) باحث عراقي كان يقرأ مخطوطة الكتاب، فعقب عند هذه النقطة بخط قلمه قائلاً: وما يدريك أيها الصديق أن التجربة الملكية الجديدة ستكرر ما فعلته في السابق وهو أن الملك فيصل الأول خطا خطوته الأولى بعد شهور قليلة من تسلمه زمام السلطة بنفي أول رجل بايعه في الحجاز هو السيد محسن أبو طبيخ خارج الوطن!!.

فكتب الأخير رحلته المحسنية ونشرها بدمشق سنة ١٩٢٢ وهي السنة التي نفي فيها؛ والباحث هو الدكتور عدنان آل طعمة



* صدام حسين يسأل المؤلف عن النتائج التي يمكن أن يسفر عنها إلغاء اتفاقية الجزائر ١٩٧٥، عربياً.
* اتخذت الصورة يوم ١٩٧٩/٢/١٣ .



الملاحق



ملحق - ١ - *

الكويت محفظة نقود في جيب صدام

ماذا يريد صدام لحلفائه الأثرياء؟

ما هي تصورات صدام لمستقبل علاقاته مع الكويت؟

وكيف ينظر الى الكويت؟ وكيف يعمل كويتياً؟!

يستخدم صدام لسياسته الكويتية خطين متقاطعين الخط الدبلوماسي الذي يتظاهر بعدم وجود نوايا واطماع في "الكويت الشقيق" ويتمثل ذلك في تصريحات الخارجية العراقية وشعرائها في الكويت، واستقلاله والتعامل معه باعتباره دولة مستقلة.

والخط الحزبي المتمثل بالتعليمات والتوجيهات التي يجري التثقيف عليها داخل الجهاز الحزبي، والداعية الى ضرورة ضم الكويت الى سلطة بغداد. ويتعرض هذا الخط الى مزايدات عديدة لدفع الاتهام الشعبي ضد حزب البعث الذي وقع اتفاقية الاعتراف بالكويت بعد انقلاب ٨ شباط عام ١٩٦٣ م مقابل ٣٠ مليون دينار اعلن عن تقديمها لحكومة الانقلاب، وقيل أن التجمع التكريتي برئاسة أحمد حسن البكر وطاهر يحيى ورشيد مصلح قد انفرد بالمبلغ ويحاول صدام الظهور بمظهر المتبريء من هذه الاتفاقية أمام الجهاز الحزبي والقاء مسؤولياتها على أحمد حسن البكر رئيس الوزراء في ٨ شباط عام ١٩٦٣ .

* جريدة الجهاد الاسلامي ، الاثنين جمادي الثاني ١٤٠٣ هـ /٤ نيسان ١٩٨٣ .

وصدام لا يشعر بضيق أو مأزق بسبب ازدواج سياسته وتوزعها بين الاعلان الدبلوماسي والتثقيف الحزبي، لانه يفسر الازدواج بكونه حالة تعارض الواقع والطموح. وحيث تعني الدبلوماسية عادة بالواقع التربية الحزبية بالطموح.

ولعله يلوح بين فترة واخرى وكلما ضغطت عليه ظروف معينة بالعامل التاريخي المؤثر في العلاقات بين الكويت والعراق ويستخدم هذا العامل دون أن يكون معه أوضده، للابتزاز ويوعز الى صحف تتعامل معه بالخفاء، الى التذكير بموقف الزعيم عبد الكريم قاسم من الكويت.

ولهذا فلم يتم حتى الآن ترسيم الحدود بين البلدين اسوة بترسيم حدود العراق مع الأردن والسعودية في اتفاقيات وصفت بأنها صفقة بيع اراضي عراقية شاسعة الى الملك الأردني والملك السعودي.

ومن المفيد التذكير برأي يتداوله الدبلوماسيون العرب والأجانب مفاده أن واحداً من الاحلام التي قدمت لصدام في حربه ضد الجمهورية الاسلامية في ايران يتعلق بابتلاع الكويت وتأسيس دولة ذات قوة مالية ضخمة يستطيع بها الالتفات الى دول عربية أخرى فيسقط انظمتها لصالحه.

ان الكويت هدف في الحرب. ولعل الذين خططوا لحرب صدام ضد ايران المسلمة يدركون جيداً أن اي قوة في التاريخ لم تستطع غزو ايران لأسباب جغرافية كثيرة، فكيف يستطيع صدام اسقاط حكم ثوري اسلامي جديد وهو في عنفوان شعوره العظيم بالانتصار على طاغية متجبر كالشاه محمد رضا بهلوي؟!

ومعنى ذلك أن الهدف المباشر للحرب ضمن اهدافها العدوانية المتعددة بعد أن يتاح لصدام "اسقاط" النظام الجمهوري الاسلامي جعل الكويت الثرية محفظة نقود في جيب صدام، وهذه مفارقة عجيبة لا يحار الى تفسيرها. ففي الوقت الذي تعلم فيه الكويت أنها هدف مباشر من أهداف صدام الجائع الى الشهرة والمتعطش الى النفط والدم . فهي تدعم حربه بالمساعدات الغذائية وتتكلف اطفاء ديونه المترتبة على شراء السلاح من الاتحاد السوفييتي وفرنسا وبريطانيا؟!

ولو اتخذنا موقف الحياد وهو هنا صعب جداً، وتعرضنا الى نظرة صدام الشخصية الى دولة الكويت لتوصلنا الى جملة حقائق لا نجد بداً من ترتيبها رغم أن بعضها يخدم المصلحة الكويتية!!

ان التجربة الكويتية التي تعتمد على فلسفة رأسمالية واقتصاد حر جعلت صدام في مأزق مستمر أمام العراقيين الذين اعتادوا مقارنة أوضاعهم بأوضاع الكويتيين!!

فأزمات الغذاء التي تعاني منها أسواق العراق، والعوز الذي يعانيه فقراء بلد نفطي تثير النزوع والتطلع نحو الكويت التي هاجر ويهاجر اليها آلاف العمال والفقراء للعمل في ظروف قاسية.

يقابل ذلك أحاديث يومية تصل بغداد عن ثراء الكويتيين واهتمامهم بوسائل الترف وعدم وجود ضرائب جمركية أو ضرائب على الدخول، الى جانب اهتمام الدولة الكويتية بمصالح الكويتيين وتشريع قوانين تحمي الكويتيين بل تميزه عن سواه بينما يجد العراقي نفسه مسحوقاً تحت أقدام قيود مالية وضرائب واجراءات سياسية جعل الغريب الوافد سيداً على أهل البلاد.

ولطالما أجاب صدام شخصياً على تساؤلات الجهاز الحزبي عن سبب بيع السيارة الصغيرة في العراق بعشرة أضعاف سعر السيارة الفارهة في الكويت وكان جوابه دائماً، "اننا بلد تنمية" وحينما انتهت التنمية الى الصورةالتي اصبح فيها العراق مقيداً بديون وقروض مالية للشركات العالمية وحيث لم يستطع مصنع ما من تعويض جزء بسيط من نفقاته ايقن الناس أن التنمية في مفهوم صدام لا تعني سوى نافذة لتسريب اموال العراق الى شركات غربية يستفيد منها موقعو الصفقات بحوالات وصلت الى ٢٥٪ .

ان سؤالاً وجه أكثر من مرة الى مسؤولي المنظمات الحزبية عن سبب وجود مجلس أمة في الكويت وعدم وجوده في العراق. وعن سبب وجود دستور دائم لدولة الكويت وعدم وجود دستور دائم للعراق الذي مضى على قيامه أكثر من ستين عاماً!!؟

ان حقد صدام على الكويتيين لا يساويه الا حقده على "مواطنيه" وكما فرض الحرمان والعوز على ابناء العراق الثري يحاول أن ينقل الحرمان الى الكويت، ويسعى لتدمير اقتصاده بعمليات انتقامية ضد مؤسسات كويتية كان منها تفجير بناية في شارع فهد السالم عام ١٩٨١ ووضع عبوة ناسفة في خزانات النفط الرئيسية في مصفى الكويت، واغتيال عدد من السياسيين العراقيين أو المجاهدين.

واشعارهم بضعف السلطة الكويتية وعدم قدرتها على حمايتهم، كاغتيال حردان التكريتي والدكتور جاسم المشهداني.

وفي اعقاب هبوط قيمة الدينار العراقي في الأسواق المالية الى نصف دينار كويتي، قال صدام في اجتماع حزبي خاص اذا كان سعر الدينار العراقي نصف الدينار الكويتي فان الكويتي سيصبح ربع دينار؟!

ولم يفصح عن الطريقة أو الكيفية التي يجعل فيها الدينار الكويتي ربع دينار وقد علق أحدهم على ذلك بقوله ان ذلك يعني قيام "قادسية جابر"، فغير القادسية لا تستطيع أية عملية من خفض سعر العملة الى أقل من نصفها!! ولم يمض وقت طويل حتى عثر الأمن الكويتي على قنبلة موقوتة بجانب مبنى المصرف المركزي! بينما انفجرت عبوات ناسفة في أماكن أخرى.

ان صدام لم يستطع تخفيض سعر الدينار الكويتي، وقد انخفض ديناره اليتيم الى ٤٤٠ فلساً. لكنه استطاع بعملية لم يكشف عن تفاصيلها تدمير سوق البورصة أو المناخ في الكويت وجعل سعر السهم فيه ربع قيمته ان لم يكن أقل من سعر التأسيس!!

ربما جرى ذلك بسبب قروض الكويت المليارية لدعم حرب صدام. أو بدسيسة شارك فيها جهاز عملائه الكبار في الكويت، لكن مخابراته تشيع الآن في أوساط السوق الكويتية أن أزمة البورصة مرتبة من قبل الأمير نفسه لقطع الطريق على مزيد من المساعدات والقروض التي يستجديها صدام منه.

ملحق - ٢ - *

هجمة الكويت الخامسة

ما هو موقع الكويت في التصور الحالي لحكومة بغداد؟

بكلمة أخرى، ما هي أهداف السياسة العراقية في الكويت؟

سنشير فقط الى الأهداف المعلنة، ولا بد أن تكون أخرى غير معلنة، قائمة في مكان ما من تلك السياسة. والمعلنة وغير المعلنة ستكتشف من خلال تحليل شخصية صدام حسين نفسه واتجاهات نظامه وتطور طموحاته، وواقع كل من العراق والكويت في المرحلة الحرجة هذه.

ان صدام يعمل خليجياً بخطين متعارضين، رسمي دبلوماسي مطروح في الاعلام، يدعو الى التحالف المصيري مع العربية السعودية والكويت ودول مجلس التعاون الخليجي الاخرى، وخط حزبي سري معروف فقط داخل المنظمة الحزبية حيث يجري التثقيف على نفس البرامج القديمة التي تعتبر السعودية، (مركز القيادة الميدانية للرجعية العربية) والكويت، خزيناً احتياطياً للنظام العراقي. وعليها أن تدفع ضريبة سكوت النظام عنها. والا فان "عبد الكريم قاسم" حاضر لعقد مؤتمر صحفي، تليه خطوات لم يكن عبد الكريم قاسم على صلة بها.

يؤكد هذه النوايا غير المعلنة أن صدام، وعلى طريقته في الإساءة للقيادات

* افتتاحية جريدة التيار الجديد، لكاتب هذه السطور، التي تصدر في لندن، وهي من صحف المعارضة، في ١٩٨٥/٣/١١ .

الحزبية والرسمية التي سبقته كان وما زال يثير الوعي الحزبي ضدهم ويتهمهم بأنهم كانوا مقصرين في مواقف خطيرة. وانهم لم يكونوا من (حملة الاقتدار)، وهو يسجل على أحمد حسن البكر وصالح مهدي عماش وحردان التكريتي (قادة انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣) انهم تسرعوا في صفقة الاعتراف بالكويت. وهو موضوع كان من الممكن، حسب رأيه، أن يظل مطروحاً للمفاوضات، ولعله يغمز قناة هؤلاء المسؤولين من طرف خفي بانهم استلموا ثمن الصفقة..

من هنا جعل صدام من ترسيم الحدود بين العراق والكويت، بديلاً (للاعتراف الخاطئ) وأخذ يتعامل مع هذا الموضوع كما يتعامل المختطفون برهائنهم. وراح يستخدم ترسيم الحدود استخدامات مختلفة لغرض ابتزاز الكويتيين الذين رغم كل ما قدموه له من دعم اعلامي ومالي لم يستطيعوا أن يحركوا قضية الحدود بالشكل الذي حدث مع الأردن اذ تنازل صدام عن ٤٥ كيلو متراً من العمق العراقي. وكما حدث له مع المملكة العربية السعودية بتنازله عن مناطق الحياد (يتهكم السعوديون فيما بينهم على صدام وينعتونها بمنطقة البقلاوة) وسواها بعد خلاف استمر أكثر من نصف قرن..

أما الوضع النفسي لصدام فالمعروف انه لا يستطيع أن يوفر للعراقيين ما وفرته الحكومة الكويتية للكويتيين بسبب احتكاره للميزانية العراقية وصرف عوائد النقد للدعاية الشخصية، ولشراء الوكلاء والجواسيس، وتسريب ما بقي منها لحسابه الشخصي في الخارج. مما ترك العراقيين في شظف العيش ليس اثناء الحرب بل في الأيام التي كان العراق فيها يصدر أربعة ملايين برميل من النفط يومياً بسعر يزيد على أربعين دولاراً (أي يستلم مائة وستين مليون دولاراً يومياً).

ان أخبار الرفاه الكويتي يتناقلها العراقيون الى جانب اخبار الديمقراطية الكويتية رغم أنها محدودة وبسيطة بالقياس الى الديمقراطية الليبرالية.

وللكويت دستور دائم منذ قيامها عام ١٩٦١ ، وليس للعراق دستور دائم منذ ٢٧ عاماً..

وكان بامكان صدام أن يستخدم عوائد النفط لرفاه الشعب العراقي وادخال اسباب الحضارة اليه كما دخلت الى دول الخليج. لكنه لم يفعل ذلك. ومهمته كما يبدو لم تكن الا للدور الحالي الذي ينهض به لتدمير العراق وتركه مديناً لدول

العالم الغنية والفقيرة.

انه لا يريد أن يكون العراق مثل الكويت لتنتهي ازمته النفسية.. بل يريد من الكويت أن تكون كالعراق.

وكان كلما تململ ضد الكويتيين وجد الطريق مغلقاً، فأحمد حسن البكر المتعهد الكويتي الأول باستمرار الاعتراف العراقي لا يرغب باحداث مشكلات مع الكويت. وشاه ايران يخيف صدام ولا يستطيع أن يتحرك باتجاه الخليج ما دام الامبراطور يحكم الخليج دولياً.. أما وقد استطاع صدام ابعاد البكر.. وقد سقط الشاه قبل ذلك، فان الجو اصبح مهيئاً له بأن يتحرك.. لقد أشاروا اليه بأن يبدأ بضرب ايران، فلعل الحكم الجديد يسقط أو لعل صدام سيظهر أمام الخليج بمظهر (القوي) القادر على ضرب (القوي) ليكون عبرة للضعيف.. وعندها سيكون ممكناً أن يتحرك ضابط برتبة مقدم في الجيش الكويتي لإبادة شيوخ الكويت وعوائلهم وهم يستغرقون في نومهم...

لكن الحرب طالت.. وصدام يعتبر السعودية والكويت تحتالان عليه رغم دعمهما الكبير، فالسعودية كما يعتقد تحاربه في الاوبك بطريقة واخرى، والكويت افتعلت ازمة "المناخ" لتتخلص من التزاماتها ازاء الحرب. يساعده في ذلك عدد من الشخصيات الكويتية التي اتفق معها على العمل في (خطوط العراب) وباشراف المخابرات نفسها.

وهؤلاء يقدمون له معلومات يومية عن نشاط الحكومة الكويتية وهم الآن يشكلون مجموعات لا يستهان بها، منتشرين في المؤسسات الصحفية والتجارية وفي الجمعيات الأدبية والعلمية.

انهم يدفعون الأمور باتجاه التحريض على ايران وعلى العراقيين المتواجدين في الكويت تحت لافتة الالتزامات القومية.. بينما هم في الأصل من اصحاب الصفقات التجارية، أو الذين تورطوا بالعمل لحساب حكومة بغداد. لكن دورهم في تحريض صدام على حكومتهم خطير باتجاه يشعر صدام أن القيادات الكويتية لا تحترمه ولا تطمئن اليه، ولا ترى فيه أكثر من "بلطجي" وان هذه القيادات كانت تؤيد استمرار أحمد حسن البكر بشكل وآخر على رأس السلطة في بغداد، وهو أمر لا يمر بسهولة في شخصية حاقدة موتورة مسمومة لا تنسى أحقادها

كشخصية صدام.

ان تنفيذ هذه السياسة يتطلب أداة خاصة من أدوات صدام. ولهذا فقد قرر اختيار سفرائه ودبلوماسييه في الكويت من عناصر المخابرات نفسها، وليست من العناصر المتدربة في المخابرات كما يحصل مع سفرائه في دول اخرى عادة.

كان مدحت ابراهيم جمعة من العاملين في مكتب العلاقات الخاص بالاغتيالات. وكان محمد صبري الحديثي من المكتب نفسه، كذلك حمودي العزاوي الذي اغتال مع مجموعته (الدبلوماسية) حردان التكريتي في الكويت.

ان مصير سفراء صدام في الكويت دائماً محفوف بالخطر، فقد اطبق النسيان على مدحت ابراهيم جمعة، واعدم محمد صبري الحديثي، ودبر حادث اغتيال حمودي العزاوي قاتل حردان.

أما السفير الحالي فهو عامل فني في السكك الحديدية، وقد انتسب للمخابرات فأرسل بمهمة الى القاهرة، وبعد طرده منها، صدر أمر بتعيينه سفيراً في الكويت منذ أكثر من خمس سنوات يساعده مكتب مستقل للمخابرات العراقية في داخل السفارة مع شعبة للمخابرات النسائية تحت لافتة اتحاد النساء.

دعنا نلقي نظرة سريعة على ما ستؤول اليه الأوضاع الأمنية في الكويت من خلال هذا التشكيل الاستخباري للسفارة العراقية... لنستمر..

فقد تواترت الانباء القادمة من الكويت عن تعرض العراقيين فيها من غير العاملين في أجهزة التجسس الى ما يسمونه بالهجمة الخامسة بعد أربع هجمات اقتحمت فيها الشرطة السرية بيوت العراقيين. وقادت المئات منهم الى معتقلات التعذيب. وكان من بينهم علماء وأطباء وأغلبية من العمال الفقراء. بينما سلمت السلطات الكويتية اعداداً منهم الى نظام صدام حيث اعدموا هناك فوراً. ورحل قسم منهم الى بلدان أوروبية قدمت لهم المعونة كالسويد والنرويج وبريطانيا.

ومما يؤسف له أن يجري التعذيب وفق فرز طائفي للمواطنين العراقيين مما يجعل الشكوك الراهنة حول الحلف الطائفي الذي يقوده صدام حقيقة قائمة من شأنها أن تقود المنطقة الى نتائج خطيرة. وستكون الكويت بوضعها الصعب والمعقد أول ضحية لهذا الحلف المشؤوم، وستترك في الطرف الشعبي العراقي ردود فعل

تضاف الى عوامل تاريخية وسياسية ستكون الكويت مسؤولة عنها في المستقبل.

ان السياسة الكويتية الحالية وضعت جميع أوراقها في سلة صدام. وهو رهان خاسر، وستكشف الأيام القادمة أن صدام نجح في زج الكويت بمعركة لا ناقة لها فيها ولا جمل.

وان المراقبين الدبلوماسيين يؤكدون منذ أن شن صدام حربه ضد مسلمي ايران بعد سقوط الشاه، ان الهدف لم يكن ايران نفسها. فلا يغيب على بال احد أن ايران دولة تاريخية لها أكثر من عمق استراتيجي جغرافي وفكري وقومي. وان احتلال قرى حدودية فيها وتوجيه صواريخ أرض . ارض ضد سكان الحدود لا يؤدي الى سقوط حكومتها، وانما الهدف الكبير الذي قدمه خبراء السياسة لصدام يتمثل في تهديد منطقة الخليج والالتفاف على الكويت والاستحواذ على مواردها والانطلاق منها الى دول عربية أخرى لإرضاء طموحات شخص مريض بالوهم يتصور انه قادر على أن يكون زعيم الأمة وقائدها الذي لا ينازعه منازع.

وكانت النتائج الأولى لمخطط صدام بزج الكويت معه وانهاكها ووضعها على فوهة بركان، قد أدت الى الهبوط المريع في القدرة الشرائية لسكان الكويت. وفي تعرض الاقتصاد فيها الى نكسات أدت الى شلل تام في بعض المرافق.

لكن الخطر الكبير كان في تحويل هذه الدولة الصغيرة الى ساحة للموت والارهاب والتخريب...

وحكومة الكويت التي فتحت ذراعيها لأجهزة صدام لتكون الأمر الناهي فيها، تحصد الآن نتائج سياستها غير الحكيمة هذه. والقادم أعظم. والخطر الأكبر سيكون في ظهور تيار شعبي عراقي عارم ليس لصالح الكويت، على اية حال.

ان الهجمة الخامسة التي تشنها السلطات الكويتية على من بقي من العراقيين البسطاء فيها بعد تعرضهم للهجمات السابقة، تأتي لتؤكد اصرار هذه السلطة على ربط مصيرها بمصير صدام. وكأن الحكومة الكويتية قد تناست بسرعة مخططه لتدمير الكويت، جارته الآمنة المرفهة التي تتناقل أخبار رفاه شعبها اليه فيتميز من الغيظ ويقرر ارسال دبلوماسيين مع عملاء كويتيين لزرع المتفجرات فيها أو مهاجمة عراقيين أبرياء بالرصاص في شوارعها.

لقد سكتت الحكومة التي تتطاول الآن على المواطنين العراقيين حين هاجم

أعضاء في السفارة العراقية، ضيفها الفريق حردان التكريتي وأردوه قتيلاً.. وأطرقت عيونها الى الأرض، وهي ترى عبد الكريم الشيخلي يدخل الكويت كالفاتح بعد ساعات من اغتيال حردان، ليخرج ومعه منفذو الجريمة.

سكتت الكويت، وظل القاتل حمودي العزاوي المستشار الأول في السفارة العراقية الى أن دبر له صدام حادثة اغتيال فتخلص منه.

سكتت الكويت عن مدبري حادثة تفجير شركة الملاحة الكويتية الإيرانية في شارع فهد السالم ومقتل عدد من الأبرياء، وهي تعرف أن القتلة خرجوا من شقة يسكنها مسؤول وكالة الأنباء العراقية.

وسكتت الكويت على تفجير مستودعات النفط.

وسكتت على اغتيال المعارض العراقي الدكتور جاسم المشهداني في شارع فهد السالم. واكتفت بتسريب خبر تظهر فيه قدرتها على معرفة الفاعلين، وكان المدعو حكمت عبد الدليمي مسؤول المخابرات في السفارة الذي يعمل بصفة مستشار دبلوماسي هو وشرطي آخر يدعى صلاح شوكت نفذا الجريمة كما يقول الخبر.

اننا، ومن حرص أخوي على اشقائنا الكويتيين، نوجه نداءنا للكف عن ممارسة الارهاب ضد مواطني العراق.. ونتمنى لهذه الدولة الفتية أن تحقق نمواً وتقدماً في كافة الميادين (الأمنية) بعيداً عن مخطط صدام لإحراقها والتوقف عن المضي في الهجمة الخامسة حتى لا نقف على أبواب السادسة.

وأن تكون البداية في اثبات سلطتها (كدولة) على الارهابيين الذين يحملون جوازات سفر دبلوماسية أو المحميين بالسفارة العراقية. ومعرفة وكلاء صدام من أبناء الكويت انفسهم الذين يهيئون لتدمير بلدهم بعد أن تحولت مؤسساتهم الى أوكار لتخزين السلاح وايواء القتلة كل ذلك من أجل تمرير صفقات تجارية لا تساوي ثمن الخيانة على أي حال من الأحوال.

ملحق - ٣ - *

الحكومات الكويتية ١٩٦٢ - ١٩٩٢

الحكومة	تاريخ التشكيل	رئيس الوزراء	عدد الوزراء	عدد وزراء الأسرة الحاكمة	عدد الوزراء الآخرين	نسبة وزراء الأسرة
١	٦٢/١/١٧	صباح السالم الصباح	١٤	١١	٣	٧٨,٦
٢	٦٣/١/٢٨	صباح السالم الصباح	١٥	١٠	٥	٦٦,٧
٣	٦٤/١٢/٦	صباح السالم الصباح	١٤	٦	٨	٤٢,٨
٤	٦٥/١/٣	صباح السالم الصباح	١٣	٤	٩	٣٠,٨
٥	٦٥/١٢/٤	جابر الأحمد الجابر الصباح	١٢	٤	٨	٣٣,٣
٦	٦٧/٢/٤	جابر الأحمد الجابر الصباح	١٦	٤	١٢	٢٥,٠
٧	٧١/٢/٢	جابر الأحمد الجابر الصباح	١٣	٢	١١	١٥,٤
٨	٧٥/٢/٩	جابر الأحمد الجابر الصباح	١٥	٤	١١	٢٦,٧
٩	٧٦/٩/٦	جابر الأحمد الجابر الصباح	١٨	٥	١٣	٢٨,٨
١٠	٧٨/٢/١٦	سعد العبد الله السالم الصباح	١٨	٥	١٣	٢٧,٨
١١	٨١/٣/٤	سعد العبد الله السالم الصباح	١٦	٦	١٠	٣٧,٥
١٢	٨٥/٣/٣	سعد العبد الله السالم الصباح	١٦	٦	١٠	٣٧,٥
١٣	٨٦/٧/١٣	سعد العبد الله السالم الصباح	٢١	٦	١٥	٢٨,٦
١٤	٩٠/٦/٢٠	سعد العبد الله السالم الصباح	٢٢	٧	١٥	٣١,٨
١٥	٩١/٤/٢٠	سعد العبد الله السالم الصباح	٢٠	٥	١٥	٢٥,٠
١٦	٩٢/١٠/١٧	سعد العبد الله السالم الصباح	١٥	٤	١١	٢٦,٦

* الوطن الكويتية ٢١/ ٦/ ١٩٩٠ .

ثلاثة رؤساء وزارات في ثلاثين عاما شكلوا ١٦ حكومة :

الشيخ صباح السالم الصباح شكل ٥ وزارات

الشيخ جابر الأحمد الصباح شكل ٤ وزارات

الشيخ سعد العبد الله السالم ولي العهد الحالي شكل ٩ وزارات

اما نسبة الأسرة المالكة في التشكيلات الوزارية فقد احتلت الوزارة الاولى التي شكلها الشيخ صباح السالم الصباح في ١٩٦٢/١/١٧ أعلى نسبة وعي ٧٨،٥ ٪ ، فلم تترك لمواطني الكويت سوى ثلاث مقاعد فيما احتكر وزراء الاسرة المالكة ١١ حقيبة من مجموع ١٤ حقيبة.

وانخفضت النسبة في ١٩٧١ لتصل بوزارة الشيخ جابر الأحمد الى ١٥،٤ ٪ اذ اشترك اثنان من الأسرة المالكة فيما كان المواطنون قد استأثروا بأحدى عشر مقعداً. وعادت نسبة الاسرة المالكة للأرتفاع مرة أخرى فوصلت الى ٣٧،٥٪ .

أما الوزارة الحالية التي تتشكل من ١٥ وزيراً منهم اربعة من ابناء الشيوخ، فقد بلغت نسبة مشاركة الاسرة المالكة فيها ٢٦،٦٪.

ملحق - ٤ -

رأي نزار قباني في صدام حسين

أهمّ ما في شخصية الرئيس صدام حسين، هذه القدرة العجيبة على جعل العالم من حولك أجمل.. وأكثر اتساعاً..

لقد جئتُ إلى بغداد مكسوراً.. فإذا بصدّام حسين يُلصق أجزائي..

وجئتُ كافراً بممارسات [illegible] العرب.. فإذا بصدّام حسين.. يردّ إليّ إيماني.. ويشدّ أعصابي..

وجئتُ وفي أعماقي انفجاراتٌ وغضبٌ ورياحٌ عاصفة.. فإذا بصدّام حسين.. يفتح الستائر... ويقنعني أن الصحو قادم.. وأن الشمس ستشرق مرةً أخرى..

وهكذا.. أعود من بغداد وأنا ممتلئ بالشمس.. والعافية...

فشكراً لصدّام حسين.. الذي قطّر في عينيّ اللونَ الأخضر....

نزار

بغداد ٢٥/٤/٨٤ نزار قباني

ملحق - ٥ -

نموذج من ردود فعل كويتية خاطئة

اللهم لا تبق فيها حجراً .. على حجر

يقول ذلك المثل القديم «الاناء ينضح بما فيه» وككويتيين لا نفرق بين «نظام» بغداد والعراق كله.

فحقد العراق الاسود لم يبدأ بصدام او ينتهي به بل بدأ منذ ان كانت الكويت . وما اذاعة الزهور لمليكهم فيصل وبوقه نوري السعيد ومن ثم المقبور عبدالكريم قاسم الا ترجمة صادقة لمشاعر العراقيين الحقيقية ، وحين تولى صدام حسين الحكم منذ كان نائبا للبكر - وبعد ان خلعه - الا نتيجة صادقة لاحلام العراق وشعبه ، وحين احتلت الكويت حقق صدام حسين لشعبه الامنية الكبرى واظهر حقيقة ذاك الشعب القذر لا حقيقة «النظام» فقط .

واليوم حين تدك قوات التحالف الدولية بغداد كما دكتها في بداية عملية «عاصفة الصحراء» يتشدق العراقيون بكلمات قائدهم حين يقول «ان الكويتيين والعراقيين شعب واحد ودولتنا دولة واحدة» ثم يطالبنا رئيس العراق ومحقق امنية شعبه ان «يأخذ شعب الكويت دوره ويكون في موقع المسؤولية من الناحية العملية» بعد ان وصف آل الصباح «بالخيانة وتحويل الكويت لمجرد بئر لفسطل»!!

الكويتيون يا شعب - لا قائد - العراق العفن ارفع منكم واطهر . فهم ارتضوا آل الصباح حكاما لهم بالاتفاق لا على ظهر دبابة او من خلال طلقات مسدس . وحين جاءنا حقد الشمال الاسود التف الكويتيون حول شرعيتهم وسطروا في تاريخ البشرية مثالا لم ولن يوجد مثله .

ويتمادى العراق في غيه بكلمات صدامهم «ان استدعاء الاجنبي ليكون على ارض الكويت ويتخذ منها مكانا للدسائس والعدوان وان الايغال في الجريمة لم ولن يحقق الاستقرار والامان ولن يجلب الطمأنينة لاحد» ، كان آل الصباح حين استدعوا شرفاء العالم ووقعت معهم المعاهدات الامنية ومعاهدة اعلان دمشق كان تلك المعاهدات وقعت من جابر الاحمد لا الشعب الكويتي بممثليه او كانما آل الصباح استدعوا شرفاء العالم لحمايتهم الشخصية لا حماية الكويت وكل شعبها من جار السوء وشعبه الرديء .

نقول للعراق وللشعبه كله لا لنظامه - الحالي والمستقبلي - انتم اسفل السافلين . فاللهم سلط على العراق غضبك واللهم لا تبق فيها حجرا على حجر .

«الانبـــاء»

ملحق - ٦ -

رد صائب

اللهم... شيدها حجراً على حجر

خالد عبد العزيز التويجري

يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز «واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا ان الله شديد العقاب واذكروا إذ انتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون ان يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون» صدق الله العظيم.

إن كل حركة وجدانية، او انفعالية لا تأتي من الفراغ. فهي تستمد قوتها ورسوخ اعتقادها من تجربة ذاتية يحتاج التعبير عنها الى وعي عالي وتاريخي، وسياسي، بل نفسي، لبلورة وتكوين رأي ما نحو قضية مطروحة يتفاعل فيها الفعل ورد الفعل تجاه التجربة وفق اسلوب الممارسة الذي يختلف من انسان الى اخر.

والتجربة الكويتية تجاه الغزو العراقي، تجربة غنية بالجراح والآلام، بل القهر والشعور بالظلم، تجاه المبادئ الاساسية لتكوين الانسان في المنطقة، ونعني بذلك مبدأ العقيدة الاسلامية، والمنظور الاسلامي لمفهوم الجار والجوار، ومبادئ العروبة وما صاحبها من طروحات واجتهادات فكرية ونظرية وسياسية اثرت على الانسان الكويتي وجعلته اكثر ايمانا بها، فجاء واقع الغزو لتتصدع معاني هذه المفاهيم. وهناك مبدأ الوحدة ووحدة المصير الذي دخل في مراحل الخمسينات والستينات من هذا القرن العاطفة العربية، بل اثر على تكوين الوعي العربي في مرحلة ما بعد الاستعمار وتبلور الهوية العربية، فكانت شعارات القومية والحزبية منذ ذلك الوقت المحور الرئيسي للفكر المطروح على الساحة الثقافية والسياسية في الوطن العربي، والمنطلق لكل المطالب والطموحات العربية.

كل ذلك كان قائما الى ما قبل الثاني من اغسطس (آب) 1990م.

ان ما يعنينا هنا هو الانسان الكويتي الذي نخاف منه ونخاف عليه.

نخاف منه، اذا ما تطرف في عواطفه، وتغلبت عليه المحنة، واخذ ينطلق منها بافكاره، وتطلعاته، وتفكيره، وفلسفته، تجاه التجربة. فالتطرف العاطفي، أيا كان شكل او اسلوب التعبير عنه، يبقى ارضا هشة لا تمكن صاحبها من الوقوف طويلا، ولا تتيح له فرصة التفكير وفق معطيات المرحلة، وتداعي الاحداث، والنظرة المستقبلية. انه باختصار يهدم ولا يبني، الاسراف فيه خروج بالعقل خارج دائرة الوعي.

ونخاف عليه من ان ننسه في مرحلة هو احوج فيها الى فهم هذه الذات وطبيعة تكوينها النفسي في مرحلة ما بعد الغزو. فالإسراف في العاطفة الانفعالية تعطيل صريح لكل ما يدفع بعجلة الحاضر، والأمس القريب، نحو المستقبل الذي - شئنا ام ابينا - يدور في فلك الحظيرة العربية والامة الاسلامية. فالكويت ليست اليابان او اوروبا، هي دولة إسلامية عربية كل ما فيها ينبع من هذين المفهومين انسانا ودولة، وأي تجاوز على هذين المفهومين هو محاولة عبثية لا تستطيع ان تقفز على التاريخ، والجغرافيا، والعقيدة، واللغة، والتقاليد. كما ان غزو الثاني من اغسطس لا يستطيع ان يمحو من الذاكرة المفهوم الخاطئ للمحاولات الوحدوية، التي تقوم على العنف والقهر. فالوعي هو المدخل الصحيح والمثالي لكل وحدة وتحقيق لكل طموح.

هكذا نقرأ التجربة... وهكذا نفهم دورنا مع الاحداث.

بالامس خرجت علينا صحيفة خليجية وبقلم احد كتابها قائلة: «لن ننسى المواقف الايجابية لدولة اسرائيل»، وكان لي موقف تجاه ذلك المقال، وقلته في مقال سابق. وكنت اعتقد - آنذاك - ان تلك الحالة من التعبير ما هي الا نوع من انواع التفكير بصوت مسموع لم يستطع صاحبه ان يحتمله داخل ذاته، فاستسهل باب الخروج الى الرأي العام، وهو باب لا حارس عليه غير العقل وضبط الانفعالات من خلاله. الا اننا قبل ايام نفاجأ بالافتتاحية الرسمية لجريدة خليجية معنونة لمقالها قائلة: «اللهم لا تبق فيها حجراً.. على حجر»، والمعني بذلك هو العراق، اذ بمفهوم افق شعب العراق الذي اسرفت تلك الجريدة في وصفه وهجومها عليه قائلة: «... يا شعب، لا

● طال الزمن أم قصر، لا مناص للشعوب العربية، وأولها شعب الكويت، من الالتزام بوحدة العقيدة واللغة، التاريخ والجغرافيا، التقاليد والقيم.

قائد - العراق. العفن ارفع منكم واطهر.

ونقول للعراق ولشعبه كله لا لنظامه - الحالي والمستقبلي - انتم اسفل السافلين. فاللهم سلط على العراق غضبك واللهم لا تبق منه حجرا على حجر».

... وهكذا، نقرأ التجربة الكويتية من خلال اشخاص لا يُعبرون - إن شاء الله - عن الانسان الكويتي. هكذا، نفهم دورهم مع الاحداث ولا نحسدهم على مكانهم الذي اختاروه. نحن نفهم ونتفهم مَنْ يُهاجم القيادة العراقية، بل نؤازره في موقفه. وندرك ان هناك شرذمة محسوبة على النظام العراقي عاثت في ارض الكويت فسادا واطلقت لنقائصها النفسية العنان لتُعبر عن دونية كل انسان عربي ازر الاحتلال، ولكننا وفي نفس الوقت شاهدنا وسمعنا عن مذبحة حلبجة، ورأينا الجندي العراقي ايام حرب الخليج يستبدل بسلاحه منديله الابيض ايمانا منه بانه لا قضية هناك يحارب من اجلها، ورأينا وشاهدنا مئات الآلاف من شعب العراق مشردين في العالم هربا وتعبيرا عن رفضهم للقيادة العراقية، ونؤمن اليوم بان شعب العراق الابي، شعب الرافدين، شعب الحضارة ودولة المأمون، مُعتقل في وطنه.

ان كل انسان عربي ومسلم يرفض ان يوصف
الانسان العراقي بالعفن
والانحطاط فهو منا ونحن
منه وإن رآه غيرنا غير ذلك.
حاولتُ كثيرا ان افهم
المغزى من وراء طرح مثل
هذا النوع من التفكير العقيم
فلم اجد مدخلا استطيع معه
ان اولج بالعذر لاصحاب تلك
المقالات. فمثل هذا التفكير
يُحقق للنظام العراقي اهدافه
التي يحرص على تحقيقها،
فهو نظام مرحلي يطمح الى ان ينمي في شعب العراق الكراهية تجاه اخوته واهله.

ان الهوة التي احدثتها ازمة الخليج تحتاج الى فهم يمارس معه الحوار، وان حوارا لا ينجمه الحلم ولا تحدد مساره تطلعات الامة هو حوار عقيم يدور صاحبه في فلك الانفعالات التي تدفع به الى محدودية النظرة في ظروف نحن احوج فيها الى الفهم الصحيح لأبعاد الحدث، وظروفه، وانعكاس ذلك كله على تاريخنا، ووجودنا، وامننا ومستقبلنا.

فازمة الامس ليست وليدة الصدفة، بل جاءت تلبية لفترة مرحلية وتجاوبا مع مفاهيم خاطئة وشحن تاريخي اذكته انظمة الحكم المتعاقبة على العراق، هذا كله يحتاج في هذه المرحلة الى دراسة علمية، وثقافية، بل نفسية تجاه شعب العراق وشعوب الامة العربية. فالمخزون الهائل من احداث تاريخ امتنا الطويل، وفي فترات متلاحقة، ادى الى خلق حالة نوعية من الاستهانة بكل المبادئ الاساسية التي يؤمن بها الانسان العربي من عقيدة وقيم واخلاق. فواقع الامة اليوم يتناقض وروح المبادئ التي امن بها الانسان العربي خلال مراحل تطوره منذ عصر الرسالة.

إن محاولة القفز على مراحل التاريخ العربي، مكوناته واحداثه، ومحاولة الانعزال عن فعالياته، والوقوف على اثر الحدث وتاثيره من دون محاولة فهمه والاستفادة منه، لا يُحقق في عصر المصالح، عصر الوحدة الاوربية وهيمنة القوة الواحدة، غير القليل القليل من الاستقرار والامن الذي يحتاجه شعب الكويت، كما يحتاجه شعب العراق وكل شعوب الامة العربية.

نعود فنقول، طال الزمن أم قصر، لا مناص لشعوب الامة العربية، واولها شعب الكويت، من الالتزام بوحدة العقيدة واللغة، التاريخ والجغرافيا، العادات والقيم.

اللهم عفوك، ونصرك، ورحمتك. اللهم ارفع عن شعب العراق مصيبتهم، واكشف غمتهم، وانزع عن صدورهم قبضة قيادتهم، واعدهم لنا واعدنا لهم، قربنا منهم وقربهم منا، فهم اهلنا واخوتنا، هم اهل القادسية ورجال المثنى وسعد وخالد.

«ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا او اخطانا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين».

ملحق ـ ٧ ـ

الوسيط بين عبدالله السالم وعبدالكريم قاسم
يروي قصة العرض الفدرالي برسالة خطية للمؤلف

بعد ان عرضنا رواية السيد اسماعيل العارف عن مشروع كويتي قدمه الشيخ عبدالله السالم الى الحكومة العراقية في عهد عبدالكريم قاسم لاقامة نوع من الاتحاد بين العراق والكويت لانهاء ازمة المطالبة العراقية بالكويت لم نكن نعلم ان الوسيط الذي تحدث عنه السيد العارف ـ وهو السيد موسى علاوي ـ ما زال على قيد الحياة. والذي اطلع على الفصل الخاص بالفدرالية في جريدة الخليج الصادرة في الامارات العربية ، والتي نشرت فصول الكتاب كما نشرته جريدة الرياض في المملكة العربية السعودية ، وجريدة السياسة الكويتية . وقد توقفت الأخيرة عن متابعة نشر فصول الكتاب بعد قرار صادر عن وزير الاعلام الكويتي . وتأتي الشهادة الخطية للسيد موسى علاوي لتؤكد وبتفاصيل اضافية مثيرة " رواية الفدرالية" .

وكان السيد موسى يبحث عن رقم هاتفنا في لندن الى ان اتصل بي الصديق ابراهيم ارزوقي فحددنا موعداً في ١٩/٧/ ١٩٩٥ لزيارة السيد موسى في منزله بلندن حيث تمنعه ظروفه الصحية القاهرة من قيامه بزيارتنا .

وقد اكد السيد علاوي مضمون الرسالة شفوياً ايضاً وبحضور كل من السيد ابراهيم ارزوقي وزوجته فضلاً عن زوجة السيد علاوي.

ولتوثيق حديثه التقطت للحاضرين صور فوتوغرافية .

نص الرسالة

صفحه اولى
المجموع ١٢ صفحه

من
موسى مجيد ملاوي
لندن
٩٧/٧/٢٧

الشيخ الاستاذ حسن العلوي المحترم

بعد السلام عليكم

اني من المعجبين بطريقه كتاباتكم الشيقه ولذا اقرؤ كتبكم وما ينشر منها . وقد قرأت وانا في الامارات العربيه في جريده الخليج فصل من كتابكم المعد للطبع والصدور قريباً انشاء الله = اسوار الطين = فصل عن الكويت في العدد ٥٨٩٣ تاريخ ٩٥/٧/٥ قبيل حضوري الى لندن ؟

وبعد قراءتي ما جاء فيها شعرت لزاماً عليّ ان اكتب لكم لتصحيح لبعض ما ورد والحقيقه عن موضوع المفاوضات ومصادر التاريخ ، مستشرياً للتاريخ في ما خفي منها . راجياً منكم تصحيح ما كتب وما نشر سواء في الكتاب عند صدوره أو في الجرائد قبل صدور الكتاب .

الاسس التي سأرتكز في ما كتب تنحصر بما يلي !

١ - ان عمليه المفاوضات تمت بثلاث مراحل

(أ) المرحله الاولى سريه جداً واقتصرت بالجانب الكويتي على المغفور له سمو الشيخ عبدالله السالم وسمو الشيخ جابر الصباح وزير الماليه والسيد احمد السعدون وكيل وزارة الماليه

(ب) ومن الجانب العراقي اقتصرت على المغفور له الزعيم عبدالكريم قاسم و حسن رفعت وزير الاسكان وموسى ملاوي

(جـ) المرحله الثانيه : اعادة المفاوضات بعد تراجع عبدالكريم قاسم وتسميه الوفد الرسمي وتقدم وزارة الخارجيه بالموضوع

[توقيع]

موسى محمد [illegible]
لندن
١٧/٧/٩٥

صفحة ١٤/١٥ من رسالة الأخ حسن العلوي

الانقلاب: عبد السلام ورفاقه إلى الكويت ومنذ تلك طويت مرحلة كان المؤمل فيها خيراً للعراق والكويت لحسن نية وبعد نظر ورحمة سمو الأمير الراحل الشيخ عبد الله السالم وإخوانه، ورحمة وحسن نية السعدون(?) من كان في العراق. حفظ الله العراق وحفظ الأمة العربية من كل سوء وغدر واستغلال.

عزيزي أبو عمر

هذه رسالتي لك سطرت بها ما حصل حرفياً وبتسلسل زمني وأؤكد لك حتى المرحلة الثانية من المداولات والمباحثات السرية لم يعلم بها غير عبد الكريم قاسم والمرحوم رفعت(?) مكاتب هذه الرسالة. وكل من يدعي خلاف ذلك غير صحيح ومذكراته مبنية على سماع معلومات مشوشة.

أرجو الإشارة إلى النظر لكتابة ما ورد بكتابكم. حيث أن المذكرات سبق للأخ المرحوم قاسم حتى أن أحتفظ بها في وزارة الخارجية الكويتية ومن جهات أخرى أحتفظ لم أنشرها لحد الآن.

وتقبلوا فائق سلامي واحترامي.

أخوكم

موسى محمد [illegible]
١٧/٧/٩٥
لندن

ملاحظة: كل صفحة من الصفحات الاثني عشر وقعت من قبلي

الأخ الأستاذ حسن العلوي المحترم

بعد السلام عليكم

اني من المعجبين بطريقة كتابتكم الشيقة ولذا أقرأ كتبكم وما ينشر منها. وقد قرأت وأنا في الامارات العربية من جريدة الخليج فصل من كتابكم المعد للطبع والصدور قريباً انشاء الله "أسوار الطين" فصل عن الكويت في العدد ٥٨٩٣ تاريخ ٩٥/٧/٥ قبل سفري الى لندن، وبعد قراءتي ما جاء فيها رأيت لزاماً عليّ أن أكتب لكم تصحيحاً لبعض ماورد والحقيقة في موضوع المفاوضات وملابساتها، وتثبيتاً للتاريخ في ما خفي منها. راجياً منكم بتصحيح ما كتب وما نشر سواء في الكتاب عند صدوره أو في الجرائد قبل صدور الكتاب.

الأسس التي سأوضحها في ما يلي تختصر بما يلي:

١. ان عملية المفاوضات تمت بثلاث مراحل

(أ) المرحلة الأولى سرية جداً واقتصرت بالجانب الكويتي على المغفور له سمو الشيخ عبد الله السالم وسمو الشيخ جابر الصباح وزير المالية والسيد أحمد السيد عمر وكيل وزارة المالية

(ب) ومن الجانب العراقي اقتصرت على المغفور له الزعيم عبد الكريم قاسم وحسن رفعت وزير الاسكان وموسى علاوي

(ج) المرحلة الثانية اعادة المفاوضات بعد تراجع عبد الكريم قاسم وتعيين الوفد الرسمي واعلام وزارة الخارجية بالموضوع.

(د) المرحلة الثالثة بعد افشال المفاوضات الثانية بخطاب عبد الكريم قاسم ثم اعادتها بعد تركي العراق في ١٩٦٢ واتصال حسن رفعت بي لاعادة المفاوضات

وكنت حينذاك في لندن، فاعيدت المفاوضات في جنيف حتى حصول الانقلاب ومقتل عبد الكريم القاسم وكانت مسودة الاتفاق جاهزة للتوقيع من قبل عبد الكريم قاسم التي أرسلت مع السيد قاسم حسن سفير العراق في براغ. واستمرار وزارة الخارجية بالاتصال بي.

٢. ان وساطتي وتوسيطي من قبل السيد أحمد العمر لم يكن صدفة. ان الأستاذ أحمد السيد عمر صديق منذ ١٩٣٨ وكانت تجمعنا الحزمة القومية العربية أيام شبابنا والتي تجمع أعضاء من الكويت والبصرة وبغداد والعمارة والموصل،

٣. هناك سر أفضيه لك ليس الوساطة وطلبها من الكويت فقط، فقد اخترت بأن أكون وسيطاً من قبل عبد الكريم قاسم قبل طلب الكويت بحوالي ١٠ أيام وذلك عن طريق حسن رفعت "ما سبب هذا التوافق؟؟"

٤. ان صبري عبد العزيز وابن أخته حسن رفعت وزير الاسكان هما من أصدقائي ولنا معرفة عائلية منذ ١٩٣٨ .

٥. حينذاك مركزي وتجارتي في بغداد.

٦. لم أفضي الى أي جانب من الجانبين بأن الجانب الآخر هو الذي كلفني

١ ـ المرحلة السرية الأولى

قبل اعلان المرحوم عبد الكريم قاسم ضم الكويت، وصل الى بغداد وفد كويتي تجاري/ مالي/ سياسي برئاسة الغنيم ويضم أحمد السيد عمر صديقي ونزلوا في أوتيل بغداد، ورأيت من الواجب زيارة الأخ والصديق أحمد السيد عمر بعد مضي سنوات عديدة لم ألتقِ به خلالها. ثم دعيته الى الغداء مرتين عندي في داري.

ويظهر أن المخابرات عقبت على ذلك وعلمت بهذا الاتصال والزيارة مما فطلب المرحوم عبد الكريم قاسم من الوزير آنذاك السيد حسن رفعت الاتصال بي وتكليفي بالوساطة، وهذا ما تم ابلاغي به في الحبانية حيث كنا مدعوين على الغداء عند عائلة السيد صبري عبد العزيز وكان مسؤولاً عن قاعدة الحبانية آنذاك. فأبلغني حسن وكان مدعواً بنفس الوقت، والحقيقة أني ردّيت عليه وقلت له لماذا لا نترك الكويتين في حالهم وعدم توريطهم بما تورطنا به وكان الوضع سيئاً آنذاك في بغداد من نتائج ثورة ١٩٥٨ والملابسات والهيجان بين أفراد

الشعب، فأقسم لي حسن بأن عبد الكريم قاسم طيب القلب ومخلص ولا يرضى بهذه الفوضى وهذه خدمة يجب أن أقوم بها. وقد تم تحضير الجواز وتحضرت للسفر على أن أتصل من هناك أي من بيروت السيد أحمد وقبل سفري باسبوع وردتني برقية من وكيلي أنذاك في بيروت بالسيد المرحوم سركال الماس وهو أحد أفراد "الحزمة القومية العربية" التي كانت تجمعنا أيام شبابنا مع شباب الكويت خلال ١٩٣٨ . ١٩٤٠ . أفادني بها أن السيد أحمد سيزور بيروت للقائك لأمر هام.

وعند وصولي بيروت كان في المطار باستقبالي سركال والسيد أحمد. فاستفسرت من الأخ السيد أحمد ما هو الموضوع في طلبي، فأخبرني بالحرف الواحد:

الموضوع هو موضوع عبد الكريم قاسم وموضوع الكويت وأنت تعرف أننا كلنا وبضمننا سمو الشيخ عبد الله السالم نسعى (كلنا) الى توحيد العراق والكويت ولكن الآن الوضع تغير بعد خروج البترول وتشابك المصالح الدولية ومصالح الدول المجاورة خاصة المملكة العربية السعودية وايران. وعليه لا بد أن نرى طريقاً لانهاء هذه المشكلة بطريقة ترضي كافة الأطراف. كان هذا حديثنا في السيارة ونحن من طريقنا الى أوتيل كارلتون حيث كان نازلاً الأخ أحمد السيد عمر فيه.

وعند وصولنا وبعد مداولات ودراسات حوالي ثلاث ساعات اقترحت عليه ٧ نقاط تخص الدفاع/ المالية/ المعارف/ النفط/ التنمية مع شرط بقاء العائلة الحاكمة في الكويت تحكم الكويت. فأخذ هذه النقاط معه وطلب مني أن انتظر مساءً حيث ترك بيروت الى الكويت بطائرة خاصة لعرض الموضوع على المرحوم الشيخ عبد الله السالم وقال لي اذا تم الاتفاق والموافقة على هذه النقاط من قبل سمو الشيخ عبد الله فانه أي السيد أحمد سيرجع الى بيروت مساء والا سيرسل لي برقية بعدم القبول. وفعلاً وصل الى بيروت مساء وكان فرحاً ومهللاً بقبول الاقتراحات وطلب مني أن نعين الوفد وسألني من تعتقد سيكون ضمن الوفد فقلت له محتمل حسن رفعت وزير الاسكان فقال في هذه الحالة سيكون الوفد الكويتي برئاسة سمو الشيخ جابر الصباح. واخبرته عند عودتي سأعلمه أسماء الوفد. رجعت في اليوم التالي الى بغداد واتصلت حالاً بالسيد حسن رفعت وأخبرته بما تم وجاء عندي للبيت فأعطيته النقاط الـ(٧). وحالاً ترك وذهب

للدفاع لمقابلة الزعيم عبد الكريم ومساء اتصل بي وقال لي بالحرف الواحد "ان عبد الكريم فرح جداً للنتائج وما كان يتوقع ما توصلنا اليه. وقال خلال يومين يعين الوفد فأخبرته اذا كنت في الوفد، أو أحد الوزراء، فسيكون الوفد الكويتي برئاسة وزير وهو وزير المالية. الشيخ جابر الصباح وزير المالية أنذاك (الامير الحالي) .

مضت الأيام ولم يردنا خبر تأسيس الوفد حتى جاءني الرد بعد مضي اسبوع طالباً مني عبد الكريم قاسم عن طريق حسن رفعت أن آخذ من الكويتيين رسالة تثبت هذه النقاط. فكان جوابي هذا الطلب غير ممكن وغير معقول لا سيما أن الكويتين لا يثقون بجدية عبد الكريم ومصداقياته وأن هذا الطلب سيدل على استعمال عبد الكريم هذه الورقة كورقة تشهير أو ابتزاز وأنهم ليس بهذه السذاجة. وامتنعت عن السفر مرة ثانية الا بعد مضي شهر وبالحاح واتصرف بالطريقة التي أراها (والتصرف بما أحصل عليه. ما معنى ذلك.) فاتصلت بأحمد عن طريق بيروت وجاءني فأخبرته بما حصل فكان جوابه كجوابي الى حسن رفعت. وفشلت مع الأسف المفاوضات وضيع العراق فرصة ذهبية كان الجميع مدفوعين اليها بعاطفة صادقة. ولكن مَنْ غيّر عبد الكريم وقلّب رأيه بعد أن كاد يطير من الفرح بما حصل عليه...؟؟. هناك من لا ضمير له من حاشيته أو مستشاريه أما لئيم أو مشبوه أو مدسوس. علماً أن الشيخ عبد الله السالم كان مستعداً للاجتماع بعبد الكريم حتى في بغداد

حتى هذه المرحلة لا يعلم ولا يوجد أي شخص بما جرى سوى ما ذُكِر عبد الله السالم/ جابر الصباح/ أحمد السيد عمر عبد الكريم قاسم/ حسن رفعت/ موسى علاوي.

٢ـ المرحلة الثانية

بعد مضي مدة تزيد عن الشهرين أعاد الكرة عليّ حسن رفعت بمحاولة الاتصال ثانية وكانت الأمور قد تطورت سريعاً، اعترافات واسناد مصر، السعودية، بريطانيا ايران، سوكارنو.(.....)

فاتصلت واجتمعت مع الأخ السيد أحمد في بيروت وكان كل منا متألماً لما

حصل من الفشل. ولما طلبت منه اعادة الموضوع للبحث قال لي بالحرف الواحد" الوضع تغير والآن موقفنا قوي وأنتم ضيعتم فرصة كبيرة ومع ذلك سأتصل بالشيخ عبد الله، تم الاتصال وبرغبة الشيخ عبد الله السالم بحل الموضوع (وكانت نظرته بعيدة لأن الوفاق بين الطرفين هو مصلحة للجميع). ورتبنا كل شيء على أن تعاد المحادثات على الأسس التي تمت بأول مرحلة من المفاوضات. وقال لي سيكون الوفد الكويتي بالمستوى للوفد العراقي أي اذا كان وزير سيكون وزير.

رجعت الى بغداد، وأعلمت الزعيم بما تم، وقال الآن يجب أن نعلم هاشم جواد وزير الخارجية بالموضوع لأن وصلت الى مرحلة يتطلب دخول الخارجية بالموضوع وبعد يومين اتصل هاشم جواد (رحمه الله) وكانت تربطني بي معرفة وصداقة وطلب مني أن أجتمع به بالخارجية بناء على طلب عبد الكريم قاسم، ذهبت وكان متألماً جداً لعدم معرفته بما كان يجري وقال لي "موسى هل ترضى أنا وزير خارجية وتجرون مفاوضات بدون علمي فأخبرته لم يجر شيء وليس أحد بالموضوع سوى أنا وأنا ليس بصورة رسمية بل كفرد وأردنا أن نصل الى نقطة اتفاق حتى نعلمكم بها. وأخبرته عن تأليف الوفد وبموجبه الكويتين سيؤلفون وفدهم بنفس المستوى فقال لي من تقترح، قلت الأمر يعود لكم. من رأيي أن يكون حسن رفعت وزير الاسكان من ضمن أعضاء الوفد فأجابني لا يمكن ذلك لأن عبد الكريم قاسم لا يوافق عليه لأنه كردي فقلت له هو بدء بالموضوع فقال الوضع تغير الآن وعليه هل لديك شخص آخر فأقترحت عليه المرحوم الأستاذ قاسم حسن وكان انذاك سفيراً في براغ، فوافق على ذلك وكانت تربطه صداقة أيضاً . واقترح أن يكون الاجتماع في زوريخ بعيداً عن المخابرات والجواسيس" حسب قوله. وحجزنا في أوتيل "كرند دودلر هوتيل" وهو كان من الأوتيلات الكبيرة GRAND DODLAR HOTEL فأبرقت الى أحمد عن طريق بيروت وأعلمته أعضاء الوفد وهو قاسم حسن السفير العراقي في براغ وموسى علاوي (علماًأني رفضت وطلبت تعيين آخر لكنه رفض اعتراضي وأعلمني اصرار عبد الكريم قاسم على ذلك)

وصلنا زوريخ بالموعد المتفق وكان وفد الكويت كالآتي:

(١) الأستاذ جاسم القطامي وكيل وزير الخارجية أنذاك وهو من الشباب القومي.

(٢) أحمد السيد عمر وكيل وزارة المالية.

(٣) عادل الجراح سكرتير وزارة الخارجية وهو فلسطيني الأصل أصبح بعد ذلك سفيراً في طوكيو وموسكو.

اجتمعنا صباحاً بأحد القاعات. وبدأ هاشم حسن والقطامي بالبحث من البداية، فاعترضت وقلت لهم لا تضيعوا أوقاتكم بالجدل، فأجاب جاسم كيف فقلت له أننا توصلنا الى ٧ نقاط متفق عليها من حيث المبدء وهي كذا وكذا فقال لم يحصل ذلك فقلت له أن هذا الموضوع جرى سرياً ولا يعلم به سوى الشيخ عبد الله السالم والشيخ جابر الصباح وأحمد السيد عمر حينذاك سأل أحمد السيد عمر عما أقول فقال له صحيح ما ذكره موسى وأن وزارة الخارجية لا علم لها بما حصل. حينذاك تم الاتفاق على الاجتماع في أثينا وتم الحجز بالموعد المتفق عليه في grand britania على أن يسافر قاسم حسن الى بغداد و عادل الجراح الى الكويت لاعلام المسؤولين بما تم وبايقاف كافة الحملات والمهاترات الاذاعية والصحفية. خلال المدة بين الاجتماعين أخبرت قاسم بأني مسافر الى بلغراد حيث أخي سليم كان السكرتير الأول في السفارة لزيارته وحين وجودي عنده وقبل سفري لأثينا وردتني من قاسم حسن برقية تخبرني بأنه سيتأخر في بغداد لبعضة أيام لأسباب مهمة. وقد وصلت الى أثينا وكان هناك جاسم القطامي وأحمد السيد عمر وكنا بانتظار عادل الجراح وقاسم حسن وفي اليوم الثاني وصل عادل وقال الموضوع فاشل وأن الشيوخ زعلانين ومستائين لأن عبد الكريم طيلة أيام الأزمة لم يهاجم الشيوخ، والآن بالوقت الذي تريد أن نوقف الحملات وحل المشكلة وانهاء الأزمة هاجم الشيوخ بصورة شخصية. فاضطررنا انهاء الاجتماع والعودة كل الى بلده.

رجعت الى بغداد والألم يعصر قلبي، لفوات الفرصة مرة أخرى بسبب تافه. وبتصرف فردي، وباجتهاد ساذج، أوجهل.

عند وصولي الى بغداد اتصل بي المرحوم هاشم جواد شخصياً، وأفادني بضرورة الحضور لوزارة الخارجية للاجتماع بالزعيم عبد الكريم قاسم. وفي الوقت المحدد

ذهبت للخارجية وكان في استقبالي السيد هاشم. واعتذر عن اضطرار عبد الكريم قاسم للذهاب الى الدفاع لأمور هامة ومستعجلة "لحصول هجوم البارزاني" وقال لي أن الزعيم أمر أن يسدد مصاريف سفرتك ودفع أربعة آلاف دينار لك. فامتنعت عن قبول ذلك وأخبرته لم أفكر يوماً بقبول أي مبلغ.

في ١٩٦٢/٧/١٧ تركت العراق بناء على نصيحة احد الأصدقاء لاحتمال تعرضي الى أذى (لاأعلم من يكون؟). وهذا الصديق ثقة وله علاقات مع كثير من الجهات ذهبت الى لندن على أن استقر بها.

المرحلة الثالثة والأخيرة:

بعد وصولي لندن بشهر اتصل بي حسن رفعت راجياً اعادة الاتصال مع الكويت، فاتصلت بالأخ أحمد السيد عمر واستمزجت رأيه في اعادة البحث، فأجابني لا مانع من ذلك وأنه سيكون في جنيف لاجراء عملية لعينه، فتوجهت الى جنيف ونزلت في أوتيل دي رون، وكنت على اتصال مع الأخ أحمد السيد عمر ثم طلبنا مجيء قاسم حسن من براغ، وأكدنا النقاط التي تم الاتفاق عليها، وذهب الأستاذ قاسم الى بغداد للتوقيع بالحروف الأولى على الاتفاقية فوصلها قبيل الانقلاب الذي حصل ١٩٦٣ وكانت الاتفاقية على الطاولة في مكتب عبد الكريم قاسم "حسب ما أعلمني الأستاذ قاسم حسن للتوقيع عليها في اليوم الثاني" وقتل المغفور له عبد الكريم وطويت صفحة من أخطر الصفحات في تاريخ العراق وكأن القدر مقدر للعراق أن يبقى في سلسلة من الاضطرابات والمآسي والدم.

سمعنا الخبر ونزل عليّ كصاعقة وتوقعت ما سيجرِ ذلك على العراق من مآسي وشجون.

مضت مدة تزيد عن الأسبوعين واتصل بي ممثل العراق في الأمم المتحدة في جنيف السيد عصمت كتاني وطلب مني المجيء الى دائرته "وكان لي معرفة شخصية به" فأخبرني بوجود شفرة من وزارة الخارجية العراقية موقعة من قبل الوزير أنذاك السيد طالب شبيب. فحواها "هل الشركة لا تزال راغبة باكمال المشروع "والمقصود الشركة الحكومة الكويتية كاصطلاح سري للمراسلات" هل ترغبون بعودة قاسم حسن هل تفضلون أن يرافقه أحد موظفي الخارجية".

فاتصلت من دائرة السيد عصمت بالسيد أحمد العمر فأجابني لانزال راغبين، ويفضل مجيء قاسم فأجبتهم أي الخارجية عن طريق عصمت كتابي بأن الشركة راغبة بالاستمرار ويحبذ مجيء قاسم حسن حالاً وأترك الموضوع لكم في ارسال موظف من الخارجية" وبعد ثلاث أيام وصلتني برقية ثانية باستقبال قاسم حسن حيث يترك بغداد الى براغ عن طريق زوريخ وفعلاًاتصل بي هاشم من المطار وأخبرني عدم تمكنه المجيء مباشرة الى جنيف لضرورة ذهابه الى براغ وجمع أوراقه لعدم رغبته بالاستمرار كسفير.

جاء بعد ذلك قاسم الى جنيف وأخبرني بما حصل في بغداد وأن الأوراق كانت "جاهزة للتوقيع على طاولة عبد الكريم القاسم ليلة مقتله.

وجاءتني شفرة ثانية عن طريق مكتب عصمت وكان قائماً عنه الأستاذ علي العاني فأخبرني بوجود شفرة لي فذهبت وبمعاونة المحاسب في القنصلية أنذاك السيد المتولي حاول فك رموزها بصعوبة، والتي بها الطلب مني استقبال السيد محمد الغانم في اوتيل ريزدانت بجنيف في يوم مذكور، وعند اتصالنا بالاوتيل المذكور لم يصل المرحوم محمد الغانم للاوتيل بالرغم من الاتصال يومياًلمدة أسبوع ثم انقطعت الاتصالات بعد سماعنا خبر سفر قادة الانقلاب، عبد السلام ورفاقه الى الكويت وبذلك طويت مرحلة كان المؤمل فيها خيراً للعراق وللكويت لحسن نية وبعد نظر ورغبة سمو الأمير الراحل الشيخ عبد الله سالم وأخوانه، ورغبة وحسن نية البعض من كان في العراق. حفظ الله العراق وحفظ الأمة العربية من كل سوء وغدر واستغلال.

عزيزي ابو عمر

هذه رسالتي لك سطرت بها ما حصل حرفياً وبتسلسل زمني وأؤكد لك حتى المرحلة الثانية من المداولات والمفاوضات السرية لم يعلم بها غير عبد الكريم قاسم أو السيد حسن رفعت وكاتب هذه الرسالة. وكل من يدعي خلاف ذلك غير صحيح ومذكراته مبنية علي سماع معلومات مشوشة.

أرجو اعادة النظر بكتابة ماورد بكتابكم. علي أن المذكرات سبق للأخ المرحوم جاسم حسن أن احتفظ بها في وزارة الخارجية العراقية ومن جهات أخرى لم يفصح لي أين.

وتقبلوا فائق سلامي واحترامي.

اخيكم موسى مجيد علاوي

١٩٩٥/٧/١٧

لندن

ملاحظة/ كل صفحة من الصفحات الاثني عشر وقعت من قبلي

المحتويات

كتب للمؤلف

١ـ دماء على نهر الكرخا ، ١٩٧٩ ، ومُعَد للطبعة الثانية.

٢ ـ عبدالكريم قاسم ، رؤية بعد العشرين ، ١٩٨٣ .

٣ ـ فرائد السلطان ، ١٩٨٤ .

٤ ـ الجواهري ديوان العصر ، ١٩٨٦ .

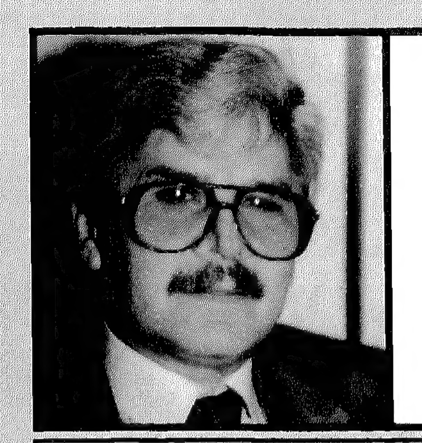
٥ ـ التأثيرات التركية في المشروع القومي العربي ، ١٩٨٨ .

٦ ـ الشيعة والدولة القومية ، ١٩٨٩ الطبعة الاولى ، ١٩٩٠ الطبعة الثانية.

٧ ـ دولة المنظمة السرية ١٩٩٠ ، طبع سبع طبعات .

٨ ـ دولة الاستعارة القومية ١٩٩٣ .





HASSAN ALAWI

MUD WALLS

هذا الكتاب

يبحث في جذور فكرة الضم المعمرة في السياسة العراقية، التي استقاها الملك غازي من السوديت الألماني، وتبناها عبد الكريم قاسم، ونفذها صدام حسين في الثاني من أب ١٩٩٠ بطريقته الخاصة.

يختلف المؤلف مع كثرة من الكتاب والسياسيين العرب، في نظرتهم إلى النظام العراقي وبشكل محدد إلى الاجتياح الأخير، ويرى في هذه الخطوة فصلاً من فصول التخادم السياسي لنظام جاء بعد ستة أشهر من الإعلان البريطاني للأنسحاب من الخليج، لينفذ سلسلة من العقود، كانت الحرب العراقية ـ الايرانية مقدمة لها، حيث يربط الكتاب بينها وبين الاجتياح على قاعدة تفريغ القوة، والتي يعتبرها سبباً رئيسياً من الأسباب غير المباشرة للأزمة.

إن " أسوار الطين" شهادة لكاتب مفتوح الذاكرة، خبير في الشأن العراقي المعاصر، ملّم بالكثير من الأسرار التي يكشفها الكتاب للمرة الأولى

الناشر